RRSHC

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

ⵜⴰⵙⴽⵍⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵓⵏ ⵏⵜ ⵜⵎⴰⵔⵡⵉⵏ ⵜⵉⵏⵙⴰⵏⵉⵏ ⴷ ⵜⵎⵓⵔⵉⵏ

Revue de recherche en sciences humaines et cognitives

مجلة علمية دولية محكمة تصدر بشكل شهري

المجلد 1 - العدد 4 - السنة الأولى - يوليوز 2024

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر وللمجلة

الإيداع القانوني	ردمد	رقم الصحافة	البريد الإلكتروني	رقم الهاتف
2024PE0032	3009-5581	07/2024	contact@crshc.com	+212 614-024544

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵓⵙⵎⵔⵙ ⵖⵔ ⵜⵙⵏⵙⵉⵡⵉⵏ ⵜⵉⵏⵎⵓⵔⵉⵏ ⴰ ⵜⵍⵓⵙⵉⵏ
Revue de recherche en sciences humaines et cognitives

RRSHC

المدير المسؤول:
محمد بوغوتة

رئيس التحرير:
جمال الدين السراج

مدير التحرير:
سعيد الاشعري

أعضاء هيئة التحرير:
فريد أمعضشو
محمد البوزيكي
عبد الله بوغوتة
وسام شهير
هشام كزوط
سعيد أرديف

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

الإيداع القانوني: 2024PE0032

ردمد : 3009-5581

رقم الصحافـــة: 07/2024

رقم الواتســـــاب: +212 6 14 02 45 44

البريد الإلكترونـــي: rrshc@gmail.com

العنوان الإلكتروني: www.crshc.com

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر وللمجلة
المغرب © 2024

مواقع التواصل الاجتماعي للمجلة

Tiktok Youtube Facebook

د. جمال الدين السراج

رئيس التحرير

أستاذ التواصل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة – المملكة المغربية

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية هي منبر أكاديمي يهتم بنشر الأبحاث والدراسات في مجالات العلوم الإنسانية والعلوم المعرفية. تهدف هذه المجلة إلى تعزيز فهمنا للعقل البشري، والثقافات المختلفة، وتأثير العوامل الاجتماعية والنفسية على سلوك الإنسان وتفكيره. تتضمن مجالات الدراسة في المجلة مجموعة واسعة من التخصصات مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم اللغة، والفلسفة، والأدب، وعلوم الإعلام والتواصل، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية، والتاريخ، وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية والمعرفية. تعتبر هذه المجلة مصدراً هاماً للباحثين والأكاديميين لنشر أبحاثهم ومشاركة أفكارهم مع المجتمع الأكاديمي العالمي.

ضوابط النشر في المجلة

- يشترط في البحث ألاّ يكون منشورا من قبل، وأن يتّسم بالراهنيّة والعمق، وأن تتميز مراجعه الأساسية بالجِدة والتنوع؛
- تُقْبل البحوث باللغات الآتية: اللغة العربية - الأمازيغية - الفرنسية – الإنجليزية- الإسبانية؛
- يجب أن يتراوح عدد كلمات البحث ما بين 4000 و6000 كلمة. وعلى كل كاتب أن يُرْفِق دراسته، أو مقالته، بملخصين، الأول بلغة المقالة، والثاني باللغة الإنجليزية في حدود 200 كلمة لكل ملخص؛ مع نبذة من سيرته العلمية وصورة شخصية؛
- ترسل البحوث باللغة العربية ببرنامج (Word)، خط (Sakkal Majalla)، حجم 16 في المتن و12 في الهامش و1.5 في interligne؛ وباللغة الفرنسة أو الإنجليزية بخط (Calibri Light)، حجم 12 في المتن و10 في الهامش؛
- يلزم احترام الضوابط العلميّة والأخلاقيّة في كل ما يتعلق بالتوثيق والتهميش، وإثبات الإحالات متسلسلةً أسفلَ كل صفحة دون استرسال؛
- تخضع البحوث والدراسات على محكّمين من ذوي الخبرة وحسب تخصص المقال؛
- تقبل البحوث الفردية وكذا الجماعية في حدود شخصين؛
- تتولى اللجنة العلمية إبلاغ الكاتب بتسلم مادته حال ورودها، ثم إبلاغه لاحقا بقرار الهيئة العلمية حول مدى صلاحية مادته للنشر، سواءً كانت مقبولة للنشر كما هو، أو تحتاج إلى تعديلات أو تحسينات قبل النشر، أو رفضها في حال كانت غير مناسبة لمعايير المجلة.

لا تعبر الآراء الواردة في المجلة إلا عن آراء أصحابها،
وبالتالي تبقى مسؤولية الكاتب قائمة متى خالفت القوانين الجاري به العمل.

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر وللمجلة

العنـــــــــوان : مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية
موقع المجلـــــة : www.crshc.com
عنوان المراسلـــة : contact@crshc.com
الهاتف/الواتساب : +212 614-024544
الإخـــــراج الفني : محمد بوغوتة
الإيداع القانونـــي : 2024PE0032
ردمد : 3009-5581
رقم الصحافـــة : 07/2024
المطبعـــــــة : مكتبة قرطبة، وجدة، المغرب
حقوق الطبـــع : محفوظة للناشر وللمجلة © 2024

الهيئة الاستشارية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

د. فريد أمعضشو
مركز تكوين
مفتشي التعليم المغرب

د. عبد الله بوغوتة
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب

د. سعيد أرديف
المدرسة العليا للتربية والتكوين
جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب

د. رفيق أوباشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة
الشرق، المغرب

الهيئة العلمية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

د. فريد لمريني
جامعة محمد الأول، المغرب

د. محمد دلال
جامعة محمد الأول، المغرب

د. يحيى عمارة
جامعة محمد الأول، المغرب

د. حسن احساين
جامعة محمد الأول، المغرب

د. فؤاد أزروال
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب

د. الطيب بركان
جامعة محمد الأول، المغرب

د. وسام شهير
جامعة محمد الأول، المغرب

د. هشام كزوط
جامعة محمد الأول، المغرب

دة. عائشة عبد الواحد
جامعة محمد الأول، المغرب

د. خليل عبد الجليل
جامعة محمد الأول، المغرب

د. أحمد أوجاك
جامعة محمد الأول، المغرب

دة. بثينة حساني
جامعة محمد الأول، المغرب

دة. أسماء هلال
جامعة محمد الأول، المغرب

د. كمال بورمضان
جامعة محمد الأول، المغرب

د. بلال داوود
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب

د. يوسف ماحي
جامعة محمد الأول
المغرب

الهيئة العلمية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

د. طارق حمدنا الله أحمد حمدنا الله
خبير لدى المجلس الأعلى للبيئة والترقية
الحضرية والريفية، السودان

د. حاتم فهد هنو ذياب الطائي
جامعة الموصل
العراق

د. سلام جبار منشد حسين الاعاجيبي
جامعة المتنبي، العراق

دة. سماح محمد محمد حيدة
جامعة باشن الأمريكية، مصر

دة. عائشة محمد عثمان مصطفى
جامعة الإمام المهدي، السودان

دة. هناء فاضل سلمان
الجامعة المستنصرية، العراق

أ.د. صباح علي السليمان
جامعة تكريت، العراق

د. الصادق علي وداعة عثمان
جامعة سنار، السودان

د. مروان السكران
أكاديمية بيت اللسانيات الدولية، تركيا

د. عزيز صالح علي الدعيس
جامعة صنعاء، اليمن

د. محمود قدوم
جامعة بارتن، تركيا

دة. ريم محمد طيب حامد الحفوظي
جامعة الموصل، العراق

د. محمد بودشيش
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. عبد المجيد بوفرعة
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. عبد الصمد مجوقي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة
طنجة تطوان الحسيمة، المغرب

د. نجيب علالي
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. منير كلخة
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. محمد حمداوي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. عبد العزيز الصادقي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق، المغرب

محتويات العدد

محتويات العدد 4

افتتاحية العدد 6

التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي: تحديات أخلاقية مهمة تستدعي تشريعات وقوانين مناسبة
د. جمال فوزي 7

توظيف الثقافة الشعبية المغربية في البرامج الإذاعية
رضوان خلدون - د. وسام شهير 30

نحو ما بعد الإنسانية: بين الفلسفة والعلم والمجتمع
د. رفيق أوباشير 53

طقوس الزواج بمنطقة "الصباب"
رشيد القصيري - د. كمال بورمضان 64

العدول عن أصل الترتيب في مكوّنات الجملة الفعلية العربية: من التفسير النحوي إلى التفسير اللساني المعاصر: دراسة مقارنة
الكتاني حميد - أ.د- عبد الإله بوغابة 87

المنعطف المنهجي ودوره في إغناء الحوار بين التخصصات
سندس عفيفي 126

الأثر الاجتماعي والثقافي للهجرة والتهريب على المجتمع الناظوري عند الأنثروبولوجي الأمريكي دافيد ماكموراي (DAVID McMurray)

سعيد بلقاسمي 157

الهجرة الدولية والنوع الاجتماعي

الوافي مراد 183

بلاغة الإقناع في الخطاب السياسي في نقائض جرير والفرزدق: خطاب الخلافة الأموية نموذجا

د. الحسين بلا..... 206

الزمن ودلالاته في العربية والفرنسية: دراسة مقارنة

حسن أجمولة 226

افتتاحية العدد

يسرنا أن نقدم لكم هذا العدد من مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، الذي يتضمن مجموعة متنوعة من المقالات العلمية والأبحاث القيمة التي تمت مشاركتها من قبل باحثين وأكاديميين متميزين من مختلف الجامعات المغربية والعربية. نهدف من خلال هذا العدد إلى تعزيز الحوار الأكاديمي وتبادل المعرفة بين الباحثين والمهتمين في الحقول المعرفية المختلفة.

يتميز هذا العدد بمشاركة مقالات تغطي طيفاً واسعاً من المواضيع في العلوم الإنسانية والمعرفية، بدءاً من الدراسات الأدبية والتاريخية، مروراً بالأبحاث الإنسانية والاجتماعية، وصولاً إلى الدراسات اللغوية والتحليلات القانونية. كل مقال يساهم في تقديم رؤى جديدة وفهم أعمق للتحديات والقضايا التي تواجه مجتمعاتنا اليوم.

نحن في مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية نؤمن بأهمية العلم والمعرفة في تحقيق التقدم والازدهار. ونسعى دائماً لدعم الباحثين وتشجيعهم على تقديم أبحاثهم وإبداعاتهم الفكرية للمجتمع الأكاديمي والجمهور العام. إن تنوع المواضيع والأفكار المطروحة في هذا العدد يعكس الثروة الفكرية والعلمية التي تزخر بها جامعاتنا، ويساهم في تعزيز الفهم والتفاهم بين مختلف الثقافات والمجتمعات.

نأمل أن تجدوا في هذا العدد ما يلهمكم ويفتح أمامكم آفاقاً جديدة من المعرفة والتفكير النقدي. نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إعداد هذا العدد، وندعو جميع الباحثين والمهتمين إلى مواصلة التفاعل والمشاركة في الأعداد القادمة من المجلة.

مع أطيب التحيات، هيئة تحرير مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية.

حرر بوجدة، في: 31 يوليوز 2024

رئيس التحرير

الدكتور جمال الدين السراج

التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي:
تحديات أخلاقية مهمة تستدعي تشريعات وقوانين مناسبة

د. جمال فوزي
باحث في القانون العام
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
وجدة - المغرب

ملخص:
ساهم التطور المعرفي والتكنولوجي في التأثير بشكل كبير في تطور الحياة الإنسانية، وقد كان للتحول الرقمي النصيب الأكبر في ذلك؛ إذ أدى إلى تطبيق التكنولوجيا الرقمية في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية قصد تجويد العمليات والخدمات وتحسين التفاعل بين أفراد المجتمع والمؤسسات عبر التقنيات الرقمية المتطورة. ويشكل التحول الرقمي تحديًا كبيرًا من أجل التأقلم مع التغيرات التكنولوجية السريعة والاستفادة من الفرص العديدة التي تتيحها. أما الذكاء الاصطناعي، فهو يهتم بإنشاء أنظمة معلوماتية ذات ذكاء مماثل للذكاء البشري أو يفوقه. إذ يعتمد على تقنيات الحوسبة والتعلم الآلي لتمكين هذه الأنظمة من تنفيذ مهام كثيرة في وقت وجيز؛ مثل التعلم السريع، التفكير، حل المشكلات، اتخاذ القرارات... تشمل تطبيقات الذكاء الاصطناعي الروبوتات، نظم التحكم الذكي، تحليل البيانات الضخمة، تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الصناعة والطب والتعليم وغيرها من المجالات.

كلمات مفتاحية: الانتقال الرقمي - الذكاء الاصطناعي - التحديات الأخلاقية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
فوزي، جمال. (2024، يوليوز). التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي: تحديات أخلاقية مهمة تستدعي تشريعات وقوانين مناسبة. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 7-29.

Abstract:
The cognitive and technological development has contributed significantly to the development of human life, and digital transformation has had greatest impact in this regard; It has led to the application of digital technology in all aspects of economic, social, political and cultural life to improve processes and services and enhance interaction between members of society and institutions through advanced digital technologies. Digital transformation is a major challenge to adapt to rapid technological changes and take advantage of the many opportunities they offer. Artificial Intelligence (AI) is interested in creating information systems that are as smart as or above human intelligence. It relies on computing and machine learning techniques to enable these systems to perform many tasks in a short time; Like fast learning, thinking, problem solving, decision making... AI applications include robots, smart control systems, big data analysis, AI applications in industry, medicine, education and other fields.

Keywords : Digital transition - artificial intelligence - ethics.

مقدمة

لقد أصبح التحول الرقمي حاضرًا بشكل شامل في جميع مجالات ومناحي الحياة، مما جعله محركًا أساسيا لمجتمعاتنا الانسانية. وقد ظهرت شركات كبيرة ذات بُعدٍ دولي تُعنى بالتكنولوجيا الرقمية والتحول الرقمي، وتُقدم خدماتٍ ومنتجاتٍ ومنصاتٍ؛ تصل قيمتها السوقية والمالية إلى مستويات ضخمة وهائلة، تفوق في بعض الأحيان قيم بعض الشركات العملاقة[1] في قطاعات صناعية أخرى، بل حتى ميزانيات دول بأكملها.

تعتبر هذه الشركات الكبيرة المتخصصة في التكنولوجيا والتحول الرقمي من أهم رافعات التحول الرقمي في المجتمعات اليوم. فهي تقدم حلولاً تقنية مبتكرة تؤثر بشكل كبير على طريقة تفكيرنا وتفاعلنا مع العالم من حولنا ونمط عيشنا. وتؤدي هذه الشركات أيضا دورًا حيويًا في بناء المستقبل وتحديد اتجاهات التكنولوجيا واستخدامها في جميع جوانب حياتنا اليومية[2].

وأمام هذا التطور الكبير في مجال الذكاء الاصطناعي والتحول الرقمي، أصبح من اللازم على الدول الحديثة اتخاذ إجراءات محددة من أجل الاستفادة من الفرص المتاحة وتجاوز التحديات والعقبات التي قد تكون في وجه تنميتها. وفي هذا الإطار نفذ المغرب العديد من الاستراتيجيات والبرامج لتسريع تحوله الرقمي؛ مثل "المغرب الرقمي 2013"[3] و"المغرب الرقمي 2020"، بالإضافة إلى تبني استراتيجية جديدةٍ

[1] من الملفت للنظر أن بعض هؤلاء المؤسسات والشركات الرقمية العملاقة لم تكن موجودة قبل عشرين عامًا، وقد أكد وباء كوفيد-19 قوتها.

[2] داود عبد الرازق الباز، الإدارة العامة، الحكومة الإلكترونية وأثرها على النظام القانوني للمرفق العام وأعمال موظفيه، مركز البحوث، الكويت، سنة 2004، ص. 38.

[3] المجلس الأعلى للحسابات بشأن تقييم إستراتيجية المغرب الرقمي 2013، تقرير خاص تحت عدد 3/05 ،CH 4/ فبراير 2014.

للتحولِ الرقميّ في أفقِ سنة 2030. كما أنشأ هيئات متخصصة في هذا المجال مثل وكالة التنمية الرقمية واللجنة الوطنية لمراقبة حماية البيانات الشخصية.

وفي سياق التحول الرقمي الذي عرفه المغرب، شهدت العديد من المبادرات النور، مثل بوابة "إداراتي" للإجراءات الإدارية، ودفع الضرائب والرسوم عبر الإنترنت، والشباك الوحيد ومنصة تتبع نظام « AMO »، وبوابة "شكاية" « Chikaya »، والهوية الرقمية، وبوابة الخالة المدنية، وبوابة السجل الاجتماعي الموحد، ومنصة « telmidtic » (التعليم عن بعد)، والبريد الوارد الرقمي. كما تم إرساء مشاريع عديدة تَهدف إلى رَقمنَة قطاع الصحةِ والحمايةِ الاجتماعية وغيرها من المبادرات الخدماتية العامة الرقمية[1].

ومما لا شك أن هذه البرامج والمبادرات ساهمت في مساعدة المواطنين على تحمل أعباء التنقل إلى الإدارات العمومية. كما سمحت التحولات الرقمية لعدة قطاعات حيوية بمواصلة أنشطتها على الرغم من القيود المفروضة بسبب حالات الطوارئ الصحية التي شهدتها المملكة إبّان جائحة كورونا[2]، وخلال طيلة أيام الأسبوع ولمدة 24 ساعة كاملة.

جدير بالذكر فإن التحول الرقمي يهدف إلى تطبيق التكنولوجيا الرقمية في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية من أجل تحسين الخدمات المقدمة للمجتمع وضمان تفاعل مثمر بين الأفراد والمؤسسات

[1] البوابة الوطنية https://www.maroc.ma/.

[2] خلال الأزمة الصحية، شهدنا بشكل غير مسبوق تبني عمل عن بُعد واستخدام الوصول الرقمي إلى الخدمات في جميع المجالات. في الواقع، تم اضطر العديد من المواطنين المغاربة، للاستفادة من العروض العديدة المتوفرة نتيجة الثورة الرقمية، مما دفعهم إلى إجراء تغييرات في بعض الأحيان جذرية في طرق تفاعلهم مع بيئتهم: في طريقة قضاء وقت التسوق، وفي التواصل مع عائلاتهم وأصدقائهم، وفي العمل عن بُعد، وفي الدراسة، والقراءة، وفي التعليم.

وهكذا، كانت الأزمة الصحية فرصة لظهور وتطوير مبادرات رقمية وطنية في مجال التعلم الإلكتروني، والتجارة الإلكترونية، والحكومة الإلكترونية، والمحاكم الرقمية، ودعم الاقتصاد التشاركي والتضامني في وقت قصير جدًا. أظهرت كل هذه المبادرات أن المغاربة يمكنهم الاستفادة من إبداعهم وفطنتهم للتكيف مع قيود التدابير الصحية، حتى أنهم، على سبيل المثال، قاموا بإنشاء منصات للتعليم عن بُعد.

باستخدام التكنولوجيا الرقمية مثل الإنترنت وما يرتبط بها من الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات والمعطيات المعلوماتية الضخمة[1]. ويشكل هذا التحول الرقمي تحديًا كبيرًا للشركات والمؤسسات وأفراد المجتمع للتكيف مع التغيرات التكنولوجية السريعة التي تحدثها والاستفادة من الفرص الجديدة التي تقدمها[2].

كما يهتم الذكاء الاصطناعي بإنشاء أنظمة معلوماتية تُعتبر ذات ذكاء مماثل للذكاء البشري أو يفوقه. فهو يعتمد على تقنيات الحوسبة والتعلم الآلي السريع، ونظام حل المشكلات الأوتوماتيكي، وسرعة اتخاذ القرارات. وتشمل تطبيقاته عمل الروبوتات الآلية، وأنظمة التحكم الذكي، وتحليل البيانات الضخمة، والعديد من تطبيقات الذكاء الاصطناعي المعمول بها في الصناعة والطب والتعليم وغيرها من المجالات[3].

ويثير كل من الانتقال الرقمي والذكاء الاصطناعي قضايا أخلاقية مهمة تتطلب منا مراقبة دقيقة؛ إذ أن هذه التقنيات تؤثر بشكل عميق على مجتمعاتنا واقتصادنا وأساليب حياتنا. لذلك نجد أن أسئلة أخلاقية أساسية تفرض ذاتها، من قبيل حماية خصوصية الأفراد، وشفافية الخوارزميات المستعملة في الانتقاء، والمسؤولية عن القرارات التلقائية المتخذة من طرف الآلات المعتمدة على الذكاء الاصطناعي، وتأثير ذلك على التوظيف ومهارات البشر...[4]

---

[1] داود عبد الرازق الباز، الإدارة العامة، الحكومة الإلكترونية...، مرجع سابق، ص.39.

[2] Organisation de coopération et de développement économiques (l'OCDE), Transformation numérique et productivité : une histoire de complémentarités, Perspectives économiques de l'OCDE 2019, numéro 105, pages 65 à 100, L'article disponible en ligne à l'adresse suivante : https://www.cairn.info/revue-perspectives-economiques-de-l-ocde-2019-1-page-65.htm.

[3] Emmanuelle Gril, Transition numérique et intelligence artificielle : d'importants enjeux éthiques à surveiller, Dans Gestion 2023/1 (Vol. 48), pages 60 à 64, Disponible à l'adresse électronique : https://www.cairn.info/revue-gestion-2023-1-page-60.htm Joé T. Martineau,

[4] أحمد حمدي عبد المنعم النحاس، ندا طارق دبا، إدارة مخاطر التحول الرقمي، المقالة 25، المجلد 13، العدد 2 - الرقم المسلسل للعدد 1، مارس 2022، ص. 1508.

ونشير إلى أن إحدى أهم القضايا الأخلاقية الرئيسية التي يطرحها الانتقال الرقمي والذكاء الاصطناعي هي حماية الخصوصية. ومع ما يوفره جمع المؤسسات الخصوصية والعمومية والحكومات للبيانات والمعطيات الشخصية، من كم كبير من المعلومات الشخصية، أصبح من الضروري ضمان استخدام هذه البيانات بطريقة أخلاقية وآمنة، وضمان سيطرة الأفراد على بياناتهم الخاصة.

وتنضاف قضية أخرى مهمة من الناحية الأخلاقية وهي شفافية الخوارزميات؛ إذ أن القرارات التي تتخذها أنظمة الذكاء الاصطناعي يمكن أن تؤثر بشكل كبير على حياة الناس ومما قد يؤدي إلى إقرار قرارات تمييزية منحازة في مجالات مثل التوظيف أو الإسكان أو القروض، لذا من الضروري فهم كيفية اتخاذ هذه القرارات وضمان أنها غير تمييزية أو متحيزة.

كما تُطرح في هذا الصدد المسؤولية القانونية عن القرارات التلقائية بحدة؛ إذ نتساءل معكم: من المسؤول القانوني حين ترتكب أنظمة الذكاء الاصطناعي المستعملة مثلا في الميدان الصحي أخطاء أو تتسبب في أضرار أو في وفاة؟ كيف يمكن ضمان أن القرارات التي تتخذها هذه الأنظمة هي عادلة وصحيحة؟

ولا يمكن إغفال تأثير الذكاء الاصطناعي على مجريات التوظيف وكيفية انتقاء مهارات البشر وما لذلك من تأثير نوعية البروفيلات المطلوبة. إذ بالطريقة نفسها التي يمكن أن تحسن هذه التقنيات الكفاءة والإنتاجية، يمكن أن تؤدي أيضًا إلى فقدان العديد من الوظائف التي تتطلب مهارات جديدة ليست متاحة للجميع.

إذا كان الانتقال الرقمي والذكاء الاصطناعي يتيحان العديد من الفرص للمجتمع الدولي المتعدد الأطراف ومؤسساته الرسمية وغير الرسمية التي عملت على إصدار جملة من التشريعات الهادفة إلى تأطير وتنظيم هذه التكنولوجيات الجديدة، فإنه في المقابل يثيران أيضًا تحديات أخلاقية مهمة يجب معالجتها بشكل فعال لضمان استخدام تلك التقنيات بشكل أخلاقي ومفيد للمجتمع بأسره (أولا). لكن إلى

أي مدى كانت هذه التشريعات كافية؟ وإلى أي حدٍّ استطاعت أن توازن بين التحول الرقمي وبين حماية الحقوق والقيم الأساسية؟ (ثانيا).

أولا: فرص وتحديات التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي أمام التشريعات والسياسات القانونية

يشغل التحول الرقمي مكانة متزايدة، سواء في حياة الأفراد أو داخل المؤسسات. وقد قطع خلال السنوات الأخيرة، شوطًا كبيرًا وأصبح قادراً اليوم على تنفيذ مهام متنوعة ومعقدة بشكل متزايد. وتقدمت بعض مظاهر هذا التحول بسرعة مذهلة وفتحت آفاقا لم نكن نتصورها قبل عقدين من الزمان تقريبًا. وإن أُعتُبِر هذا مصدراً للتقدم؛ إلا أنه يثير العديد من التساؤلات والتخوفات من الناحية الأخلاقية. ومع توالي استخدام تقنيات المعلوميات والاستفادة من سرعة تحليل البيانات الضخمة، يشهد الذكاء الاصطناعي تقدمًا لا مثيل له. تعمل هذه التقنيات على تحسين الخدمات الصحية والمهنية والتجارية بشكل كبير بالإضافة إلى مجالات أخرى يشكل فيها تحليل البيانات والتأليف الآلي وتحسين اتخاذ القرار قيمة مضافة[1].

لا توجد طريقة واحدة للتحول الرقمي، وكل بلد يحدد سياساته واستراتيجياته استنادًا إلى واقعه وطموحاته ورؤيته المستقبلية لمشاريعه الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى الوسائل المتاحة لديه والتي يمكنه توظيفها والاستعانة بها في تنفيذ مشاريع الانتقال الرقمي[2].

في المغرب، من الضروري التأكيد على أهمية إدماج هذه التطورات والتقنيات التكنولوجية في منظومة التدبير والتسيير لتحديث الإدارات العمومية والقطاعات الاجتماعية مثل التعليم والصحة، وتطوير صناعة رقمية تعتمد على مجالات

[1] Organisation de coopération et de développement économiques (l'OCDE), Transformation numérique et productivité, op. cit., p. 66.

[2] ياسين سعد غالب، الإدارة الإلكترونية وأفاق تطبيقاتها العربية، منشورات معهد الإدارة العامة، الرياض، السعودية، 2005، ص. 25.

تكنولوجية محددة، تُدعمها شركاتٌ ومؤسساتٌ وطنية[1]. ومن المهم أن نؤكد على أهمية استخدام التقنيات الرقمية في هذه المؤسسات كوسيلة لتحقيق أداء اقتصادي فعال[2].

والمغرب لا يمكن أن يبقى بعيدا عن مثل هذه التحولات العميقة التي تَحدُث في كل مكان من هذا العالم. وسيكون، وبدون أدنى شك، تأثير لمثل هذا التحول الرقمي على مختلف العمليات الاجتماعية والاختيارات المتعلقة بكيفيةٍ تُوافق مختلف المعايير والمبادئ والقيم التي تشكل نموذجاً للمجتمع، والذي بدوره يجب على ثقافته أن تتبنى هذه التحولات[3]. هذا يعني أنه على الرغم من تطور التكنولوجيا بسرعة وبشكل متسارع، إلا أن الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية من جانبها تتطور بشكل تدريجي لا ترقى إلى السرعة المطلوبة. وبالتالي، فإنها غالبا ما تتأخر في التكيف واستيعاب الابتكارات التي تقدمها الثورة الرقمية. وبناءً على ذلك، فإن التقدم التكنولوجي لا يترجم على الفور إلى تقدم اجتماعي واقتصادي[4].

وبالرغم مما تُظهره التقنيات الرقمية من إمكانية تحسين السياسات العامة من خلال اقتراح وبلورة تصميم أكثر ابتكارًا، وتقييم أكثر دقة للسياسات الحالية، وزيادة تشاركية المواطنين في ذلك، سواء على المستوى الاقليمي أو الوطني. ومع ذلك، تعتمد فعالية تبني هذه التقنيات ونجاحها على استعداد وقدرة الإدارات على دمجها، فضلاً عن حل مشاكل الخصوصية الفردية والأمن الرقمي[5].

يذكر أنه في القطاع العام، تسمح الأجهزة الاستشعارية والبيانات المتاحة بمتابعةٍ أكثرَ مباشرة لنتائج الإجراءات المتخذة، مما يُسهّل الامتثال للقواعد القائمةِ

[1] المجلس الأعلى للحسابات بشأن تقييم إستراتيجية المغرب الرقمي 2013، مرجع سابق.

[2] Organisation de coopération et de développement économiques (l'OCDE), Transformation numérique et productivité, op. cit., p. 68.

[3] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج، إحالة ذاتية رقم: 2021/152، ص. 11.

[4] Organisation de coopération et de développement économiques..., op. cit., p. 69.

[5] Ibid.

وتوجيهٍ التدخلات بدقة أكبر وبتكلفة أقل. على سبيل المثال، في المجال المالي، تساعد إمكانية متابعة تدفقات الأموال بدقة في ضمان امتثال التنظيمات المالية للتعليمات الادارية وإدارة أفضل للمالية العامة للشركات والمؤسسات العمومية[1]. في المجال الزراعي، تمكن التحليلاتُ عن بُعد والتَّعدادُ الرقمي للأراضي الفلاحية الدولَ والحكومات من تقديم الدعم المباشر للمزارعين المستحقين وضمان الامتثال لقواعد الزراعة المستدامة. وفي مجال التعليم، سمحت إمكانية تتبع التلاميذ على مدار مسار تعليمهم لبعض البلدان بالكشف عن أن العمل والممارسة في بعض المؤسسات الدراسية لا يتماشى مع النظريات التعليمية والمناهج لتربوية المعتمدة، مما دفعها إلى تجربة واعتماد مسارات تعليمية جديدة[2].

وبصفة عامة فإن الإدارة الرقمية تكتسب قوة أكثر فأكثر في المغرب، وتشير التجربة القصيرة المعتمدة إلى أنه، على غرار تحول الشركات إلى العالم الرقمي، فإن الانتقال الناجح إلى الإدارة الرقمية الناجحة يتطلب استثمارات إضافية وإعادة تنظيم العمليات والخدمات الإدارية من جديد. ويمكن أن يؤدي الاعتماد المتزايد على الإدارة الرقمية إلى تحسين إنتاجية القطاع العام وعالم الأعمال[3]. ويمكن تفسير هذا التأثير بحقيقة أن الإدارة الرقمية تعزز تطوير المهارات الرقمية في السكان، وتشجع الشركات على اعتماد التقنيات الرقمية لتسهيل تفاعلاتها مع السلطات العامة وتساعدها في تحسين خدماتها من خلال وصول أفضل إلى البيانات وتعزيز تفاعلات أفراد المجتمع مع مؤسسات الدولة[4].

ولكن يعترض هذا التحول الرقمي العديد من التحديات؛ إذ أن تزايد دقة البيانات وحجمها الكبير ومشاركتها بين أكثر من مؤسسة وتعاظم الشراكات بين

[1] وخلوف بدر، دور التحول الرقمي في تجويد الخدمة العمومية بالمغرب، مجلة القانون والأعمال، ع58، 2020، ص. 194.

[2] Ibid.

[3] وخلوف بدر، دور التحول الرقمي في تجويد الخدمة العمومية بالمغرب، مرجع سابق، ص. 197.

[4] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج، مرجع سابق، ص. 13.

القطاعين العام والخاص، قد يؤدي إلى مشاكل في استتباب الأمن الرقمي وفرض تساؤلات مشروعة بشأن حماية الخصوصية الشخصية للأفراد.

وإذا كانت هذه التحديات المتعلقة بتطبيق التكنولوجيا الرقمية تمس على حد سواء القطاعين العام والخاص، فيمكن التأكيد على أنها تكون أكثر حدة عندما تتعلق بالقطاع العام، لأن هذا الأخير يمتلك معلومات وبيانات أكثر شخصية وَدِقَّة حول الأفراد. وبالإضافة إلى ذلك، فإن عدم كفاية البنية التحتية العامة التي قد تكون ضرورية لربط مصادر البيانات المتباينة تشكل عائقاً كبيراً. ومن جهة أخرى، فإنه إذا كان ضمان المزيد من البيانات والمعطيات يؤدي عموماً إلى تحسين السياسات العمومية المتبعة، فإن هذا التوافر لا يشكل علاجاً لكل مشكلة قد تُطْرح، ويترافق ذلك مع وجود أخطار يجب التعامل معها بحذر؛ إذ أنه في بعض الحالات، يجب أن نكون حذرين من توفر كمٍّ هائل من البيانات. ونتيجة لذلك، فإن القطاع العام لم يعتمد هذه الأدوات الجديدة بنفس القدر الذي اعتمده القطاع الخاص. وقد يكون التحدي الرئيسي هو تعميم الممارسات الرقمية الجيدة ضمن المؤسسات العمومية الوطنية والتعاون بين القطاعين العام والخاص من أجل تسريع وثيرة الاستفادة من التحول الرقمي[1].

وبالرغم من الاهتمام الكبير من قبل القطاع العام بالتطورات التكنولوجية وسعيه جاهداً إلى تنزيل التحول الرقمي على جميع مؤسساته التي تهدف إلى تحسين الخدمات والأداءات، وربما السعي وراء تحقيق الربح وكسب الوقت، إلا أنه ما يزال يعاني من نقص في التشريعات، وحتى لو تم اقتراح بعض القوانين، غير أن التقدم السريع الذي يعرفه هذا المجال يجعل هذه التشريعات المستقبلية تتقادم بسرعة.

[1] ظهير شريف رقم 192-14-1 صادر في فاتح ربيع الأول 1436 الموافق 24 ديسمبر 2014، بتنفيذ القانون رقم 86/12، المتعلق بعقود الشراكة بين القطاعين العام والخاص، الجريدة رسمية عدد 6328 بتاريخ 22 يناير 2015.

وقد صدرت العديد من التشريعات والقوانين التي تهدف إلى تحديد إطار عمل قانوني مناسب لتنظيم التكنولوجيات الجديدة والتحول الرقمي، وتحد من السلبيات وتعزز الجوانب الإيجابية وضمان حماية خصوصية المستهلكين وتحديد كيفية جمع واستخدام البيانات الشخصية.

تعتبر اللائحة العامة لحماية البيانات [1] (RGPD) Règlement général sur la protection des données من أبرز القوانين في مجال حماية البيانات الشخصية، حيث تمنح المستهلكين حقوقاً واضحةً. كما تفرض هذه اللائحة على الشركات والمؤسسات الالتزام بمعايير صارمة لحماية البيانات والإبلاغ عن انتهاكات البيانات، وهي تشير إلى قانون حماية البيانات الشخصية الذي تم اعتماده في الاتحاد الأوروبي. فقد تم اعتماد هذا القانون لحماية خصوصية المواطنين الأوروبيين وتحديد كيفية جمع ومعالجة وتخزين المعطيات الشخصية. كما يضمن GDPR حقوقًا للأفراد تشمل الحق في الوصول إلى بياناتهم الشخصية، والحق في تصحيحها، والحق في حذفها، وحق نقل البيانات، بالإضافة إلى مجموعة من الإجراءات والمتطلبات التي يجب على الشركات والمؤسسات الالتزام بها عند معالجة البيانات الشخصية [2].

وتعد توجيهات الاتحاد الأوروبي (Network and Information Security NIS Directive) إطاراً قانونياً مهماً لتحسين الأمن السيبراني في الاتحاد الأوروبي[3]. والتي تهدف إلى تعزيز الأمن في القطاعات الحيوية للبنيات التحتية بكل أنواعها، مثل

[1] Site officiel de l'Union européenne sur le GDPR : Règlement général sur la protection des données (GDPR)

[2] Règlement (UE) 2016/679 du Parlement européen et du Conseil du 27 avril 2016 relatif à la protection des personnes physiques à l'égard du traitement des données à caractère personnel et à la libre circulation de ces données, et abrogeant la directive 95/46/CE (règlement général sur la protection des données) (Texte présentant de l'intérêt pour l'EEE). Disponible sur le site : http://data.europa.eu/eli/reg/2016/679/oj

[3] Directive (EU) 2022/2555 of the European Parliament and of the Council of 14 December 2022 on measures for a high common level of cybersecurity across the Union, amending Regulation (EU) No 910/2014 and Directive (EU) 2018/1972, and repealing Directive (EU) 2016/1148 (NIS 2 Directive) (Text with EEA relevance), disponible sue le sit: http://data.europa.eu/eli/dir/2022/2555/oj.

الطاقة والنقل والصحة والتعليم والخدمات المالية، من خلال تعزيز قدرة الدول الأعضاء على التجاوب السريع للأمن السيبراني وتقليل تأثير الحوادث السيبرانية التي قد تحدث في أي لحظة. ويفرض هذا النظام (NIS) من الدول الأعضاء اتخاذ تدابير لضمان الأمن السيبراني للمؤسسات الحيوية والاستراتيجية التابعة لها، بما في ذلك تطبيق إجراءات الوقاية والاستجابة وتبادل المعلومات السيبرانية من أجل تعزيز استقرار البنية التحتية الحيوية في الاتحاد الأوروبي وضمان استمرار تقديم مختلف الخدمات الحيوية للمواطنين[1].

وينضاف إلى ذلك مجموعة من القوانين والتشريعات التي تتطلبه حماية خصوصية التلاميذ والطلبة والمعلمين والموظفين في مجال التعليم عبر الإنترنت، وتنظيم كيفية جمع واستخدام البيانات الشخصية، وتعزيز التعلم عن بُعد بما في ذلك توفير البنية التحتية اللازمة وتوفير الدعم التقني والتدريب للمعلمين وسن تشريعات تهدف إلى تنظيم استخدام التكنولوجيا في التوظيف وضمان عدم وجود تمييز غير مبرر. وهذا بلا شك قد يساهم في تنظيم وتوجيه التكنولوجيا الرقمية والحوسبة السحابية والذكاء الاصطناعي والتحليلات الضخمة للبيانات وغيرها من التكنولوجيات الجديدة نحو الاستفادة القصوى منها، والحد من السلبيات المحتملة التي قد تعتريها.

في المغرب، هناك عدة تشريعات وقوانين تهدف إلى تنظيم التكنولوجيا الجديدة والتحول الرقمي وتعزيز الجوانب الإيجابية لها. ويأتي القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي الذي صدر في 2009[2]، في إطار حماية الأفراد من الاستعمال التعسفي للمعطيات التي من شأنها انتهاك خصوصياتهم ومواءمة النظام القانوني المغربي المتعلق بحماية

[1] Ibid.

[2] الظهير الشريف رقم 1.09.15 صادر في 22 من صفر 1430 (18 فبراير 2009) بتنفيذ القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي.

المعطيات ذات الطابع الشخصي مع نظام شركائه الأوروبيين. وبالإضافة إلى ذلك، تم بموجب هذا القانون، إحداث اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي. وصدر أيضا مرسوم تطبيقي[1] لهذا القانون.

ويهدف قانون رقم 43.20[2] في المغرب إلى تحديد النظام المطبق على خدمات الثقة بشأن المعاملات الإلكترونية ووسائل التشفير وتحليل الشفرات، بالإضافة إلى تنظيم عمليات مقدمي خدمات الثقة والقواعد التي يجب عليهم الالتزام بها، وكذلك أصحاب الشهادات الإلكترونية. يأتي هذا القانون في إطار تعزيز الثقة في المعاملات الإلكترونية السائدة وتشجيع استخدام التكنولوجيا الرقمية في البلاد. يعكس هذا القانون جهود المشرع المغربي في مجال تطوير التشريعات التي تسهل وتحمي المعاملات الإلكترونية، وتعزز الثقة في البيئة الرقمية.

وقد تم إعداد مرسوم تنفيذي[3] لتطبيق القانون السالف الذكر رقم 20-43 في إطار تنظيمي يهدف إلى تعزيز استخدام خدمات الثقة الإلكترونية وتحديد القواعد المطبقة عليها وفقًا للمعايير الدولية. يأتي هذا المرسوم تنفيذاً للتوجيهات السامية لتطوير الحوكمة الرقمية وتحسين الخدمات الإلكترونية المقدمة للمواطنين[4]. من خلال تحديد إطار تنظيمي محكم، وبهدف توجيه الجهود نحو تحقيق التكامل الرقمي في الإدارة العامة وتعزيز الثقة في استخدام التقنيات الرقمية. كما يسعى المرسوم إلى تعزيز الاستقرار والأمان في البيئة الرقمية من خلال تطبيق

[1] مرسوم رقم 165-09-2 صادر في 25 من جمادى الأولى 1430 (21 ماي 2009) لتطبيق القانون رقم 08-09 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي.

[2] الظهير الشريف رقم 100-20-1 صادر في 16 من جمادى الأولى 1442 (31 ديسمبر 2020) بتنفيذ القانون رقم 20-43 المتعلق بخدمات الثقة بشأن المعاملات الإلكترونية.

[3] المرسوم رقم 2.22.687 الصادر في 21 ربيع الثاني 1444 (16 نوفمبر 2022) المعتمد بتطبيق القانون رقم 43.20 المتعلق بخدمات الثقة بشأن المعاملات الإلكترونية في الجريدة الرسمية رقم 7160.

[4] قشطي نبيلة، حوكمة التحول الرقمي، مجلة الشرق الأوسط للعلوم الإنسانية والثقافية، المجلد 1 ، العدد 5, ص. 230.

معايير دولية وضمان توافق التشريع المحلي مع المعايير العالمية في مجال الأمان السيبراني.

هذا المجال الذي ينظمه القانون رقم 05.20[1] والذي يهدف أيضًا إلى تعزيز أمن أنظمة المعلومات في القطاع العام والمؤسسات العمومية، وذلك من خلال وضع إطار قانوني يحدد الإجراءات اللازمة لحماية البيانات والمعلومات الحساسة، وتنظيم استخدام التكنولوجيا والأنظمة المعلوماتية في هذه الجهات. يهدف القانون أيضًا إلى تحسين إدارة المعلومات وضمان سلامتها وسريتها، وتحقيق توازن بين استخدام التكنولوجيا لتحقيق الفعالية والحفاظ على حقوق الأفراد في الحصول على المعلومة[2] وعلى خدمات آمنة وموثوقة؛ وقد تم تفصيل ذلك في المرسوم التنفيذي[3] لهذا القانون.

هذه التشريعات والقوانين تشكل إطارًا قانونيًا لتنظيم التكنولوجيا الجديدة والتحول الرقمي في المغرب، وتُعزز الجوانب الإيجابية لها من خلال توفيرِ بيئةٍ مناسبةٍ للنمو والتطور التكنولوجي[4].

يمكن التحول الرقمي من تحقيق فوائدٍ كبيرةٍ، مثل تحسين الخدمات العامة، وتعزيز التفاعل بين الحكومات والمواطنين، وتحسين كفاءة العمليات والخدمات الحكومية. ومع ذلك، هناك أيضًا تحديات ومخاطر قد تظهر في أي لحظة[5]، وتتعلق بخصوصية المعطيات الشخصية للأفراد وأمانها، وتأثير التكنولوجيا على سوق

[1] الظهير الشريف رقم 1.20.69 صادر في 4 ذي الحجة 1441 25(يوليو 2020) بتنفيذ القانون رقم 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني.

[2] الفصل 27: "للمواطنات والمواطنين حق الحصول على المعلومات الموجودة في حوزة الإدارة العمومية، والمؤسسات المنتخبة، والهيئات المكلفة بمهام المرفق العام، الجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر بتاريخ 30 يوليوز 2011، ص: 3600.

[3] مرسوم رقم 406-21-2 صادر في 4 ذو الحجة 1442 (15 يوليو 2021) بتطبيق القانون رقم 20-05 المتعلق بالأمن السيبراني.

[4] المجلس الأعلى للحسابات بشأن تقييم إستراتيجية المغرب الرقمي 2013، مرجع سابق.

[5] L'Institut Royal des Etudes Stratégiques (IRES), "La transformation numérique : les leviers d'une stratégie ambitieuse pour le Maroc", 5 septembre 2017, p. p. 42-46.

العمل. لذا، من المهم أن يكون هناك تشريعات وقوانين- كما أشارنا إلى ذلك في السابق- تُحدث توازنا بين استخدام التكنولوجيا للتقدم الاجتماعي والاقتصادي، وضمان حقوق الأفراد في المجتمع. لكن إلى أي حدٍّ استطاعت هذه التشريعات أن توازن فعلا بين هذا التحول الرقمي المهول الذي يعرفه المغرب وبين حماية الحقوق والقيم الأساسية؟

ثانيا: إلى أي حدٍّ استطاعت التشريعات أن توازن بين التحول الرقمي وبين حماية الحقوق والقيم الأساسية؟

أمام الحاجة المتزايدة للمعلومات والاتصالات وبعد توغل ما يُعرف اليوم بـ"ثورة وسائل الإعلام والاتصالات"، وانتشار التكنولوجيا الجديدة في هذا المجال على نطاق عالمي، وأمام التحول الرقمي المهول الذي صاحبه انتشار تقنيات الذكاء الاصطناعي، تُطرح تساؤلات جديدة في الوقت الحاضر تتركز حول المبادئ والقواعد القانونية التي ستنظم هذه الوسائل الجديدة. بالإضافة إلى ذلك، نجد أنفسنا أمام جدل كبير يتصادم فيه أنصار مبدأ الحرية، الذين يتبنون رؤية ليبرالية عالمية للمعلومات والاتصالات، مع أنصار تقييد هذا المبدأ، الذين يتبنون رؤية وطنية ومحافظة تجاه البيانات والمعطيات.

ويتعلق أحد القضايا الأخلاقية المهمة المرتبطة بتطوير الذكاء الاصطناعي حوكمة البيانات. فبالفعل، تعتمد تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدم التعلم الآلي على كمية هائلة من البيانات لتدريب خوارزمياتها[1]. وبالتالي، أصبحت البيانات موارد ثمينة ومرغوبة من قبل مختلف الجهات العامة والخاصة. ومما لا شك فيه فإن العديد من القضايا الأخلاقية ترتبط بطبيعة هذه البيانات ذاتها، وكيفية جمعها، وتخزينها، واستخدامها، ومشاركتها[2]. على سبيل المثال، هل يمكننا القول إن

[1] قشطى نبيلة، حوكمة التحول الرقمي، مرجع سابق، ص. 403.

[2] Joé T. Martineau, Emmanuelle Gril, Transition numérique et intelligence artificielle : d'importants enjeux éthiques à surveiller, op. cit, p. 60.

شخصًا قد وافق بشكل حر وعقلاني على استخدام ومشاركة بياناته الشخصية لأنه وضع علامة، وبسرعة، على خانة من أجل الوصول إلى تطبيق محمول؟

تُثار أسئلة أخلاقية أخرى مباشرة حول أنظمة الذكاء الاصطناعي التي تم تطويرها أو نشرها في بعض المؤسسات. يمكننا أولاً أن نسأل عن الأهداف التي تسعى إليها هذه الأنظمة. فعلى الرغم من أن كل تقدم تكنولوجي ليس بالضرورة مرغوب فيه في كل سياق، وأن فتح أبواب جديدة ليس يعني بالضرورة أنه يجب علينا استكشافها[1]. على سبيل المثال، لنستحضر مشروع استنساخ الجنين البشري: على الرغم من أننا نعلم أن هذا ممكن علمياً، إلا أن مجتمعنا قرر، بناءً على مختلف الاعتبارات الأخلاقية، أن هذا التطور ليس مرغوبًا فيه بتاتا. يمكن تطبيق نفس المنطق على بعض تطبيقات الذكاء الاصطناعي التي قد لا تتوافق مع رؤيتنا للمصلحة العامة أو التقدم الاجتماعي بالرغم من أنه يمكن تنفيذها.

بالإضافة إلى ذلك، حتى لو تم تطوير العديد من التقنيات المعلوماتية بنزاهة، قد تُظهر بعضها إمكانية للاستخدام الضار أو غير الأخلاقي. على سبيل المثال، تشكل الروبوتات القاتلة القابلة للبرمجة عبر تسليح مبني على الذكاء الاصطناعي تهديدًا للحياة البشرية[2]. يمكن أيضًا أن يسبب الاستخدام المزدوج لتقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال الصحة مشكلة عويصة؛ على سبيل المثال، في سياق جائحة COVID-19، تعرضت تطبيقات تتبع حالات الإصابة بالفيروس والمرتبطة بتتبع اتصالات الأفراد من خلال تحديد مواقع هواتفهم المحمولة، لمناقشات مستفيضة في العديد من البلدان، حيث يتساءل المشرعون ليس فقط عن فوائدها الفعلية، ولكن أيضًا عن أخطار وانحرافات استعمالها.

[1] Joé T. Martineau, Emmanuelle Gril, Transition numérique et intelligence artificielle : d'importants enjeux éthiques à surveiller, op. cit, p. 60.

[2] Joé T. Martineau, Emmanuelle Gril,... op. cit., p. 61.

وهناك أمر مهم جدًا في سياق الذكاء الاصطناعي مرتبط بقطاع الصحة؛ فإذا حدث خطأ ناتج عن قرار اتخذه محترف في مجال الصحة بدعم من نظام ذكاء اصطناعي، مثل اختيار علاج أو دواء معين للوصف، سيصبح من الصعب تحديد من يتحمل المسؤولية القانونية عن هذا الخطأ. هل هو المحترف في مجال الصحة، أم النظام الذكاء الاصطناعي نفسه الذي ساعده، أم الأفراد المشاركين في تطويره، أم الشركة التي قدمته إلى السوق؟

إن تفويض المسؤولية القرارية والأخلاقية بالكامل إلى الآلات المعتمدة على أنظمة الذكاء الاصطناعي يمثل تحديًا أخلاقيًا يعيشه المجتمع ويواجه الدول. هل نحن مستعدون لقبول أن تحل هذه الآلات، في بعض السياقات، محل اتخاذ الأفراد لمجموعة من القرارات؟ وكيف سنترك السيارات الذاتية القيادة أن تتحكم في القرارات المتعلقة بحياة وموت المشاة وراكبي الدراجات الهوائية أو سائقي المركبات الأخرى؟ وهل ستكون الروبوتات المرافقة قادرة على الحكم في المواقف التي تستحضر بعدًا أخلاقيًا؟ هذه جملة من القضايا والتساؤلات التي لم تجد بعد أجوبة لها.

وينضاف إلى هذه المخاوف والانحرافات الثقة في هذه التكنولوجيات وقبولها اجتماعيًا[1]. بالتالي، فإن الثقة في تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي أمر لا غنى عنه لقبولها من قبل مختلف الفئات في مجتمعاتنا، سواء كانوا محترفين أو مديرين أو صناع قرار أو مستخدمين أو كانوا محكومين أو حكاما. إذا كان الجمهور يشعر بالحذر أو لا يفهم كيفية عمل التكنولوجيا، فقد يرفضها، مما سيؤدي بالضرورة إلى تقليل استخدامها وعدم قبولها والتخوف منها[2].

[1] محمد البقالي، إدخال المعلوميات إلى إدارة الجمارك والضرائب غير المباشرة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، السنة الجامعية 2000-2001، ص. 14.

[2] Joé T. Martineau, Emmanuelle Gril, Transition numérique et intelligence artificielle : d'importants enjeux éthiques à surveiller, op. cit., p. 62.

ويُذكر أن بعض هذه التكنولوجيات المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، خاصة تلك التي تعتمد على التعلم الآلي والسريع وتُحاكي الذكاء البشري، تتميز بما يسمى بظاهرة "الصندوق الأسود": فمن الصعب أحيانًا فهم وتفسير كيف وصل نظام معين إلى اقتراح قرار بعينه[1]. ومع ذلك، لأن كلما كان هذا النظام أقل شفافية، كلما كان المستخدمون أقل ولاءً له وأقل رغبة في قبوله. في النهاية، قد تجد الدول أو الشركات أنفسها قد استثمرت في تكنولوجيات مكلفة ومتطورة، ستضطر في الأخير إلى التخلص منها بسبب عدم قبولها اجتماعيًا[2].

علاوة على ذلك، ونظرًا لأن تعلمها يعتمد على بيانات وقرارات بشرية تكون أحيانًا غير مثالية، فإن هذه الأنظمة قد تكرر وتكرس انحيازات معينة على حساب بعض الفئات المهمشة. وهذا ما يعرف بـ "التمييز الخوارزمي"[3].

ومن ناحية أخرى، تُثار تساؤلات مهمة حول تأثير تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتشغيل الآلي على سوق العمل، حيث قد تؤدي هذه التطورات إلى اختفاء أو فقدان الملايين من الوظائف في جميع القطاعات الحيوية. وهذه الثورة الحقيقية ستستدعي تحولًا عميقًا في المهام والأدوار وهوية بعض المهن الاحترافية، وستستلزم منا تفكيرًا في تطوير العمل وطرق الانتقاء المعتمدة.

نذكر أيضًا تأثيرات تطوير الذكاء الاصطناعي على البيئة؛ فنظرًا للكمية الهائلة من الطاقة المستخدمة في تدريب خوارزميات التعلم الآلي، بالإضافة إلى البنية

[1] Joé T. Martineau, Emmanuelle Gril, Transition numérique et intelligence artificielle : d'importants enjeux éthiques à surveiller, op. cit., p. 62.

[2] KLA Abdelhak, L'administration Marocaine dans ses relations avec le public, Thèse pour l'obtention du Doctorat d'Etat en droit public, faculté de science juridiques, économique et sociale, Agdal, Rabat, 1985, p. 264

[3] Ibid.

التحتية اللازمة لدعم تطويرها وتخزين البيانات. هذه العوامل تزيد من التأثير البيئي لتقنيات الذكاء الاصطناعي.

علاوة على ذلك، فإن الاعتماد على التكنولوجيا وتنزيل العمل بالتحول الرقمي في العديد من الإدارات التي تتميز بكونها قادرة على العمل على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، ولا تتطلب رواتب أو ظروف عمل معينة؛ كل هذا قد يدفع الدول إلى استبدال الموظفين والعمال بالآلات[1]. مما يعني أن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي ستطرح تحديات جديدة تتعلق بكيفية تغييرها لسوق العمل والوسائل التي سنستخدمها للتكيف مع هذه التحولات، وهي تساؤلات وتحديات لا يزال من الصعب الإجابة عليها.

خاتمة

من الواضح أن التحول الرقمي يؤثر على جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، بتأثيرات معقدة ومترابطة، تؤثر بدورها على بلورة السياسات العامة في العديد من المجالات. ونتيجة لذلك، تتلاشى الحواجز بين مختلف القطاعات وتختفي الحدود الجغرافية. لذا فمن الضروري تعزيز التعاون والتنسيق على الصعيدين الوطني والاقليمي وإعادة التفكير في طرق صياغة وتنفيذ هذه السياسات.

ومن أجل تحقيق الفرص الكاملة التي يوفرها التحول الرقمي والتصدي للتحديات المرتبطة به من جهة، ولدعم بلورة وصياغة السياسات في عصر الرقمنة من جهة أخرى، أصبح من الضروري معرفة نسبة التحول الرقمي في المؤسسات وتأثيره، خاصة فيما يتعلق بمجموع البيانات والمعطيات ومدى تدفقاتها، ودرجة ثقة المواطنين بهذا التحول. هذا سيساعد على تعزيز الابتكار في العمل، وتحسين كفاءته

[1] Joé T. Martineau, Emmanuelle Gril, Transition numérique et intelligence artificielle : d'importants enjeux éthiques à surveiller, op. cit., p. 63.

وفعاليته، وإجراء تقييم دقيق لتأثيره، وجعل المواطنين والشركاء يشاركون فيه على نطاق واسع. بالإضافة إلى ذلك، يجب على السلطات العمومية أن تولي المزيد من الاهتمام لموضوع حماية الخصوصية والأمان وضمان حقوق الملكية الفكرية.

إلى جانب ذلك، يتجاوز الإنترنت الحدود الوطنية ويشوش على مفاهيم المكان والمسافة والإقليم، مما يجعل من الضروري تعزيز التعاون الدولي في هذا المجال، الذي يعتبر شرطًا أساسيًا لتحقيق عملٍ متعددِ الأطراف وفعال في العديد من المجالات.

يجب أيضًا أن نأخذ في الاعتبار تأثير التحول الرقمي على مجموعة من الوظائف والمهارات. إذ من المهم تعزيز استخدام التكنولوجيا لتحديد المهارات المطلوبة وربطها بالفرص المتاحة، بالإضافة إلى دعم وتعزيز الشراكات بين القطاعين العام والخاص لتصميم وإعداد مبادرات جديدة تُسهل التحول المهني. ينبغي أيضًا توفير بيانات أكثر شمولًا لتحديد نهج أكثر فعالية (على سبيل المثال، فيما يتعلق بتحديات إعادة توجيه القوى العاملة، وتوفير التعلم مدى الحياة، والحصول على بيانات متعددة تمكن من تطوير المهارات وخلق وظائف جديدة).

يجب أيضًا تقليل الفجوات الرقمية بين الأفراد المرتبطة بالسن والمستوى التعليمي والجنس والدخل والإعاقة والموقع الجغرافي، التي تستمر داخل البلدان وبينها. لضمان أن تكون العملية التحولية شاملة، من الضروري معالجة هذه الوضعية من خلال تنفيذ سياسات تضمن للجميع الوصول إلى خدمات الإنترنت عالية السرعة بتكلفة معقولة.

ولكن بالرغم من كل ما سبق، تُطرح دائما العديد من الأسئلة من قبيل: كيف يمكن التأكد من استخدام هذه التقنيات بشكل صحيح وتجنب المسارات الخاطئة المحتملة؟ وكيف يمكن تقليل المخاطر المحتملة دون المساس بتطور ونمو الشركات؟ وكيف يمكن تعزيز ثقة المواطنين في الذكاء الاصطناعي واستخدامه من قبل

الشركات؟ في مثل هذا السياق، أصبح موضوع الأخلاق أمرًا لا بد من طرحه. إذ لا بد من التذكير أن الأخلاق هي التي تدفع الفرد والمجتمع معا إلى التفكير في تفضيلاتنا واختياراتنا وسلوكياتنا التي تهدف تحقيق الصالح العام.

ختاما، أصبح من الضروري أن نتخلص من التقسيمات القطاعية ونتبنى نهجًا أكثر شمولًا لفهم كيف تعيد التحولات الرقمية تشكيل حياتنا، وكيف يمكننا الاستفادة من ذلك، وتشكيل مستقبل رقمي مشترك يستفيد من الفرص الهائلة التي يوفرها التحول الرقمي لتحسين حياة المواطنين وتعزيز النمو الاقتصادي، مع ضمان الحقوق والقيم الأساسية.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- أحمد حمدي عبد المنعم النحاس، ندا طارق دبا، إدارة مخاطر التحول الرقمي، المقالة 25، المجلد 13، العدد 2 - الرقم المسلسل للعدد 1، مارس 2022.
- داود عبد الرازق الباز، الإدارة العامة، الحكومة الإلكترونية وأثرها على النظام القانوني للمرفق العام وأعمال موظفيه، مركز البحوث، الكويت، سنة 2004.
- قشطى نبيلة، حوكمة التحول الرقمي، مجلة الشرق الأوسط للعلوم الإنسانية والثقافية, المجلد 1 ، العدد 5.
- المجلس الأعلى للحسابات بشأن تقييم إستراتيجية المغرب الرقمي 2013، تقرير خاص تحت عدد 3/05 ،CH 4/ فبراير 2014.
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج، إحالة ذاتية رقم: 2021/152.
- محمد البقالي، إدخال المعلوميات إلى إدارة الجمارك والضرائب غير المباشرة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، السنة الجامعية 2000-2001.
- وخلوف بدر، دور التحول الرقمي في تجويد الخدمة العمومية بالمغرب، مجلة القانون والأعمال، ع58، 2020.
- ياسين سعد غالب، الإدارة الإلكترونية وأفاق تطبيقاتها العربية، منشورات معهد الإدارة العامة، الرياض، السعودية، 2005.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Directive (EU) 2022/2555 of the European Parliament and of the Council of 14 December 2022 on measures for a high common level of cybersecurity across the Union, amending Regulation (EU) No 910/2014 and Directive (EU) 2018/1972, and repealing Directive (EU) 2016/1148 (NIS 2 Directive) (Text with EEA relevance), disponible sue le sit: http://data.europa.eu/eli/dir/2022/2555/oj.
- Joé T. Martineau, Emmanuelle Gril, Transition numérique et intelligence artificielle : d'importants enjeux éthiques à surveiller, Dans Gestion 2023/1 (Vol. 48), pages 60 à 64, Disponible à l'adresse électronique : https://www.cairn.info/revue-gestion-2023-1-page-60.htm
- KLA Abdelhak, L'administration Marocaine dans ses relations avec le public, Thèse pour l'obtention du Doctorat d'Etat en droit public, faculté de science juridiques, économique et sociale, Agdal, Rabat, 1985.
- Organisation de coopération et de développement économiques (l'OCDE), Transformation numérique et productivité : une histoire de complémentarités, Perspectives économiques de l'OCDE 2019, numéro 105, pages 65 à 100, L'article disponible en ligne à l'adresse suivante : https://www.cairn.info/revue-perspectives-economiques-de-l-ocde-2019-1-page-65.htm.
- L'Institut Royal des Etudes Stratégiques (IRES), "La transformation numérique : les leviers d'une stratégie ambitieuse pour le Maroc", 5 septembre 2017.
- Règlement (UE) 2016/679 du Parlement européen et du Conseil du 27 avril 2016 relatif à la protection des personnes physiques à l'égard du traitement des données à caractère personnel et à la libre circulation de ces données, et abrogeant la directive 95/46/CE (règlement général sur la protection des données) (Texte présentant de l'intérêt pour l'EEE). Disponible sur le site : http://data.europa.eu/eli/reg/2016/679/oj
- Site officiel de l'Union européenne sur le GDPR : Règlement général sur la protection des données (GDPR)

النصوص القانونية:

- الظهير الشريف رقم 1.09.15 صادر في 22 من صفر 1430 (18 فبراير 2009) بتنفيذ القانون رقم 09.08 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي.
- الظهير الشريف رقم 1.20.69 صادر في 4 ذي الحجة 1441 25(يوليو 2020) بتنفيذ القانون رقم 05.20 المتعلق بالأمن السيبراني.
- الظهير الشريف رقم 100-20-1 صادر في 16 من جمادى الأولى 1442 (31 ديسمبر 2020) بتنفيذ القانون رقم 20-43 المتعلق بخدمات الثقة بشأن المعاملات الإلكترونية.
- الظهير الشريف رقم 192-14-1 صادر في فاتح ربيع الأول 1436 الموافق 24 ديسمبر 2014، بتنفيذ القانون رقم 86/12، المتعلق بعقود الشراكة بين القطاعين العام والخاص، الجريدة رسمية عدد 6328 بتاريخ 22 يناير 2015.
- المرسوم رقم 165-09-2 صادر في 25 من جمادى الأولى 1430 (21 ماي 2009) لتطبيق القانون رقم 08-09 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي.
- المرسوم رقم 2.22.687 الصادر في 21 ربيع الثاني 1444 (16 نوفمبر 2022) المعتمد بتطبيق القانون رقم 43.20 المتعلق بخدمات الثقة بشأن المعاملات الإلكترونية في الجريدة الرسمية رقم 7160.

توظيف الثقافة الشعبية المغربية في البرامج الإذاعية

رضوان خلدون
باحث بسلك الدكتوراه
مختبر استراتيجيات صناعة الثقافة والاتصال والبحث السوسيولوجي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة - المغرب

د. وسام شهير
أستاذ محاضر مؤهل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة – المغرب

ملخص:

تسعى هذه المقالة إلى البحث عن مواطن حضور الثقافة الشعبية في البرامج الاذاعية المغربية، من خلال البحث عن أهم صور الموروث الثقافي في بعض المنابر الاذاعية الوطنية أو الخاصة، والكشف عن صور توظيفها للثقافة الشعبية على برامج الأثير الإذاعي، سواء خلال المناسبات الدينية والثقافية والتاريخية، أو من خلال التظاهرات الاحتفالية، أو من خلال مواضيع تطرح للنقاش بشكل يومي أو أسبوعي. غير أن السؤال عن طريقة توظيف هذه الثقافة في الإذاعة المغربية يطرح نفسه بقوة، هل بشكل علمي مدروس يمكن اعتبار ه يلبي رغبات المستمعين، ويحقق الإشباعات الثقافية؟ أم أن الأمر لا يرقى لدرجة تصنيفه صناعة ثقافية، تستهدف توثيق الثقافة الشعبية المغربية، والنهوض بها؟

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
خلدون، رضوان. شهير، وسام. (2024، يوليوز). توظيف الثقافة الشعبية المغربية في البرامج الإذاعية. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 30-52.

Abstract:

This article seeks to search for the presence of popular culture in Moroccan radio programs, by searching for the most important images of cultural heritage in some national or private radio platforms, and revealing images of their use of popular culture on radio programs, whether during religious and cultural events or Historical events, or through celebratory demonstrations, or through topics raised for discussion on a daily or weekly basis. However, the question of how to employ this culture on Moroccan radio arises strongly: Is it in a scientifically studied manner that can be considered to meet the desires of the listeners and achieve cultural gratifications? Or does the matter not rise to the level of being classified as a cultural industry aimed at documenting and promoting Moroccan popular culture?

تقديم

تحضر الثقافة الشعبية بشكل واضح في وسائل الإعلام، الذي يسعى لتوظيفها بأشكال مختلفة، بناء على أسس علمية احترافية، أو عفوية دون الخضوع لتوظيف منهج دقيق. كما تفرض وسائل الإعلام نفسها بقوة في مجال التعريف بالثقافة الشعبية، لذا وجب إيلاء عنصر كيفية تناول الإعلام للثقافة الشعبية بالمغرب أهمية بالغة. مادامت جل المدارس الفكرية والثقافية قد ركزت على ضرورية تأصيل المنتوج الثقافي، والعمل على ضمان استمراريته بشكل عقلاني ومنطقي.

من بين وسائل الإعلام اخترنا الإذاعة للحديث عن جوانب حضور الموروث الثقافي في البرامج الإذاعية المغربية، والبحث عن إجابة لبعض التساؤلات، من أبرزها: كيف يساهم الإعلام السمعي الإذاعي في خدمة الثقافة الشعبية؟ وهل يؤثر سلبا أم إيجابا على محتوياتها أم يبقى على حياد؟ وهل تعتبر الإذاعة وسيلة لصيانة الموروث الثقافي الشعبي والحفاظ عليه؟ وهل هي قادرة على تشجيع المنتوج الثقافي الشعبي المغربي وتطويره؟ وهل تلبي الإذاعة الحاجيات الثقافية للمستمعين؟ وماهي مكانة الثقافة الشعبية في الإذاعة المغربية؟ تلك مجموعة من الأسئلة التي تفرض نفسها، لكن الإشكالية الحقيقية تتمثل في طريقة توظيف الثقافة الشعبية في البرامج الإذاعية، هل بطريقة احترافية وعلمية، تضمن إشباعا ثقافيا يغطي كل الرغبات والأذواق؟ أم بشكل عرضي دون الخوض بشكل منهجي في دراسة مظاهر الثقافة الشعبية المغربية؟

ستهتم هذه المقالة بالبحث عن أهم مظاهر حضور الثقافة الشعبية في بعض برامج الإذاعة المغربية الوطنية والإذاعات الجهوية والخاصة، بالتركيز على مضامين أهم البرامج الثقافية، التي تهتم بمختلف ألوان التراث والأدب الشعبي وغيرهما من الموروثات الأخرى، التي تندرج ضمن المفهوم الواسع للثقافة الشعبية.

المطلب الأول: مفاهيم لا بد منها.

1. مفهوم الإذاعة:

أ - الإذاعة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن كلمة اذاعة من ذاع و" ذيع: الذيع: أن يشيع الأمر. يقال أذعناه، فذاع وأذعت الأمر، وأذعت به، وأذعت السر إذاعة إذا أفشيته وأظهرته.

وذاع الشيء والخبر يذيع ذيعا وذيعانا وذيوعا وذيعوعة: فشا وانتشر. وأذاعه وأذاع به أي أفشاه.

ورجل مذياع: لا يستطيع كتم خبر.

والمذياع: الذي لا يكتم السر، والمذاييع جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه"[1].

ب - الاذاعة اصطلاحا:

تعتبر الإذاعة إحدى تكنولوجيات الإعلام التي سهلت عملية انتقال المعلومات والأفكار إلى الجماهير المستمعة، فهي واحدة من وسائل الإعلام الجماهيري التي تقدم المعلومات الاستهلاكية إلى المتلقي سواء كانت إخبارية أو تثقيفية أو ترفيهية وتساهم في بث الوعي وتطوير الثقافة الجماهرية وترسيخها.[2]

إن الإذاعة «عبارة عن تنظيم مهيكل في شكل وظائف وأدوار، تقوم ببث مجموعة من البرامج ذات الطابع الترفيهي والتثقيفي والإعلامي، وذلك لاستقباله في

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج 8، دار الحديث، القاهرة ،2013، الصفحة 99.

[2] - ابراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ط 2، ص 25 .

آن واحد من طرف جمهور متناثر، يتكون من أفراد وجماعات بأجهزة استقبال مناسبة."[1]

وتعدّ الإذاعة " أوسع وسائل الإعلام انتشارا ، وأكثرها شعبية، وجمهورها جمهور عام ، تستطيع الوصول إليه مخترقة الحواجز الأمنية، والعقبات الجغرافية والقيود السياسية التي تمنع بعض الوسائل الأخرى من الوصول إلى مجتمعاتها"2، فهي إحدى وسائل الاتصال الأكثر جماهيرية و سهولة، إذ تحتاج إلى جهاز بسيط لالتقاط برامج الإذاعات المختلفة ، تصل منذ نشأتها سنة 1906م آذان المستمعين وعقولهم وجوارحهم غير أبهة بالقيود الزمنية والجغرافية والأمنية، فهي جهاز إعلامي يعتمد نظاما خاصا لإرسال و بث الذبذبات الكهرومغناطيسية ،مع تضمين الموجات الصوتية على هيئة دوائر عبر الغلاف الجوي ، و يعد "المذياع" الوسيلة الوحيدة غير المرئية بين جميع وسائل الإعلام، لذا يطلق عليه أساتذة وخبراء الإعلام والاتصال "الوسيلة العمياء Blind Medium"، وهو يخلق ألفة عاطفية مع متتبعيه، فيحصلون على معارف و ثقافة ويتمكنون من متابعة الأحداث والأنباء والأنشطة داخل الوطن وخارجه. "[3] وقد بدأ الإرسال الإذاعي في المغرب سنة 1928 م" تحت اسم راديو المغرب.

مفهوم الثقافة الشعبية:

الثقافة الشعبية هي "مجموع العناصر الثقافية التي تصدر عن الشعب وتمثل حصيلة معارفه وخبراته ومهاراته في مرحلة تاريخية معينة، وأكدت الدراسات الإنسانية الحديثة أن الثقافة الشعبية تساير في نموها نمو العقل والفكر والسلوك البشري، تتسم بالأصالة وبالتالي فهي خزان التراث وحافظ له، وهي من أهم عوامل

[1] - عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ط2، ص 103.

[2] - محمد منير حجاب: الموسوعة الإعلامية، المجلد الأول، ط1 ، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر،2003، ص 162.

[3]- إبراهيم عوض ابراهيم، لغة الاذاعة "دراسة تحليلية"، دار جامعة الخرطوم للنشر والتأليف، ط 1، 2001، ص 26.

التكامل المحلي والوطني في إبرازها لخصوصية المجتمع وهويته"[1]، وتشمل الخصائص والصفات المُشتركة لمجموعة من الناس، كاللغة، والدين، والطعام، والعادات والتقاليد الاجتماعيّة، والموسيقى، والفنون، وطقوس العبور، والاحتفال، وطرق التنشئة الاجتماعيّة، وهي انعكاس للقيم، والمُعتقدات، والعادات، وتظهر في التاريخ والتراث، وطرق التعبير عن الأفكار، ولها أشكال تعبيرية تندرج ضمن الأدب الشعبي كالزجل والسير والملاحم والخرافة والأمثال والحكم أو المعتقدات. فهي الثقافة التي تميّز الشعب والمجتمع الشعبي ومقابل للثقافة "العالمة" ثقافة النخبة، وتتصف بامتثالها للتراث والأشكال التنظيمية الأساسية، والشعب هو الحامل لهذه الثقافة، وتتمظهر في كل التمثلات الجماعية لحياة الأفراد والمجتمعات، المتمثلة في تطلعات الجماعة ورغباتها ومعتقداتها، وفي نظرتها للحياة.

2. الحضور التشريعي للثقافة الشعبية المغربية في الإذاعة:

صدر بالجريدة الرسمية عدد 6093 الصادرة بتاريخ 6 ذو الحجة 1433 (22 أكتوبر 2012). مرسوم رقم 2.12.596 صادر في 25 من ذي القعدة 1433 (12 أكتوبر 2012) بنشر دفتر تحملات الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة. حول دفتر تحملات الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة المغربية، وسنلقي الضوء خلاله على اهتمامه بالشروط التي وضعها للنهوض بالثقافة المغربية والعناية بها، وفيما يلي سنستحضر أهم البنود:

ورد في المادة 11 الخاصة بالحديث عن التنوع الثقافي واللغوي والمجالي أنه يجب الاعتماد على برمجة تعكس تنوع مقومات الهوية المغربية وتجلياتها الثقافية واللغوية والفكرية والمجالية والاجتماعية، المنفتحة على الثقافات واللغات الأجنبية والقيم العالمية، وتسهم عبر مختلف برامجها، في إبرازها.

[1]- حسبن عبد الحميد احمد رشوان "الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي." الإسكندرية " مؤسسة شباب الجامعة، 2006، ص 99.

كما يجب أن تبث الشركة برامجها باللغتين العربية والأمازيغية وباللسان الحساني واللهجات والتعبيرات الشفوية المجالية المغربية المتنوعة، مع الاستعمال السليم والمبسط للغة العربية والأمازيغية في البرامج الموجهة للأطفال والجمهور الناشئ والنشرات الإخبارية والبرامج الوثائقية، وفي الترجمة المكتوبة المرافقة للأعمال المبثوثة. ويجب استعمال اللغة العربية واللغة الأمازيغية حصريا في دبلجة الأعمال الأجنبية.

وتلتزم الشركة ببث البرامج، التي تدخل في إطار الالتزامات الكمية المنصوص عليها بهذا الدفتر، بالعربية والأمازيغية والتعبيرات المغربية، وتخصيص برامج للأعمال الثقافية والفنية المغربية، وضمان التوازن بين مختلف التعبيرات الشفوية المختلفة، والمساهمة المتميزة في تثمين وتنمية وإنتاج وبث الثقافة المغربية، بتنوع مكوناتها وروافدها الثقافية واللغوية والمجالية.

وفي المادة 53 الخاصة بالبرامج الثقافية والمعرفية، حرص المشرع على تحفيز الإذاعة والتلفزة المغربيتين على تثمين الفنون والتقاليد الشعبية والأصيلة، وتوفير فرص التعبير للمواهب الجديدة، والابتكار الفني الوطني في تنوعه الجهوي واللغوي.

جاء في المادة 146 حول البرامج الثقافية والترفيه، أن الإذاعة الأمازيغية تبث برامج مخصصة للثقافة والفنون والتعبير الأدبي، لاكتشاف العالم وللحضارات وأنماط العيش، وللتاريخ، وللعلوم الإنسانية، وللطبيعة، والعلوم والتقنيات. وتقدم عروضا مسرحية ومسلسلات إذاعية وبرامج، وفقرات للموسيقى والألعاب والرياضة. وتغطي أخبار التظاهرات الثقافية ذات البعد الجهوي والوطني. وتعمل على تثمين الثقافة والفنون والتقاليد الشعبية وخاصة الأمازيغية. كما تشجع تعبير المواهب الجديدة والابتكار الفني والجهوي والوطني الأمازيغي.[1]

[1]- الجريدة الرسمية عدد 6093 الصادرة بتاريخ 6 ذو الحجة 1433 (22 أكتوبر 2012). مرسوم رقم 2.12.596 صادر في 25 من ذي القعدة 1433 (12 أكتوبر 2012) بنشر دفتر تحملات الشركة الوطنية للإذاعة و التلفزة.

المطلب الثاني: الاستخدامات والإشباعات الثقافية المنتظرة من الإذاعة المغربية.

تشير الدراسات المهتمة بنظرية الاستخدامات والإشباعات إلى وجود علاقة متينة بين البحث عن الإشباع الثقافي والتعرض لوسائل الإعلام، لكون الفرد الذي يتحكم في سلوك التعرض فهو قادر على اختيار نوع محدد من الاستخدامات التي تلبي حاجاته، وهو أمر يؤكد وجود اختلافات واضحة في البنية الذهنية والفكرية لكل فرد أثناء التعرض لوسيلة إعلامية حسب مستويات التعليم والسن والاستخدام. وقد ركز" إليهو كاتز" على صياغة العلاقة القائمة بين حاجات الجمهور واتجاهاته السلوكية التي يريد إشباعها من خلال تعرضه للوسيلة الاتصالية، وصاغ نموذجا للعلاقة بين استخدام الأفراد لوسائل الإعلام وما يمكن أن تشبعه من حاجات لديهم مقارنة بالبدائل الوظيفية الأخرى المتاحة أمامهم، وأن المواقف الاجتماعية التي تفرض نفسها على الفرد هي المسؤولة عن إقامة العلاقة بين الوسيلة الإعلامية وإشباع الحاجات، وتمدّه بالتوقعات حول التعامل مع الوسائل الإعلامية لتدعيم عضويته في الجماعة الاجتماعية.[1]

إن الإشباع المرغوب يرتبط بمحتوى الرسالة الإذاعية، والغاية من الاستماع إليها، ومدى الاستجابة لها. ويفترض في الإذاعة، بوصفها وسيلة اتصالية إعلامية، التوفيق بين تطوير وسائلها، ومضامين برامجها، ومسايرة متطلبات المستمعين ورغباتهم، ومواكبة التغيرات الثقافية والاجتماعية التي تطال المجتمع، وتحقيق الإشباعات التي يصبو المستمعون اليها. " فالتناقض بين إشباع رغبات الجمهور، وبين ما يتحقق له بالفعل، يمكن أن يؤدي إلى تغيير في محتوى وتنظيم وسائل الإعلام في أي نظام إعلامي حريص على الاستجابة للواقع."[2]

[1] - مرفت الطرابيشي -عبد العزيز السيد، نظريات الاتصال. القاهرة، دار النهضة العربية، 2006، ص 255-257 .

[2] - مرزوق عبد الحكيم العادلي ، الإعلانات الصحفية ، دراسة الاستخدامات والإشباعات، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1 ،2004، ص 129.

ولما كان الإشباع وظيفة من الوظائف الأساسية للثقافة، باعتبارها نظام حياة، وعادات وتقاليد، وطرق اتصال واحتكاك وتفاعل، وتراكم معرفي وتاريخي، فقد أصبح من واجب الإذاعة تكريس مجهوداتها لإشباع الحاجات الثقافية للمستمعين من خلال برامجها المتنوعة، والعمل على الاستفادة من المخزون الثقافي الشعبي، بغية تحقيق إشباع معرفي ووجداني وجمالي وأخلاقي لدى المتلقين، فالثقافة "تخلق حاجات يكتسبها الفرد، ثم تمده بوسائل إشباعها، فالاهتمامات الجمالية والأخلاقية والدينية تخلقها الثقافة، ثم تهيئ للفرد وسائل إشباعها."[1]

تسعى الإذاعات بمختلف أنواعها إلى خلق شبكة من البرامج، لتلامس جوهر الثقافة الشعبية، وتعمل على استحضارها في كل المناسبات الاجتماعية والتاريخية ،وفي جل المواقف الإنسانية والظروف الحياتية، بل وتفتح أحيانا مساحات للتشريح السوسيولوجي والنقد الثقافي لظواهر ثقافية شعبية ، قصد التحليل والتفكيك ، بإبراز المحاسن والعيوب وكشف الثقافة الدخيلة من الأصيلة، ففي عاشوراء مثلا يتم الاحتفال في بعض المناطق المغربية بطرق غير سلمية ، باستحضار الألعاب النارية وإضرام النيران ورش المارة بالماء والبيض، والماء القاطع أحيانا، مما يترتب عنه أضرار جسيمة، تعبر عنها بتذمر بالغ تدخلات المستمعين في البرامج الإذاعية قصد تغيير هذه السلوكيات ، وقد دعا المنتدى المغربي للمستهلك وسائل الإعلام إلى "التعريف بهذه الظواهر، والبحث في سبب تفاقمها، وانحرافها عن أهدافها النبيلة والشرعية، وحث المواطنين عن طريق الندوات والحوارات مع الأخصائيين، قصد توجيه سلوك المواطنين نحو الوجهة الصحيحة والمناسبة"[2]

[1] - خالد محمد أبو شعيرة و ثائر أحمد غباري ،الثقافة وعناصرها ،مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ط 1،2009، ص 28.

[2] - /www.hespress.comمنتدى-المستهلك-يحذر-من-مخاطر-زمزم-والمفرقعات-315253 أطلع عليه بتاريخ 24 مارس 2021

عند الحديث عن ثقافة وعادات المغاربة في التعامل مع الآخر، وقيم التسامح، فإن بعض المحطات الإذاعية تخصص برامج للحديث عن السلوكات الطائشة في السياقة والعنف الطرقي، وعدم احترام خصوصيات الجار، والأنانية، والغش، وعدم التسامح، وعدم تقبل الأخر، كقيم سلبية تقض مضجع الثقافة المغربية المفعمة بالقيم النبيلة على كل الأصعدة الأخلاقية والدينية والإنسانية. وتعمل هذه البرامج على محاولة تصحيح هذه السلوكات، بالتذكير دوما بثقافة الأجداد والآباء والروافد الثقافية للمغاربة. فتحقق الإذاعة إشباعا تقويميا لدى المستمعين، هي تستفز مشاعرهم تجاه الثقافات الدخيلة، فيسعون جاهدين إلى انتقاد هذه الخوارم، والتعبير عن تذمرهم منها.

إن محاولة الإذاعة تحقيق إشباعات فنية لدى غالبية المستمعين خلق نوعا من الإقصاء لبعض الثقافات الشعبية المحلية وتهميشها، في ظل تزايد الاهتمام بالقاعدة الجماهيرية الأوسع التي تطلب ما يساير الحداثة من ثقافات عصرية وغربية، فقلما نجد اهتماما واضحا بالفنون الشعبية الأصيلة في برامج الإذاعات الخاصة، على اعتبار أنها صارت غير مسايرة لرغبات المستمعين، ولا تواكب الجديد في العالم الثقافي الفني. والنموذج من إذاعة وجدة الجهوية، التي كانت تخصص كل يوم حيزا زمنيا مهما للأغاني التراثية المحلية، وفن الحلقة، وأغاني آلة "القصبة" و"العلاوي"، فتغير الحال اليوم لصالح عرض أغاني عصرية، مقابل مساحة ضيقة وجد نادرة لمثل هاته المقاطع الفنية الفلكلورية، وبإطلالة سريعة على شبكة برامج هاته الإذاعة، ستتبين لنا ندرة توظيف المنتوج الفني الشعبي المحلي.

المطلب الثالث: مظاهر اهتمام الإذاعة بالثقافة الشعبية المغربية.

تستقطب الإذاعات المغربية الوطنية والجهوية والخاصة جمهورا لا بأس به من المستمعين، على اختلاف طبقاتهم وميولاتهم ، رغم الثورة الرقمية التي اجتاحت المجال الإعلامي ،و في ظل المنافسة الشديدة بين وسائل الإعلام على خلق قاعدة من

المتتبعين، لم تفقد الإذاعة مكانتها في قلوب مستمعيها ، لأسباب عدة ، نذكر منها على الخصوص اهتمامها بالثقافة الشعبية والموروث الشفهي والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للمجتمع، وسعيها الحثيث إلى تقديم خدمات النصح والإرشاد في مجالات كثيرة كالطب والعدل والدراسة والتوجيه. فلا يكاد المستمع للقنوات الإذاعية يفتح قناة، حتى يصادف متدخلين يتصلون بمقدمي البرامج وضيوفهم، لتقديم تساؤلاتهم، أو حكي تجربة حياتية متنوعة، أو تقديم نصح، أوطلب إرشاد، وفي كثير من الأحيان يتجاوز الأمر ذلك إلى طلب مقطع موسيقي أو فني، قصد الترفيه والترويح عن المستمعين.

أ. الإذاعة والاهتمام الشعبي ببرامج الثقافة الشعبية:

إن تكاثر القنوات الإذاعية الخاصة ليس إلا دليلا قاطعا على نجاح التجربة الإذاعية في الحفاظ على مكانتها، وتغلغلها في الارتباط بالثقافة الشعبية المغربية، حتى إن معظمنا تخلى عن سماع تسجيلات جاهزة لمقاطع فنية بسيارته، وعوضّها بالاستماع إلى أول قناة يصادفها وهو ذاهب إلى العمل أو غيره، كما تهتم ربات البيوت بتواجد جهاز المذياع سواء التقليدي أو الرقمي بفضاء المطبخ، حتى تتمكنّ من الاستماع مباشرة للبرامج الإذاعية المفضلة، خصوصا تلك المتعلقة بالطبخ المغربي بجميع أنواعه على امتداد ربوع البلاد. أو سماع نصائح لفقرات الطب الشعبي التقليدي التي كانت تقدم في برنامج «نخل ورمان لمحمد الفايد" على إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم، أو برنامج "عندي دواك «مع جمال الصقلي على أثير إذاعة إم إف إم، قبل ان يتم منعها إثر تدخل منظمات طبية لها تأثير واسع مادام المجال السمعي البصري يخضع لمراقبة للهيأة الوطنية للاتصال السمعي البصري.

ونلاحظ اهتمام جل الدكاكين المنتشرة بالأسواق التجارية أو الأحياء الشعبية بالاستماع للإذاعات المختلفة، إذ نجد أغلب البقالين يواظبون على استمرار ثقافة متأصلة عند التجار المغاربة منذ أمد بعيد، فكلما ذهبت صباحا لاقتناء الحاجيات

اليومية، تجد المذياع يصدح بالأخبار أو أغاني صباحية تراثية تصاحب نسمات الصباح. ونفس الأمر عند الخياطين، الذين يجلسون منكبين على حياكة الثوب، واضعين في الزاوية مذياعا، يشنّف مسامعهم بما طاب من برامج لا تبتعد كثيرا عن واقعهم واهتماماتهم الثقافية والفنية والمجتمعية، حتى صاروا يحفظون شبكة البرامج اليومية. وما يقال عن هؤلاء يمكن أن يقال عن سائقي سيارات الأجرة ،الذين غالبا ما يُذّكروننا عند الجلوس معهم بأنه لازال هناك من يستمع الى القنوات الإذاعية ، في ظل هجرة الأجيال الحالية إلى الإعلام الرقمي المتنوع ،والمتعدد الفضاءات، وغالبا ما نسترق السمع إلى المتحدث في البرنامج، وتكون فرصة لإثراء النقاش على طول المسافة والإدلاء بالرأي الخاص عن الفرق بين الأمس واليوم ، ونتأسف على ضياع الموروث الثقافي وعدم التشبع به، وبأن الماضي كان أحلى ببساطته، فنصير حينها امتدادا للبرنامج الإذاعي الذي أظهر بعض تمثلاتنا عن ثقافتنا الشعبية بين الماضي والحاضر، فصرنا ندافع عنها باستماتة. أو من خلال السائقين المهنيين للشاحنات و الحافلات ، فلا تخلو البرامج الليلية من اتصالاتهم، وهم يحكون عن تجاربهم على الطرقات، خصوصا وأنهم أصحاب تجربة ثقافية شعبية كبرى، إذ يقضون عمرهم في التنقل بين مختلف المدن والبوادي والأسواق الشعبية والمحلات التجارية عبر كل مناطق البلاد، فصارت لديهم خبرة كبرى بأقوال الناس وطرق معيشتهم وطبائعهم وأذواقهم وتقاليدهم وعاداتهم، فهم كلما اتصلوا حكوا عن تجارب جديدة مفيدة، عاشوها أو حكي لهم عنها، ونورد على سبيل المثال برنامج " أنيس السائقين ، لقاء مع فرسان الليل " للحبيب السليماني ،الذي كان يُبث ليلا على من إذاعة طنجة على أمواج الإذاعة الوطنية . ثم صار يقدمه حاليا الإذاعي المقتدر محمد بن الطيب كل ليلة إثنين.

كما تهتم الإذاعة بثقافة البحر والبحارة، إذ ما تبحث في برامجها عن جوانب من الثقافة الشعبية المغربية الخاصة بعلاقة المغربي بالبحر، وعادات المغاربة في الصيد البحري. ونذكر كنماذج برنامج" صوت البحار" كل يوم سبت ابتداء من

الساعة السابعة مساء على أثير إذاعة إم اف ام، وبرنامج" أنيس البحار للإعلامي المتميز عبد اللطيف بنيحي على أمواج إذاعة طنجة.

لقد كان الغرض من ذكر هاته الصور البسيطة للفئات المجتمعية المهتمة بالاستماع للإذاعة المغربية، إبراز مدى اهتمام هذا المنبر الإعلامي بالثقافة، وتخصيصه لبرامج تهتم بالثقافة الشعبية بشكل عام، وانطلقنا من اهتمام المتلقي بالبرامج الشعبية، نظرا لكون الإذاعة لن تنجح في الوصول إلى قلوب المستمعين، ما لم تخاطب ثقافة مجتمعهم وتسترعي انتباههم.

إن علاقة الإذاعة بالثقافة الشعبية المغربية متينة جدا، ولا يمكن إغفالها بأي شكل من الأشكال، مادام الموروث الثقافي متغلغلا في حياتنا الاجتماعية، فكل متصل بالإذاعة، يَعْمد إلى توظيف مثل شعبي في معرض حديثه، أو سرد عادات وتقاليد الأجداد والآباء، أو طلب الاستماع لأغنية تراثية أصيلة من التراث المغربي، حتى وإن كان موضوع البرنامج الإذاعي بعيدا كل البعد عن الثقافة.

ب. الإذاعة والاحتفالات الشعبية بالأعياد والمناسبات الدينية:

قد نكاد نجزم أن الأمر الإيجابي للإذاعة، في ظل اهتمامها البراغماتي بميولات المستمعين ، أنها قدمت خدمة كبرى للثقافة الشعبية ، حيث منحتها منصة إعلامية للحديث عن مختلف مظاهرها وأنواعها، سواء أكان الأمر مقصودا، وفقا لدفتر التحملات الذي ينص صراحة على ضرورة اهتمام الإذاعات بالثقافة المغربية، أو بشكل غير مقصود من خلال الشهادات الشفهية للمتدخلين الإذاعيين، مما يوثق للثقافة الشعبية من خلال نماذج مجتمعية أو تراثية أو احتفالية، ففي أيام الأعياد الدينية تنكب جل البرامج الإذاعية على استقبال تهانئ المواطنين، ولا يمر الأمر دون الحديث عن تقاليد وعادات الاحتفال بعيد المولد النبوي، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، وعاشوراء في مختلف أنحاء المغرب، من صحرائه إلى شماله ومن شرقه إلى غربه، ونفس الأمر يقال عن شهر رمضان، الذي غالبا ما تخصص خلاله كل

الإذاعات برامج ثقافية شعبية تهتم بموروثنا الثقافي، كالحديث عن أصناف وألوان موائد الإفطار والسحور ،وأشكال اللباس التقليدي المغربي، أو الاحتفال بصيام الصغار وفق عادات مجتمعية من صميم التراث المغربي، أو وصف واستعراض طرق الطبخ المختلفة من منطقة إلى أخرى، و الحديث عن عادات المغاربة العائلية خلال هذا الشهر ، وكيفية تعامل الجيران فيما بينهم خصوصا في الأحياء الشعبية، دون إغفال كافة التقاليد والأعراف السائدة عند المغاربة خلال الأيام الرمضانية العشرة الأولى والثانية ثم الأخيرة.

ج - الإذاعة والموسيقى الشعبية:

تهتم الإذاعة المغربية بمختلف الأذواق الفنية الموسيقية لدى المغاربة، وتعمل على عدم اندثارها مهما طال الزمن، بل تشجع المنتجين الثقافيين على الإبداع، عن طريق تقديم فضاءاتها أحيانا للتسجيل أو العزف، أو تقديمهم للجمهور من خلال برامج تعرّف بهم، وتستحضر تجربتهم الثقافية والحياتية. فيحضر على منصات الإذاعات المغربية الفنانون الموسيقيون الشعبيون، حيث إن جلهم وإن لم يقدموا موسيقاهم حضوريا على أثير أمواج الإذاعات الجهوية والوطنية والخاصة، فقد حضر صوتهم وعزفهم في مقاطع موسيقية أو وصلات فنية، فالإذاعة الأمازيغية تهتم بتقديم منتوجات كل الفنانين الشعبيين دون تمييز، بل وتبحث أحيانا عن مقطوعات نادرة جدا، لتقديمها للمستمعين إلى جانب برامج مهمة تعنى بالثقافة واللغة الأمازيغية والموروث الثقافي الأمازيغي.

تحرص الإذاعة الوطنية أيضا منذ عقود على تقديم وصلات موسيقية خاصة بالطرب الغرناطي والأندلسي خلال فترة ما بعد الظهيرة، لصيانة هذا التراث وتشجيعه على التألق والاستمرار، حتى صار لهذا الطقس الموسيقي عادات اجتماعية وثقافية عند أسر مغربية كثيرة. ويورد محمد الغيداني في كتابه "للإذاعة أعلام "في الحلقة السابعة الأربعين المنشورة بجريدة العمق الرقمية، أنه "منذ عدة

سنوات سهر الإذاعي الحاج أحمد سهوم على إعداد وتقديم سلسلة من البرامج التراثية على أمواج الإذاعة المغربية، تحمل شعار "إطلالات على التراث" وهي عبارة عن قراءة تحليلية في احدى قصائد الملحون، وسعى هذا البرنامج إلى ترسيخ ثقافة الملحون الذي يعد موروثا ثقافيا مغربيا مهما، وكذا تقريبه من عامة الناس"[1].

كما تقدم جل الإذاعات الجهوية مقاطع موسيقية أو فنية، سواء كانت غنائية أو شعرية أو سردية، فتطغى على الذوق الفني السائد على أثير الإذاعة المعنية، فيعرف المستمع أنه على موجات إذاعة العيون وهو يستمع للغناء والشعر الحساني، أو إذاعة طنجة وهو ينصت " لطقطوقات جبلية"، أو على أثير إذاعة وجدة لمّا يستمع لمقاطع من فن "الراي"، لكن هذه ليست قاعدة عامة، إذ ان الألوان الأخرى تحضر بشكل أقل من حضور الثقافة الشعبية المحلية في إذاعة محلية.

د- الإذاعة والتنوع اللغوي:

تبث الإذاعة الرسمية المغربية برامجها باللغتين العربية والأمازيغية وباللسان الحساني واللهجات والتعبيرات الشفوية المجالية المغربية المتنوعة، مع الاستعمال السليم والمبسط للغة العربية والأمازيغية في البرامج الموجهة للأطفال والجمهور الناشئ والنشرات الإخبارية والبرامج الوثائقية[2]، احترم التعدد اللغوي بالمغرب من خلال البرامج الإذاعية ، فإلى جانب اللغة العربية الفصحى و اللغة الأمازيغية كلغتين رسميتين منذ دستور 2011، حاولت الإذاعات تغطية كل اللغات و اللهجات المغربية ، فالإذاعات الجهوية تعتبرا ناطقا رسميا باللغة أو اللهجة المحلية . واحترمت الإذاعات الأمازيغية التنوع اللسني، فخصصت إذاعات بتريفيت وتشلحيت وتمازيغت حسب خصوصيات كل منطقة، واعتمدت إذاعة العيون الجهوية

[1] https://al3omk.com/559881.html العمق المغربي. اطلعت عليه بتاريخ 2023/10/18.

[2] الجريدة الرسمية، نفسها، المادة11.

الحسانية في جل برامجها، بالإضافة، دون نسيان حضور اللغة الفرنسية بنسبة كبيرة في إذاعتي "ميدي 1" و" chaine inter".

تحاول الإذاعات الخاصة أن تكون أقل انحيازا لمنطقة دون أخرى، فتستهدف كل الأذواق الثقافية من جل المناطق المغربية، حرصا منها على استقطاب أكبر عدد من المستمعين، حتى أن مقدميها يحاولون الخوض في ثقافة كل متصل باستدراجه للحديث عن ثقافة منطقته، خصوصا عند نطقه بلغة ما أو لهجة محلية أو لكنة متميزة، فيُجذَب للحديث عن عادات وتقاليد وقيم منطقته بشكل إيجابي يثير المستمعين ويعرفهم على الآخر وثقافته.

لكن " اعتماد الإذاعات على اللغات الواسعة الانتشار أسهم في نشرِ اللغات المتداولة، فقد وجدت معظم اللغات فرصة للانتشار من خلال الإذاعة، وذلك لأنَّ الراديو قد اعتمد على الكلمة المنطوقة دون سواها".[1] وبالمقابل نلاحظ «انحسار بعض اللغات الإقليمية واللهجات المحلية الأخرى التي لم تجد حظا مماثلا على الأثير"[2]مالم توفر لها منصات إعلامية تحملها إلى الآخر وتعرفه بها.

المطلب الرابع: التناول الإعلامي للثقافة الشعبية المغربية من خلال البرنامج الإذاعي "ريحة الدوار"

أ - وصف البرنامج:

عنوان البرنامج الإذاعي: "ريحة الدوار"

اسم الإذاعة: إذاعة إم إف إم، إذاعة خاصة تبث من مدينة الدار البيضاء في اتجاه كل أنحاء المغرب.

أيام عرض البرنامج: السبت والأحد.

[1] عوض ابراهيم عوض، المرجع نفسه، ص 225.

[2] نفسه، ص 224.

توقيت العرض: من الساعة الواحدة زوالا إلى الثانية زوالا.

تاريخ البرنامج: يُبث البرنامج منذ سنة 2012.

مقدم البرنامج: محمد عاطر.

شعار البرنامج: الدوار، القروي، شبه القروي، عنصر من جغرافيتنا وتاريخنا، من المغرب الأصيل والمتعدد، لمشاركة الحياة والتقاليد بها رفقة محمد عاطر[1]

أسلوب البرنامج: حواري في قالب اجتماعي شعبي لا يخلو من حس فكاهي وإبداعي.

الضيوف: ذوي التجربة والخبرة الحياتية من سكان القبائل والقرى والدواوير المغربية.

موضوع البرنامج: عادات وتقاليد أهل البادية المغربية، وثقافة القرى والقبائل المغربية، من خلال حوارات ولقاءات مع الساكنة، غالبا مع أناس بسطاء، للكشف عن جوانب من المعيش اليومي النابع من الثقافة الشعبية التي تستمد أصولها من تاريخ المغرب العريق.

ب - صور الثقافة الشعبية في برنامج ريحة الدوار:

ينطلق البرنامج من واقع البادية المغربية، والثقافة الشعبية السائدة عند القبائل التي يزورها الطاقم، فهي جلسات حميمية مع شيوخ الدواوير ، وذوي الخبرة والتجارب الحياتية، تتواتر القصص والحكايات التي مر منها هؤلاء المستجوبون، والتي غالبا ما تستمد أصالتها من بساطة أناس البادية، فتتراءى الثقافة الشعبية بالبادية المغربية للعيان، في خضم الحديث بين المذيع وضيوفه ،حتى أن الحوار لا

[1] برنامج ريحة الدوار:

https://www.mfmradio.ma/%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%AC/%D8%B1%D9%8A%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%B1 /

بتاريخ 2024/6/25

يخلو من ذكر مكونات ثقافات القرى المغربية، وعاداتها، وتقاليدها، وطقوس الاحتفالات الشعبية في مختلف المواسم السنوية المنظمة تكريما لأولياء الصالحين .

يعد هذا الموضوع أمرا أساسيا في قضايا البرامج إذ غالبا ما يتعمد مقدم البرنامج اختيار قبيلة ما، تزامنا مع تنظيم مهرجان أو موسم سنوي لولي صالح، حيث تسود خلاله مهرجانات التبوريدة، وأسواق تجارية على الهامش، أو حفلات الضيافة داخل الخيام المنصوبة على ضفاف ساحة التبوريدة.

كما يتعمد البرنامج زيارة الأسواق الشعبية الأسبوعية، حتى يتمكن من استضافة الضيوف داخل خيمة للشاي والأكل، وتجاذب أطراف الحديث حول تاريخ المنطقة وثقافتها، بأسلوب لا يخلو من فكاهة، وبساطة، وبلاغة تصويرية، من خلال تعابير محلية، بلكنة ضاربة في الأصالة والقدم، مستمدة من لغات ولهجات وخصوصيات المنطقة المعنية. بل ويتعدى الأمر ذلك أحيانا الى حضور بعض المناسبات الكبرى الأسرية، كحفلات الزواج والأعراس، فيقدم لنا المستجوبون على قنوات الأثير عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم الاحتفالية.

كما يغطي البرنامج بعفوية جانبا كبيرا من الثقافة الشعبية في البادية المغربية، فتحضر جل مكونات الإبداع الشعبي، حيث تعطى الفرصة للأدب الشعبي من زجل وحكايات، وموسيقى وغناء، وقصائد، يتغنى بها سكان المناطق القروية بموروثهم الثقافي، ويوظفون الفلكلور التراثي، في استحضار أبطال المقاومة، والسير الشعبية، واستحضار الحكايات العجيبة والمرحة، بأسلوب سردي مرح وبسيط.

يجتمع المقدم مع ضيوفه في فضاء فُرجوي ، ويخوض معهم في جل التفاصيل الحياتية للقبيلة أو القرية المعنية بالزيارة الإعلامية، ويستحضر من خلال التفاصيل عادات وتقاليد مغربية أصيلة، وأمثال وحكم ، وطرق عيش من طبخ و ملبس و فلاحة وتجارة ، وطقوس عبور من حفلات أعراس و ولادة وأحزان ، ويستعيد رفقة سكان المنطقة بعضا من الحكايات الشعبية التي تختزنها الذاكرة المحلية، التي يجتمع فيها الواقعي بالخيالي

والأسطوري،" ومناقشة تقاليد الفروسية بالمنطقة، بعد أن خصص محاور سابقة للحديث عن المقاومة، وقصائدها المشهورة ، والتي تتغنى ببطولات رجال المنطقة خاصة بواد زم وخريبكة وبوجنيبة، وغيرها من المناطق التي خلدتها أغاني مشهورة في العيطة[1]، إنه برنامج متميز ، دائم الاحتفال بالثقافة الشعبية المغربية، "يرتبط بالبادية ويلامس تفاصيلها بشكل كوميدي عفوي على لسان أهلها من البسطاء و العفويين... فهو وثيقة صوتية أنثروبولوجية تعكس هذا التنوع المدهش في بلدنا [2]

ويعتمد مقدم البرنامج أسلوبا فكاهيا كوميديا في حواره ، بغية إضفاء طابع المرح والترفيه على حلقاته ، ويسايره الضيوف في أسلوبه ، فتراهم أكثر إبداعا في سردهم للأحداث ببساطة وسلاسة وفكاهة، غير مكترثين لتواجدهم أمام الميكروفون وفريق التسجيل الإذاعي، فيبهرون المستمعين بطلاقتهم التعبيرية وإبداعهم التصويري و الوصفي للأحداث التاريخية والاجتماعية .وقدرتهم الهائلة على توظيف الألغاز و الأقوال المأثورة و المسكوكات في خطابهم، و ذلك سر من أسرار نجاح هذا البرنامج ، كما أنه يستهدف قاعدة كبيرة من المستمعين داخل المغرب وخارجه ، خصوصا من أبناء البادية الذين هاجروا إلى أوربا ، فيوقظ في دواخلهم الحنين إلى أرض الوطن ، وثقافة البادية ، وبساطة أهلها ، ولغة أو لهجة أهلها ، وأسواق القرى، ومواسم القبائل والأولياء، وحفلات القران و العقيقة والحصاد .

[1] أرشيف الإذاعات العربية والعالمية، https://www.startimes.com/f.aspx?t=37933330 بتاريخ 2024/6/23.

2 بوشعيب الحسناوي، برنامج "ريحة الدوار" وثيقة صوتية أنثروبولوجية تعكس التنوع في تامغاربيت" https://anfaspress.com/news/voir/67638-2020-07-12-07-47-55 اطلعت عليه بتاريخ 2023/12/20

خاتمة

يقدم الإعلام الإذاعي مساحة إعلامية لنشر الثقافة الشعبية وصيانة الموروث الثقافي والحفاظ عليه، وتجديد دمائه، ونفض الغبار عنه، وكلما كانت الإذاعة قادرة على تلبية الحاجيات الثقافية للمستمعين كلما زاد عدد المتفاعلين مع برامجها، لكونها تلبي شغفه الثقافي وتحترم ميولاته، وتشبع حاجته إلى الأصالة وتصون القيم التراثية لمجتمعه.

إن الإذاعة ركيزة أساسية لتحقيق التنمية الثقافية، والارتقاء بالثقافة الشعبية الأصيلة، وصد كل ثقافة هجينة دخيلة. وقد عملت الإذاعات المغربية العامة والخاصة على تخصيص برامج تعنى بثقافة الشعب المغربي المتنوع لغويا وثقافيا، بإبراز أهم مظاهر التنوع اللغوي والتلاقح الثقافي عند المغاربة، دون إغفال أي لغة متداولة في ربوع المملكة، مع فتح المجال لكل اللهجات والتعابير اللغوية واللكنات بشكل عفوي داخل جل البرامج ، والبحث في خصوصيات التلاقح الثقافي الناتج عن تنوع وتعدد الحضارات التي مرت بتاريخ المغرب، وموقعه الجغرافي الذي يتيح له التواصل مع مجموعة من الثقافات الأخرى، زيادة على حضور مكونات مختلفة في الثقافة الوطنية من أمازيغية وحسانية صحراوية ويهودية عبرية وعربية إسلامية.

لقد عملت الإذاعة المغربية بشكل متفاوت على تلبية الرغبات الثقافية لكل هذه المكونات، بل أسست إذاعات مختصة لكل نوع أحيانا، كالإذاعة الأمازيغية الوطنية التي تأسست سنة 1938 " بتشلحيت وتريفيت وتمازيغت"، وإذاعة محمد السادس للقرآن الكريم منذ سنة 2004 والتي لا زالت تعرف سنويا أكبر نسبة استماع حسب قياس "راديو ميتري" [1] وإذاعة العيون الجهوية التي تعنى بالثقافة

[1] https://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2019/07/190701110357365.html الاستماع الإذاعي والتغيير السياسي في المغرب، اطلع عليه بتاريخ 2024/6/20.

الحسانية الصحراوية، وباقي الإذاعات الجهوية التي تخصص مساحات إعلامية للثقافات المحلية، وتخوض في أغوارها للبحث عن مميزات ثقافة المنطقة. فالإذاعة الناجحة إعلاميا تضع ثقافة المجتمع في صلب اهتمامها، باعتبارها منبعا مهما ومصدرا زاخرا لصنع برامج تلبي رغبات المستمعين وتحقق الإشباعات لديهم.

لكن يبدو أن الثقافة الشعبية لا زالت توظف عرضا ببرامج الإذاعات المغربية، وليس بشكل احترافي ومنهجي، إذ يغلب الارتجال على جل البرامج بسبب غياب مختصين في مجال الثقافة الشعبية من ذوي البحث العلمي والأكاديمي، وافتقاد جل مقدمي هاته البرامج لتكوين أكاديمي في مجال الثقافة الشعبية والمناهج المختصة لدراستها وتحليلها. فتكتفي جل البرامج الإذاعية باستحضار جوانب من الموروث الثقافي المغرب والتوقف عند عملية السرد والوصف دون التعمق في دراسته بالتحليل والتفكيك المثقف العضوي والعقل الأداتي والموضوعي.

وإن كانت الإذاعات الوطنية حسب، فهي تعمل على تقديم مختلف تعبيرات الثقافة المغربية، باللغات المغربية والأجنبية، وطنيا وجهويا، بإذاعات عامّة ، وتثبت نتائج قياس التتبع أن إذاعات الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة تحظى بنسب تتبع كبيرة، خصوصا قناة "السادسة" والإذاعة الوطنية"، التي تحرص باستمرار على مواكبة الحياة الثقافية المغربية ، سواء كانت تدخل ضمن أنماط العيش والتراث، أو الإبداعات الثقافية بكل أشكالها، من كتب، وأغاني، وسينما، ومسرح...مع الاهتمام بكل جهات ومناطق المغرب. علما بأن الإذاعات الجهوية المنتشرة عبر التراب المغربي تعمل من جهتها على إبراز الرأسمال الثقافي المحلي والجهوي بطرق مختلفة، فضلا عن تغطية الأنشطة الثقافية الإقليمية. وكنموذج ندرج إذاعة طنجة الجهوية، التي اقترنت دوما بالثقافة، سواء في برامجها الوطنية أو المحلّية والجهوية، كاهتمامها بالطرب الأندلسي والجبلي، والموسيقى الشمالية، وانفتاحها الدائم على مختلف أنماط الممارسات الثقافية في الجهة الشمالية. لكن بعض

الإذاعات الخاصة يغلّب عليها طابع المقاولة التجارية في بحثها بكل السبل عن نسبة استماع أعلى، متغافلة التزاماتها الثقافية في إطار دفاتر التحملات[1].

إن العلاقة بين الإذاعة والمستمع علاقة تكاملية، فلا يمكن أن توجد إذاعة في ظل عدم وجود مستمعين، كما لا يمكن أن يستمع المتلقي لإذاعات لا تلبي حاجياته، لذا تسعى الإذاعات المغربية على اختلاف أنواعها إلى تلبية أذواق المستمعين، والحرص على إثارة اهتمامهم، وجذبهم إلى التفاعل مع البرامج المقدمة. بتوظيف الثقافة الشعبية توظيفا مثاليا، ولن يتأتى ذلك إلا بتسخير كل الإمكانات اللازمة، من وسائل مادية، ومقدمين وضيوف متميزين، لإقناع المستمعين بمواصلة الاستماع والتفاعل.

[1] المجلس الاقتصادي والاجتماعي، "المضامين الثقافية والإعلام"، إحالة ذاتية رقم 2018/35، مطبعة كانابرنت، المغرب،2019، ص25-26 بتصرف.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- ابن منظور، لسان العرب، ج 8، دار الحديث، القاهرة ،2013.
- إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ط 2.
- إبراهيم عوض ابراهيم، لغة الاذاعة "دراسة تحليلية"، دار جامعة الخرطوم للنشر والتأليف، ط 1 ،2001.
- خالد محمد أبو شعيرة وثائر أحمد غباري، الثقافة وعناصرها، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان ط1 ،2009.
- حسبن عبد الحميد احمد رشوان "الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي."، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006.
- عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ط2.
- محمد منير حجاب: الموسوعة الإعلامية، المجلد الأول، ط1 ، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر،.2003
- مرفت الطرابيشي وعبد العزيز السيد، نظريات الاتصال. القاهرة، دار النهضة العربية، 2006.
- نور الدين هادف، التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال " الاستخدامات والإشباعات "، نشر جامعة الجزائر، 2008.

الجرائد والمنشورات:

- الجريدة الرسمية عدد 6093 الصادرة بتاريخ 6 ذو الحجة 1433 (22 أكتوبر 2012). مرسوم رقم 2.12.596 صادر في 25 من ذي القعدة 1433 (12 أكتوبر 2012) بنشر دفتر تحملات الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة.
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي، "المضامين الثقافية والإعلام"، إحالة ذاتية رقم 2018/35، مطبعة كانابرنت، المغرب،2019.

المراجع الإلكترونية:

- منتدى-المستهلك-يحذر-من-مخاطر-زمزم-والمفرقعات-315253 .www.hespress.com/
- العمق المغربي حلقات حول كتاب للإذاعة أعلام. https://al3omk.com/559881.html الحلقة 47.
- https://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2019/07/190701110357365.htm.مركز دراسات الجزيرة.
- بوشعيب الحسناوي، برنامج "ريحة الدوار" وثيقة صوتية أنثروبولوجية تعكس التنوع في تامغاربيت" https://anfaspress.com/news/voir/67638-2020-07-12-07-47-55 .
- https://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2019/07/190701110357365.html الاستماع الإذاعي والتغيير السياسي في المغرب
- https://www.mfmradio.ma/%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%AC/%D8%B1%D9%8A%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%B1./ برنامج ريحة الدوار

نحو ما بعد الإنسانية: بين الفلسفة والعلم والمجتمع[1]

لجوينيي باتريك Juignet Patrick [2]

د. رفيق أوباشير
باحث في اللسانيات والتواصل
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
المغرب

ملخص:

حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية مزيج معقد من الإيديولوجيا والفلسفة يحركه التقدم التقني والتوسع الاقتصادي الكبير وقد أعادت الإبداعات التكنولوجية صياغة الاسئلة المطروحة حول الإنسان منذ قرن. تتسم الحركة فلسفيا ببعض الالتباس لأنها تدعي أنها إنسية لكنها تنحو نحو تجاوز الإنسان بطريقة نخبوية. إن القيم الفردانية والنخبوية والتحررية التي يمررها أقوياء الحركة (مالكو GAFA لا تنسجم مع حياة اجتماعية متناغمة وليست مقبولة من طرف جزء من مؤيدي الحركة. إن مشكل استعمال التقنيات كان دائما حاضرا في تاريخ الإنسانية لكن ازداد حدة مع حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية حيث تمس التقنية مباشرة ما يشكل الإنسان ولذلك رافقها نقاش إيديولوجي مكثف ليبقى السؤال مطروحا لمعرفة زمن ومعنى تحويل الإنسان.

كلمات مفتاحية: نحو ما بعد الإنسانية- الفلسفة- العلم – المجتمع.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أوباشير، رفيق. (2024، يوليوز). نحو ما بعد الإنسانية: بين الفلسفة والعلم والمجتمع. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 53-63.

Abstract:

Transhumanism is a complex blend of ideology and philosophy driven by significant technological advancements and economic momentum. These technological breakthroughs have raised new questions about humanity that have been debated for a century. This movement is philosophically ambiguous, as it declares itself to be humanist, but it is also inclined to assume a surpassing of humanity in an elitist mode. It should be noted that the individualistic, elitist, and libertarian values promoted by the powerful proponents of transhumanism (the holders of GAFA) are not very compatible with a harmonious social life and are not accepted by a portion of transhumanists. The issue of the use of technology has always been present in human history. With transhumanism, it takes on a particular urgency because technology directly impacts what constitutes the human being. Therefore, technology is immediately accompanied by an intense ideological debate: to what extent and in what sense should we transform the human?

Keywords : Transhumanism - Philosophy - Science - Society.

[1]- Juignet, Patrick. Le transhumanisme. Philosophie, science et société. 2024. https://philosciences.com/transhumanisme

[2]- Né en 1952 à Paris, Patrick Juignet a effectué des études supérieures en médecine à Nice et parallèlement en psychologie puis en philosophie. Après un an de médecine d'urgence, il s'est spécialisé en psychiatrie et a suivi une formation psychanalytique. Son doctorat en médecine et le mémoire de psychiatrie qui a suivi ont tous deux portés sur la psychanalyse et la psychopathologie, de même que les divers ouvrages et articles publiés par la suite.

Installé, à partir de 1986, comme psychiatre libéral, il a surtout pratiqué des psychothérapies pour enfants et adultes. Parallèlement, il a enseigné la psychopathologie dans les écoles d'infirmières, d'assistantes sociales et en tant que chargé de cours pour le DES de psychiatrie et pour le DEA de psychologie clinique.

Ayant arrêté son activité de praticien en 2015, il se consacre dorénavant à l'histoire des idées et à la philosophie. À ce sujet voir le site Philosophie, science et société. https://www.babelio.com/auteur/Patrick-Juignet/434452

1- بماذا يتعلق الأمر؟

ما بعد الإنسانية هي حركة اجتماعية متنوعة ومعقدة يمكن تعريفها بالجمع بين التطورات العلمية الحديثة في مجال المعلوميات والتكنولوجيا الحيوية والاعتبارات الإيديولوجية والفلسفية وقد استفاد هذا المجموع من دعم اقتصادي وتكنولوجي ملحوظ خصوصا في القرن الواحد والعشرين.

لقد اشتهر تعبير: " نحو ما بعد الإنسانية" (Transhumanisme)على يد البيولوجي والمفكر البريطاني Julian Huxley في سنوات الخمسينات. فبالنسبة لهذا الكاتب "نحو ما بعد الإنسانية" هو انتقال نحو "ما بعد الإنسانية" (Posthumanisme) حيث يُسمح باستعمال كل أنواع التكنولوجيات والطرق العلمية لتجاوز الإنسان.

لقد بدأ الانتقال نحو ما بعد الإنسانية كحركة منظمة سنوات 1980و 1990 بخلق الجمعية العالمية للانتقال نحو ما بعد الانسانية (WTA) سنة 1998 وهي معروفة اليوم باسم إنسانية زائد (Humanity+). لقد عرفت هذه المرحلة ظهور أسماء بارزة كRay Kurzweil و Nick Bostrom اللذين ساهما في تشكيل حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية المعاصرة عن طريق كتاباتهما أو مداخلاتهما وسط الجماهير.

إننا أمام مقاربة عرضانية تبحث عن إمكانيات تجاوز حدود الإنسان بفضل التقدم التكنولوجي إذ يسمح التطور التكنولوجي دائما برفع قدرات وإمكانيات الإنسان (من العتلة إلى التحكم في الطاقة الذرية مرورا بالمطبعة). وعلى المستوى الفلسفي، يشار إلى هذه الميزة ب "التقدم" داخل إطار الحداثة لكن هناك فرق جوهري يميز ذلك عن حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية.

تتخذ العلاقة بين الإنسانية والتقنية - التي تعد دائما مهمة - شكلا آخر مع التكنولوجيات الحديثة التي هي أكثر قربا من جسم الإنسان. بالفعل، لقد أدى اللقاء بين البيولوجيا والرقميات إلى إزالة الحدود بين الإنسان والأشياء المصنوعة. لقد أصبح بإمكان الانسان التعايش كلية مع المصنوعات وتقصد حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية تحقيق هذا الانسجام بين الإنسان والتكنولوجيات المتقدمة قصد تحسين الحياة الإنسانية.

لقد وجد هذا التعايش بطريقة عادية عن طريق عمليات الزرع كالاستبدالات المفصلية أو البصرية وغيرها ولم يُثر ذلك إشكاليات أخلاقية حادة كتلك التي سببتها إرادة رفع قدرات الإنسان وتحويل الخصائص الإنسانية.

تثير إرادة رفع قدرات الإنسان أسئلة علمية واجتماعية وأخلاقية جديدة حيث سيتمكن الإنسان مستقبلا من التدخل تقنيا في تطوره ليس على مستوى الفرد فقط، بل على مستوى الجنس البشري. ويتجاوز الأمر رفع قدرات وإمكانيات الإنسان إلى تحويله.

وتجدر الإشارة إلى أن حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية هي تيار فكري واسع يجمع رؤى متعددة واختلافات بين صيغ إعلامية بسيطة وأخرى أكثر عمقا.

2- السمات السوسيوقتصادية.

لهذا الحادث الإيديولوجي علاقة وطيدة باقتصاد la Silicon Valley وتطورها الصناعي حيث تُضخ أموال طائلة منذ نجاح Google وبفضل جاذبية الاستثمارات في المقاولات المجددة. إنها رأسمالية تنافسية وكاسحة.

على سبيل الذكر، ففي سنة 2015 لقد وضع Bill Maris الذي يوجد على رأس Google Ventures 425 مليون دولار للاستثمار في الشركات الرقمية.

إن إيديولوجية- la Silicon Valley حسب الشهادات - هي الاستحواذ بالقوة العظمى فحلم مستثمري كاليفورنيا أن يصبحوا أسياد العالم ولا يجب أن يفهم من هذا أن الأمر سيئ بالنسبة للإنسانية.

لقد تأسست جمعية الانتقال نحو ما بعد الإنسانية سنة 1938 لتشجيع النقاش والبحث وتوضيح الرؤية حول هذا الفكر للجمهور و لقد تمركزت التيارات الأمريكية حول الحرية الفردية والليبرالية الاقتصادية لكن "جمعية إنسانية" تحاول أن تكون أكثر ديمقراطية ، وفي أوروبا، لقد تم استقبال الجمعية كما هو الأمر في العادة عبر مصفاتنا الثقافية الخاصة ووفي فرنسا تعد المنظمة المهيكلَة الوحيدة التي تتبنى هذا الفكر هي الجمعية الفرنسية للانتقال نحو ما بعد الإنسانية Technoprogوالتي يطالب رئيسها ب "تقدمية تكنولوجية" وهو اسم آخر لحركة ديمقراطية للانتقال حول ما بعد الإنسانية.

لقد أصبحت حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية أكثر تأثيرا في بداية القرن الواحد والعشرين نظرا للنجاحات المحققة في التكنولوجيا الإحيائية والذكاء الاصطناعي وعلم الروبوتات والطب التجديدي.

3- فلسفة حركة الانتقال حول ما بعد الإنسانية

3-1- الأفكار الصريحة

حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية هي عقيدة فلسفية تزعم أنه بالإمكان تحسين الإنسانية عن طريق العلم والتقنية. إنها ترى أن من الممكن، بل من المطلوب تحرير الإنسانية من حدودها البيولوجية وتجاوز أشكال هشاشتها كالمرض أو الموت.

إن أغلب معتنقي هذا الطرح ملحدون وماديون وتتجلى فكرتهم الأساسية في تجاوز الإنسان بواسطة التقنيات التي تتطور بسرعة فائقة.

تُعارَض هذه الحركة أحيانا بدليل الطبيعة الإنسانية الثابتة والمقدسة لكن يبقى مفهوم هذه الطبيعة قابلا للنقاش إذ يعد الإنسان مجرد نتيجة لحتمية طبيعية

لا خيار له معها. قد يحيل هذا النزوع الطبيعي أحيانا إلى نظرية خلق الكون في شكله الحالي حيث الإنسان طبيعي ومخلوق في صورته الكاملة من طرف الله. إن هشاشة الزعم والتصور اللذين يعتريان هذا القول ظاهرة للعيان.

بالنسبة للأنثروبولوجيا البراجماتية، لقد ميز كانط بين أنثروبولوجيا "فيزيولوجية" تصف ما تفعل الطبيعة بالإنسان وأنثروبولوجيا "براجماتية" تصف ما يفعل الإنسان بالإنسان وهي ميزة خاصة به إذ يمكن للإنسان أن يؤثر في نفسه وفي الآخرين وهذه وجهة نظر أخلاقية. ومن الناحية العملية يمكن له أن يغير شروط حياته بواسطة التقنية وتندرج حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية في هذا التقليد.

3-2- تداخل بين التواضع وجنون العظمة

إن تصور هذا التيار للإنسان مخالف لما درج عليه التقليد الغربي، ففي هذه العقيدة يعد الإنسان محدوداً وغيرَ مكتفٍ بذاته ولذلك يمكن تحسينه والرفع من قدراته. بناءً على ذلك يمكن للإنسانية أن تطمح إلى أفضل مما هي عليه الآن برفع القدرات المعرفية وتجويد الصحة وتمديد الحياة.

إنه تصور متواضع حول إنسان بعيد عن الكمال والإلهية، بل بالعكس كله ضعف ومحدودية. يُذكِّر هذا التصور إذن بميتافيزيقا الغنوص القديمة التي ترى أن الخلق قد أُجهض من طرف القوى الشريرة وأنه بإمكانه أن يكتمل ويتحقق عن طريق المعارف والتقنيات.

يشكل الوعي بالموت أحد المشاكل التي يواجها الإنسان، ففي الإغريق القديمة كان ينعتُ البشر بالهالكين في مقابل الآلهة ولقد قصت كل ديانة خيالها عن الخلود وقد أشار Nick Bostrom وهو أستاذ للفلسفة بأكسفورد إلى أن الحلم بالخلود اتخذ صيغة جديدة عبر التكنولوجيا وفي ذلك إحالة إلى إعادة تصميم الكائن البشري بواسطة تكنولوجيا النانو المتقدمة أو إلى تجويده الجذري باعتماد توليفة من التكنولوجيات كالهندسة الوراثية وعلم الأدوية النفسية والعلاجات المضادة

للشيخوخة والواجهات العصبية والأدوات المتقدمة لتدبير المعلومات والأدوية التي تطور الذاكرة والحواسيب المحمولة والتقنيات المعرفية. ويردف Bostrom بأن كل هذا يسمح بتشكيل كائنات ما بعد إنسانية تتفوق على الإنسان الحالي كما تفوق هذا الأخير على باقي الرئيسيات الأخرى.

إنها مقاربة تبسيطية للجمع بين الإنسانية وجنون العظمة حيث قدومُ الإنسان الأعظم وهي كذلك متواضعة حيث تعترف بضعف وموت الإنسان.

3-3- فلسمة تقنية وأخلاقية إنسانية؟

يرى Gilbert Hottois أن حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية هي واحدة من أشكال فلسفة التقنية في بداية القرن الواحد والعشرين، فهو يدافع عن فكرة إنسان آلي طبيعي أي كائن تقني وهذا ما يخوله إخراج الإنسانية من الشرط الحيواني وتكتسي كلمة تقنية مدلولا واسعاً لديه لأنه يعتبر التعبير تقنية. تسمح التقنية إذن بتحويلنا وهذا أمر ممكن بما أن جنسنا لم يُجَمد من طرف الطبيعة. فبالنسبة إليه يعد التجويد حقا فرديا وواجبا جماعيا إذ تتطلب منا الأخلاقية الإنسية أن نصارع المعاناة والموت ومن هنا تكتسب الوسائل التقنية المؤدية إلى ذلك مشروعيتها. إن الرغبة في تحقيق الخلود ليست نتيجة لتمركز متفاقم حول الذات بل هي رغبة طبيعية في الاحتفاظ بأنفسنا.

بخصوص تحسين النسل، فلقد باشرته الإنسانية بتحديد الأمراض الوراثية والتشوهات أثناء الحمل وتوقيفها إن كان الأمر ضروريا ويتعلق الأمر بوضع حدود أخلاقية وقانونية للتعديلات الوراثية، وإذا كانت إمكانيات ذلك تزداد فإن المشكل الذي يبرز هو تغيير الخصائص الإنسانية.

يخشى معارضو حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية أن تتلقف تقنياتِ التحسين أيادٍ غير أمينة وتخلق قوة بيولوجية شمولية. إن خطر استعمال التقنية ضد الحياة والحرية أمر وارد بقوة فاستعمال التعرف الآلي عن طريق الوجه

واستعمال التعقب الدائم للمواطنين لازالا موجودين في الدول الشمولية كما أن استعمال التقنيات المعقدة جدا لازال يلازم الحروب.

لذلك يجب أن ينظر إلى الأمور بنسبية فلا يوجد بين مخاطر الاستعمال الحربي للنووي ومخاطر الاستعمال السلمي لتكنولوجيات النانو إلا فرق في الحجم. ورغم ذلك يفرض التقدم التقني أن تحدد الغاية الأخلاقية حتى يمكن الحكم على الاستعمالات وحتى يمكن تنظيمها من خلال القانون إذا تطلب الأمر ذلك. وللإشارة، تبعث حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية على تفاؤل مريح يمكن اعتباره ساذجا لكون سوء استخدام التقنيات أمرا ثابتا.

يمكن أن يسخَّر تحسين الإنسان لخدمة الأهواء الشريرة التي تحرك البشر إذ يمكن أن يصبح ما بعد الإنسان شيطانا إذا ما جُوِّدت فقط قدراته بصرف النظر عن تعاطفه ومؤانسته للآخرين. لم يُثر هذا المشكل من طرف حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية حيث لم تطرح يوما مسألة رفع تعاطف الإنسان لذلك نتساءل عن إمكانية رفع قدرات الإيثار والمؤانسة وهو في صالح الجميع.

4- حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية والإيديولوجية والسياسة

4-1- الحركة والإيديولوجيا ما بعد الحداثية

تقدم الحركة نفسها كوريثة للحركة الإنسية لذلك تريد تجاوز الشرط الإنساني. وإذا كانت الحركة الإنسية تضع الإنسان وكرامته في صلب اهتماماتها، فان حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية مشتقة منها إذ لا تسعى فقط إلى الاحتفاظ بكنه الإنسان، بل بتطويره وتحويله. وبوضع التقنية في قلب الثقافة عرفت الإنسية القديمة تغيرا كبيرا لكنه لم يصل درجة التنصل منها.

تدعو الواجهة الأخلاقية للحركة الإنسية إلى كرامة وقيمة كل فرد من أفراد الإنسانية مما يفرض مساواة اجتماعية لكن وكما هو مشار إليه أعلاه، يتموقع جزء من مؤيدي حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية في خانة النخبوية والتحررية وهذا

ما يتعارض مع المساواة إذ تتطلب هذه الأخيرة أشكالا من التنظيم وإعادة التوزيع لأن الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما هي عليه حاليا تزيد من التفاوتات واستعمالُ تقنيات التحسين التي يختص بها البعض يزيد من حدة التفاوتات.

بخصوص هذا الموضوع، يمكن الاستعانة ب Jean Michel Besnier الذي يرى بأن صدام الأجيال لن يكون بارزا في سياقٍ تعودنا فيه على فقدان معالم بنيات القرابة التي كان لها دور كبير في المجتمعات القديمة. وفي بحثنا حول التغيرات الحضارية والتشويش الفلسفي والإيديولوجي الجاري تبين أن المعالم التقليدية للقرابة توصف بالعتيقة ومعنى ذلك أنها قديمة وغير نافعة ومتجاوزة.

يمثل ذلك سمة خاصة بما بعد الحداثة ويتعلق الأمر بالتخلي عن المعالم الأساسية. إذا كانت الحداثة تسعى إلى تقدم علمي وتقني في إطار إنساني فالملاحظُ أن حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية تزعم التحرر من كل ما هو إنساني. والنقطة النقدية التي تفرض نفسها هي معرفة ما إذا كانت المعالم التقليدية طارئة وما إذا كان تجاوزها لا يسبب اختلالات علائقية واجتماعية كبرى.

تقودنا فكرة ما بعد الحداثة إلى ما بعد الإنسانية فالفرق بين الانتقال نحو ما بعد الإنسانية وحركة ما بعد الإنسانية دقيق جدا. تثمن الحركتان معا تأثير التكنولوجيات على الإنسان ومحيطه، فإذا كانت الأولى تفاؤلية فإن الثانية تشاؤمية. وتحيل كلمة ما بعد إنسانية إلى كائن غادر وضعا إنسانيا غير مرغوب فيه. إنها مرتبطة بتشاؤم ما بعد الحداثة الذي خلفته المآسي الكبرى للقرن العشرين والتي زرعت الشك في الأطروحات الإنسية والكونية للأنوار.

4-2- حركة ما بعد الإنسانية والإيديولوجيات الليبرالية

تندرج حركة الانتقال نحو ما بعد الانسانية كلية في الإيديولوجيا النيو ليبرالية التي تخرق الحدود الأخلاقية التقليدية وتهدف النيو ليبرالية إلى تقوية الحقوق الفردية والتحرير الدائم للأخلاق وهذا ما يؤدي إلى انحلال القيم التقليدية وإلى

تحول اجتماعي عميق. تقوّض النيو ليبرالية عددا من المبادئ الثقافية الأساسية للمجتمعات التقليدية دون تقويم ذلك ودون تدقيق الهدف المتبع.

وبدرجة أكثر يناصر هذه الحركة التحرريون الذين يعتدُّون بالحرية الفردية والحد الأدنى لتدخل الحكومة والسوق الحر كمحركات للتقدم الإنساني. وفي سياق هذه الحركة يترجَم هذا التصور بالدفاع عن الحرية الفردية في استعمال تكنولوجيات التجويد وفي منع التنظيم الجماعي للتكنولوجيات الجديدة.

ومن الانتقادات الموجهة إلى هذه الحركة أن عددا من مؤيديها انخرطوا في هذه المغامرة غير محسوبة العواقب متناسين النتائج الاجتماعية الوخيمة للمنافسة غير المتوازنة بين المجموعات الاجتماعية والأفراد.

وفي معرض حديثه عن إمكانية التقنيات تغيير الجنس والسلالة والشكل والتعديلات الوراثية والاستنساخ صرح Zoltan Istran المرشح للانتخابات الرئاسية للولايات المتحدة الأمريكية سنة 2016 أن من حق أي واحد استعمال ذلك وفق إرادته، وفي ذلك إحالة إلى فردانية مطلقة لا تكترث بما هو جماعي.

يجب أن نكون يقظين إزاء العلاقة الوطيدة بين حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية وعالم التجارة وبالأخص" GAFA " . والجانب الأهم الذي يظهر هنا هو الواجهة التجارية للحركة والتي تدفع إلى استهلاك منتوجات تقنية وصيدلانية.

تُشهر إيديولوجيا الحركة مبدأ تجويد الإنسان لدعم ممارسة مختلفة مرتبطة بمصالح اقتصادية وتتجلى في رفع مبيعات التكنولوجيات المتقدمة، وعليه يمكن اعتبار مثالية الحركة تتعلق أكثر بالسوق ما هي عليه بالإنسان.

4-3-تيارات متعددة

حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية حركة متعددة وتؤثث فضاءها تياراتٌ فكرية كثيرة. يتبنى بعض مؤيديها مواقف متمحورة حول المجموعة، فهم يقبلون بضرورة تنظيم التكنولوجيات من أجل الصالح العام وبضمان توزيع عادل

للمكاسب التكنولوجية كما يحذرون من استفحال التفاوتات بفعل التقدم التكنولوجي. هناك وعي متزايد داخل الحركة بضرورة معالجة التبعات الاجتماعية والأخلاقية لتكنولوجيات التجويد. وبصرف النظر عن المساواة في الاستفادة من مكاسب التكنولوجيا، هناك نقاشات عديدة حول النتائج الأخلاقية والاجتماعية والبيئية للتكنولوجيات الناشئة.

لقد تفرعت مثالية الحركة إلى عدة خيارات تتعلق باستعمال وتوزيع التكنولوجيات وتسعى إلى تحقيق التوازن بين الحقوق الفردية والمسؤوليات الجماعية.

4-4-حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية كقوة سياسية

لقد أنشأ Zoltan Istvan حزب الانتقال نحو ما بعد الإنسانية سنة 2014 ويدل تقدم الحزب للانتخابات الرئاسية الأمريكية على قوة مالية واجتماعية مهمة رغم صعوبة تقديرها بدقة، ورغم شعبية الحركة فإنشاء حزب محفوفٌ بالمخاطر في بلد متدين ومحافظ، ومن جانب آخر فالحركة غير سياسية وقد أدى اختيار الانتظام في حزب سياسي إلى موقف رافض من طرف أغلبية الأسماء البارزة في الحركة. وبعد عشر سنوات لم نعد نسمع بتحزب الحركة لكن الجمعيات التي تدور في فلكها لا زالت قائمة.

خاتمة:

تقنية - إيديولوجية

حركة الانتقال نحو ما بعد الإنسانية مزيج معقد من الإيديولوجيا والفلسفة يحركه التقدم التقني والتوسع الاقتصادي الكبير وقد أعادت الإبداعات التكنولوجية صياغة الاسئلة المطروحة حول الإنسان منذ قرن. تتسم الحركة فلسفيا ببعض الالتباس لأنها تدعي أنها إنسية لكنها تنحو نحو تجاوز الإنسان بطريقة نخبوية. وللتذكير، فإن القيم الفردانية والنخبوية والتحررية التي يمررها أقوياء الحركة (مالكو GAFA) لا تنسجم مع حياة اجتماعية متناغمة وليست مقبولة من طرف جزء من مؤيدي الحركة.

لقد كان مشكل استعمال التقنيات دائما حاضرا في تاريخ الإنسانية لكن ازداد حدة مع حركة الانتقال نحو ما بعد الانسانية حيث تمس التقنية مباشرة ما يشكل الإنسان ولذلك رافقها نقاش إيديولوجي مكثف ليبقى السؤال مطروحا لمعرفة زمن ومعنى تحويل الإنسان.

طقوس الزواج
بمنطقة "الصباب"

رشيد القصيري
طالب بماستر التعدد اللغوي والتلاقح الثقافي في المغرب
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة - المغرب

د. كمال بورمضان
أستاذ محاضر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الأول، بوجدة – المغرب

ملخص:

يتحدث هذا المقال عن الزواج والطقوس المتعلقة به في منطقة "الصَبَّابْ" (إقليم كرسيف بالمملكة المغربية) ومَشْيَخَاتِهَا الأربع: "مَشْيَخَة بْنِي بُونْصَرْ" و"مَشْيَخَة بْنِي مَنْصُورْ" و"مَشْيَخَة بُورَاشْدْ" و"مَشْيَخَة أُولَادْ سِيدِي بَلْقَاسْمْ." تم التطرق من خلاله لبعض الطقوس الدينية والثقافية والاجتماعية المرتبطة بالزواج في هذه المنطقة؛ كطقوس الخطبة الصغيرة والكبيرة وعقد القران، و"الدْفُوعْ"، وطقس الْحَنَّاءِ، وطقس "الْحْسَانَة". يسلط المقال الضوء كذلك على التغيرات التي طرأت على هذه الطقوس مع مرور الزمن، كما يتناول بعض التفاصيل الثقافية والاجتماعية للزواج في المنطقة. اعتمد هذا المقال بشكل شبه كلي على الروايات الشفوية التي قدمها بعضٌ من سكان المنطقة، ضمن إسهامٍ ولو يسير في توثيق التراث اللامادي الآيل للاندثار بفعل ارتباطه بالذاكرة الجماعية التي عاجلا أو آجلا ستتآكل في اتجاه النسيان.

كلمات مفتاحية: منطقة "الصباب"، الخطبة، طقوس الزواج، العرس.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
القصيري، رشيد. بورمضان، كمال. (2024، يوليوز). طقوس الزواج بمنطقة "الصباب". مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 64-86.

Abstract:

This article discusses marriage and its associated rituals in the "Sabab" region (Guercif Province, Kingdom of Morocco) and its four sheikhdoms: "Sheikhdom of Beni Bounsar," "Sheikhdom of Beni Mansour," "Sheikhdom of Bourached," and "Sheikhdom of Ouled Sidi Belkacem." It addresses various religious, cultural, and social rituals related to marriage in this area, such as the small and large engagement ceremonies, the marriage contract, "Dafouaa," the henna ritual, and the "Hassana" ritual. The article also highlights the changes that have occurred in these rituals over time and explores some cultural and social details of marriage in the region. This article relies almost entirely on oral narratives provided by some residents, contributing modestly to the documentation of intangible heritage that is at risk of disappearing due to its association with collective memory, which will eventually fade into oblivion.

Keywords : "Sabab" region, engagement, marriage rituals, wedding.

مقدمة

يستحيل تواجد واستمرار أي مجتمع دون تفاعل أفراده؛ أي ضرورة وجود علاقات اجتماعية تربط بينهم وتساعدهم على إشباع حاجاتهم، يمكن القول بأن هذا التفاعل وهذه العلاقات لها ضوابط تنظم كل ما هو اجتماعي بين أفراد المجموعة الواحدة ذات الانتماء المشترك، وحتى بينها وبين من هو غريب عنها، وهذا ما يصطلح عليه بالنظم الاجتماعية الضامنة للاستمرارية في تأدية الوظائف الاجتماعية. من بين هذه النظم الاجتماعية نجد نظام الزواج، إذ يعد واحدا من أهم طقوس العبور التي يمر منها الإنسان ضمن ثلاثية: الميلاد والزواج والموت.

أما عن مراسيم الزواج فمن المعلوم اختلافها من مجتمع إلى آخر، والمغرب مجتمع له طابع خاص فريد من نوعه، ولكل منطقة من مناطقه خصوصيات دقيقة تستدعي دراسة خاصة، وهذا واحد من الأسباب التي جعلتنا نختار منطقة "الصباب" بإقليم كرسيف بالمملكة المغربية، ومشيخاتها الأربع للتعرف على عادات الزواج فيها، التي لازال فيها ما هو مستمر لحد الآن، أو تعرض للانقراض والتلاشي التدريجي، هذا الأمر يجعل مثل هذه الأعمال توثق هذا التراث اللامادي من أجل المساعدة في حفظه وتثمينه واستثماره.

أولا: التعريف بمنطقة "الصباب"

"الصباب" جماعة قروية، تتواجد بإقليم جرسيف التابع لجهة الشرق، مساحتها الإجمالية حوالي 623 كيلومتر مربع. تعود تسمية "الصباب" حسب الروايات الشفوية المتداولة في المنطقة نسبة إلى شلال صغير كان يتواجد بالقرب من عين طبيعية تسمى "عِينْ الْحُوتْ" المتواجدة "بالصباب" المركز.[1]

1 - برنامج عمل جماعة الصباب 2023-2028، ص 12.

يبعد مقر جماعة "الصباب" بحوالي 35 كيلومتر عن مدينة جرسيف. ويبلغ تعداد سكان الجماعة حسب إحصائيات سنة 2014حوالي 7069 نسمة، يتحدثون اللغتين الأمازيغية والعربية.[1]

تتجاور منطقة "الصباب" مع الجماعات الترابية التالية:

- جماعة "هُوَارَة أوْلاَدْ رَحُّو" من جهة الشمال؛

- إقليم بُولْمَانْ وجماعة "بَرْكِينْ" من جهة الجنوب؛

- جماعة "الْمْرِيجَة" من جهة الشرق؛

- جماعة "تَادَّارْتْ" (الرَّانَاتْ) وجماعة "رَاسْ الْقْصَرْ" من جهة الغرب.

تندرج منطقة "الصباب" ضمن المجال الترابي لقبيلة "آيت جليداسن"، انفصلت عن جماعة "بركين" سنة 1992، لتتشكل من عدة فروع نزحت من الجبل إلى السفح وهي كالتالي:

- فرع "بْنِي بُونْصَرْ": "الصباب" المركز، "لَكْطُوطَة"، "بُومَلْزَة"، "الْخُرْجِيَة"، "الْحَاجْ عِيسَى"، "نَسِّيسَة"، "غَابَةْ السْبَعْ"...

- فرع "بْنِي مَنْصُورْ": "مَزْغَمَّة"، "الْعَطْشَانْ"، "الطَّالْبِيَة"، "الْخَنْدَكْ"...

- فرع "أُوْلاَدْ سِيدِي بَلْقَاسَمْ": "سِيدِي وَاضْحْ"، "بُوهْلاَلْ"، "الْمْزْحُومْ" ...[2]

- فرع "بُورَاشَدْ": "بُورَاشَدْ الزَّاوْيَة"، "تَلْبْسَانْتْ"، "تْسِينْكِيتْ"، "تِيمْكَرْدِينْ قَاقَّا".

1 - برنامج عمل جماعة الصباب 2023-2028، ص 12.

[2]- رواية شفوية للسيد أزروال عبد الصمد، جرسيف، 64 سنة.

ثانيا: طقوس الزواج بمنطقة "الصباب"

1- تعريف الزواج

عرَّف عمر رضا حكالة الزواج لغة بأنه "الاقتران، قال الجوهري: زوج المرأة بعلها، وزوج الرجل امرأته، وذكر قوله تعالى في سورة الدخان، الآية 54: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي قرناهم بهن، وقوله عز وجل في سورة الصافات، الآية 22: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَزْوَاجَهُمْ﴾ أي قرناءهم. قال الجوهري كذلك النكاح لغة هو الوطء، وقد يكون العقد، تقول نكحتها ونكحت أي تزوجت، وهي ناكح من بني فلان أي هي ذات زوج، واستنكحها بمعنى نكحها وأنكحها أي زوجها." [1]

في معجم اللغة العربية المعاصر نجد تعريف الزواج كالآتي: "اقتران الذكر بالأنثى أو الرجل بالمرأة بعقد شرعيّ: - زواج الأقارب يضعف النسل... - زواج مدنيّ: زواج تعقده السلطات المدنيَّة، - زواج مصلحة: زواج يُعقد طمعًا في كسب اجتماعيّ أو سياسيّ أو اقتصاديّ - زواج الشِّغار: (الفقه) زواج بدون مهر، وذلك بأن يزوِّج الرجل قريبته لآخر على أن يزوِّجه الآخر قريبته: - نهى الإسلام عن زواج الشِّغار. - زواج المُتعة: (الفقه) زواج مؤقّت، بحيث يتزوَّج الرَّجل امرأة لغاية الاستمتاع بها لفترة زمنيّة..." [2]

في مدونة الأسرة المغربية نجد تعريف الزواج أنه "ميثاق تراضٍ وترابط شرعي بين رجل وامرأة على وجه الدوام، غايته الإحصان والعفاف وإنشاء أسرة مستقرّة برعاية الزوجين." [3]

---

[1]- عمر رضا حكالة، **الزواج**، ج1، سلسلة البحوث الاجتماعية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1980م، ص 6.

[2]- معجم اللغة العربية المعاصرة، تعريف **الزواج**، موقع المعاني، اطلع عليه 2024/06/15 على الرابط المختصر: https://2u.pw/WlsGEXZg

[3]- المادة 4 من مدوّنة الأُسْرَة الصادرة في 05 فبراير 2004.

2- بعض الطقوس المتعلقة بالزواج بمنطقة "الصباب" حسب المشْيَخَاتْ

أ- مشيخة "بني بونصر"

- **طقوس الخطبة:** قبل ثمانينيات القرن الماضي، كان من النادر أن يجرأ أحد شبان مشيخة "بني بونصر" على مصارحة الأب بأنه راغب في الزواج، غير أنه يلمح بذلك للأم، وبعدها يتكلف والداه باختيار العروس المناسبة، وفي كثير من الأحيان كان العريس يرى عروسه حتى ليلة الزفاف، خلال هذه المرحلة كان عمر زواج الفتاة يتراوح ما بين 14 و15 سنة، في هذا السن تكون مؤهلة للزواج بعد وجوب صيامها في رمضان.[1] أما في الوقت الحالي فالشاب هو من يختار - غالبا - العروس بنفسه، وهو من يطلب من والديه التقدم لخطبتها.

- **الخطبة الصغيرة:** تتجه عائلة العريس في وفد صغير تقوده الأم بدون وساطة صوب بيت عائلة العروس، وغالبا ما تتم الزيارة دون إخبار مسبق، حاملة معها بعض قوالب السكر وعلب الشاي. بعدما تتقدم عائلة العريس بطلب يد العروس من أهلها، تطلب منها أسرة العروس مهلة للتفكير، وفي غالب الأحيان يكون الجواب بالموافقة. [2]

- **الخطبة الكبيرة "التْعْرْكِيبَة":** بعد الموافقة النهائية على طلب الزواج يتم تحديد يوم تحضر فيه عائلة العريس إلى بيت العروس حاملة معها الحاجيات الضرورية من حناء وسكر ودقيق وزيت، وأيضا الذبيحة التي تعد إعلانا رسميا عن بداية علاقة المصاهرة بعد قراءة الفاتحة والاتفاق على الصداق، كما تقدم بعض الهدايا والملابس لعروسهم.

[1] - رواية شفوية للسيد امحمد مداح، فلاح، دوار تيخامين، 90 سنة.

[2]- رواية شفوية للسيد محمد مداح، فلاح، دوار تيخامين، 62 سنة.

خلال الخطبة الكبيرة يتم تحديد يوم توثيق العقد، وأيضا اليوم الذي يتم فيه الزفاف. [1]

- **عقد القران:** قبل ثمانينيات القرن الماضي، كان عقد القران يتم بالسوق الأسبوعي "بالصباب" المركز والذي يسمى سوق الأحد، حيث يتواجد العدول، بحضور أولياء العريسين وبعض الشهود، دون حضور العريسين في حالات كثيرة. وفي بعض الأحيان كان الزواج يتم فقط بتلاوة الفاتحة دون إبرام عقد القران، ولا يتم ثبوت الزوجية إلا بعد إنجاب الأطفال. [2] في الوقت الحالي كل عقود الزواج تتم عند مكاتب العدول بمدينة جرسيف.

- **نْهَارْ "الْحَطَّابَة":** في الصباح الباكر يجتمع شبان الدوار، مرفوقين بدوابهم وفؤوسهم، وبعد تناول وجبة الفطور يقصدون الغابة لإحضار الحطب لبيتي العروس والعريس. وعند عودتهم تنطلق الزغاريد والأهازيج بعد تفريغ حزم الحطب، ثم يستدعون لتناول وجبة الغذاء في بيت العريس. [3]

- **"الزْهَاجْ":** ينطلق زْهَاجْ العروس من بيت العريس ويحمل في إحدى وسائل النقل الحديثة، عكس ما كان في السابق، إذ كان يحمل على الدواب، ويسير محفوفا بالأهل والأقارب ويطاف به في مختلف أنحاء الدوار حتى تشاهده كل الساكنة، وقد كان يتشكل من الذبيحة، والدقيق، والسكر، والزيت، والشاي، وبعض ملابس العروس، والحناء، وبعض الحلي. قبل تسعينيات القرن الماضي كان الزهاج يتشكل بالإضافة إلى ما سبق من خاتم "النْقْرَة" (الفضة) والْخُلْخَالْ (سوار يوضع في كاحل المرأة). [4]

[1] - رواية شفوية للسيد محمد مداح، فلاح، دوار تيخامين، 62 سنة.

[2] - رواية شفوية للسيد سعيد براز، فلاح، دوار الخرجية، 48 سنة.

[3] - رواية شفوية للسيد سعيد براز، فلاح، دوار الخرجية، 48 سنة.

[4] - رواية شفوية للسيد سعيد براز، فلاح، دوار الخرجية، 48 سنة.

- **العرس في بيت العروس:** فور وصول "الزهاج" تزداد حدة الزغاريد وأغاني النساء، إيذانا بوصول الوفد، كما يتم تقديم الخاتم من طرف العريس لعروسه. وبعد تناول وجبة الغذاء يُشْرِع في تجهيز العروس لمراسيم الحناء، وتجهز "صِينِيَة"[1] يوضع وسطها صحن الحناء وفوقه بيضتين وهو محاط بالشموع. في نفس الوقت تكون العروس محاطة بعائلتها وعائلة العريس، فتعلو الزغاريد والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تشرع إحدى المقربات في نقش الحناء للعروس، وكلما ازدادت حدة الأهازيج والزغاريد، إلا وتحركت أحاسيس العروس ودمعت عيناها مع تأثر كل الحاضرات بذلك، وهذا تعبير عن صعوبة فراق العروس لأهلها وعن رهافة حسها. بالموازاة مع ذلك تساهم الإناث الحاضرات مع العروس بقدر مالي يسمى "الْغْرَامَة" يوضع في "الصينية".

- **العرس في بيت العريس:** قبل صلاة المغرب بقليل تصل فرقة "الشْيُوخْ" لبيت العريس، والتي تتشكل من أربع إلى ست أفراد، يقدمون حفلهم ليلا، كل واحد منهم يستعمل آلة موسيقية خاصة؛ كالطْبْلْ و"الْبَنْدِيرْ" و"الْغِيطَة" و"الْكَصْبَة".[2] مع بداية الليل تنطلق "الْقْصَارَة" أي الاحتفال قبالة باب المنزل، أما في الداخل فتزداد حدة نبرة وطول مدة الزغاريد والأهازيج.[3]

- **طقس الحناء عند العريس:** يجهز طبق من الحلفاء يوضع فيه صحن من الحناء، وقالب من السكر، والشموع، يوضع بالقرب من العريس، ويشرع الحاضرون في تقديم المساعدات المادية "لْمُولاَيْ السْلْطَانْ"، "سْلْطَانْ سْبَعْ أْيَّامْ."[4]

---

[1]- "صِينِيَة": من الأواني المنزلية، تستخدم أساسا لتقديم كؤوس الشاي لأفراد الأسرة والضيوف.

[2]- "الْبَنْدِيرْ": آلة موسيقية إيقاعية، تستعمل في المغرب في الموسيقى الشعبية والغناء والمديح، تصنع من الخشب ومن جلد الماعز في الغالب.

- "الْغِيطَة": آلة موسيقية تصنع من الخشب، تتألف من قصبتين ينفخ فيهما بواسطة الفم.

- "الْكَصْبَة: آلة موسيقية نفخية، تصنع من القصب، تستعمل كثيرا من قبل الرعاة البدو، كما تستعمل في الأعراس.

[3] - رواية شفوية للسيد محمد حسنون، فلاح، دوار الصباب المركز، 73 سنة.

[4]- رواية شفوية للسيد محمد حسنون، فلاح، دوار الصباب المركز، 73 سنة.

- **"تَرْوَاحْ لْعْرُوسْ"**: ذكر السيد محمد قروط: بأنه بعد انتهاء طقس الحناء عند العروس، وقبل انطلاق رحلتها إلى بيت الزوجية، يتم إغلاق الباب عليها ولا يسمح لها بالانتقال إلى بيت الزوجية إلا بعد تأدية قدر مادي رمزي لأخيها، أيضا فور خروج العروس من بيت والدها ممتطية البغل أو "الْعَوْدَة" (أنثى الحصان) يقوم أهلها برجم أهل العريس بالحجر، تعبيرا عن رفضهم وعدم تقبلهم للأمر (يدل هذا على حبهم للعروس التي أخذها منهم العريس). بعد وصول العريسين لبيت الزوجية يقدم لهما طبق من السَّمْنْ والْبَيْضْ "الْبَلْدِي". [1]

في صباح اليوم الموالي تُحْضرُ عائلة العروس الفطور للعريسين في جو من الأهازيج والأغاني الخاصة بالمنطقة.

- **حلي العروس من الفضة:** لازالت العروس تتزين بنفس الحلي التي كانت متواجدة قبل الثمانينيات، وتتكون من:

-"الْخْرُوسْ" وهي حلي توضع فوق الرأس؛

- "الْخُلْخَالْ": يوضع في الرجل؛

- "تِيمْقْيَاسِينْ" "الْمَقْيَاسَة": هي على شكل دملج توضع في مرفق اليد.

- **ملابس العريس والعروس ليلة العرس:** يرتدي العريس الجلباب الأبيض، والسلهام، و"الْحَمَّالَة" على الصدر المزينة بالْمُوزُونْ والخيوط الحمراء، والبلغة، والخنجر. أما العروس فترتدي فستانا ووشاحا أبيضا، و"الشْرْبِيلْ "[2]...[3]

[1]- رواية شفوية للسيد محمد قروط، مدير المصالح بجماعة الصباب، دوار الصباب، 56 سنة.

[2]- الشْرْبِيلْ: نعل تقليدي ترتديه النساء المغربيات، تقابله البلغة الرجالية.

[3] - رواية شفوية للسيد محمد مداح، فلاح، دوار تيخامين، 62 سنة.

ب- مشيخة بني منصور

يقطع الزواج بمشيخة بني منصور مجموعة من المراحل، تتخللها طقوس مختلفة، سنتطرق إلى البعض منها باقتضاب.

- **"زْوَاجْ لِيلَة تَدْبِيرُوعَامْ"**: مثل مغربي معروف، يحث على التركيز والتريث قبل الزواج لضمان نجاحه. في غالب الأحيان يقيم معظم المغاربة حفلات الخطبة بسنة كاملة قبل موعد العرس. رغم ما شهدته العادات والتقاليد من عصرنة في السنوات الأخيرة، إلا أن هناك الكثير من الأسر المغربية التي لازالت محتفظة بعاداتها العريقة المرتبطة بالزواج.

- **الخطبة:** تتشابه مشيخة بني منصور وباقي المشيخات فيما يخص الطقوس العامة التي تميز الخطبة بشكل خاص والزواج بشكل عام، رغم وجود قلة من العادات التي تميز كل مشيخة عن أخرى.

يسمي أهل مشيخة بني منصور الخطبة "بالتْعَرْكِيبَة" وهي بمثابة إعلان بداية عملية الزواج، يتوافق خلالها أهل العروسين على عدة تفاصيل كالصداق، وموعد عقد القران، وموعد الدفوع ومكوناته، وأيضا موعد الزفاف.[1]

- **عقد القران:** قبل ثمانينيات القرن الماضي كان الزواج يتم بتلاوة الفاتحة فقط، يحضره إمام المسجد وعشر شهود، يقول السيد أمغيوز "في سنة 2001 حلت لجنة وزارية بمشيخة بني منصور لتوثيق حالات الزواج التي تمت فقط بالفاتحة."[2]

[1] - رواية شفوية للسيد محمد أمغيوز، فلاح، دوار العطشان،67 سنة.

[2] - رواية شفوية للسيد محمد أمغيوز، فلاح، دوار العطشان،67 سنة.

نشير إلى أنه حاليا لا يتم الزواج إلا بعد استكمال الفتاة لسن 18 سنة، باستثناء بعض الحالات الخاصة التي حددتها مدونة الأسرة.[1]

- **"الدْفُوعْ"**: ينطلق موكب الدفوع من بيت العريس باتجاه منزل العروس، محملا بالذبيحة ولوازم مختلفة من دقيق، وسكر، وزيت، وحناء، وملابس خاصة بالعروس، تقوده النساء في أغلب الأحيان. كما يمكن أن تشارك فيه فرقة "الشْيُوخْ"[2]. وعند الاقتراب من بيت العروس تزداد كالعادة حدة الزغاريد والأهازيج إعلانا بوصولهم، فيتم استقبالهم من قبل أهل العروس بالشاي والحلوى.

- **ليلة الحناء عند العريس:** هي الليلة الثانية من حفل الزفاف، يطلق عليها كذلك اسم "الْغْرَامَة"، يقام فيها حفل عشاء على شرف المدعوين، وبعد الانتهاء من وجبة العشاء يرتدي العريس "مُولاَيْ السْلْطَانْ" اللباس التقليدي المكون من "سِرْوَالْ قَنْدْرِيسِي"[3] وجلباب أبيض، وبُلْغَة[4] بيضاء، ويضع على رأسه عمامة، وأحيانا يكتفي بقُبّ الجلباب. يرافق العريس كظله شخص يكون موضع ثقة من أقاربه أو أحد أصدقائه، يطلق عليه اسم "الْوْزِيرْ" (الوزير) يرتدي بدوره جلبابا وبلغة بيضاء، ينوب عن العريس، وينظم مهامه. له دورٌ مهم بالنسبة لأسرة العريس، فهو المكلف بحراسته وحمايته من خطر السحر والشعوذة الذي قد يتعرض له من قبل الحاقدين. [5]

---

[1] - نجد في المادة 19 و20 من مدوّنة الأُسْرَة في المملكة المغربية الصادرة في 05 فبراير 2004 ما يلي: "تكتمل أهلية الزواج بإتمام الفتى والفتاة المتمتّعين بقواهما العقلية ثماني عشرة سنة شمسية. غير أنه يمكن لقاضي الأُسْرَة أن يأذن بزواج الفتى والفتاة دون سن الأهلية المذكورة بمقرر معلّل يبيّن فيه المصلحة والأسباب المبررة لذلك، بعد الاستماع لأبوي القاصر أو نائبه الشرعي والاستعانة بخبرة طبية أو إجراء بحث اجتماعي.

[2]- "الشْيُوخْ": فرقة موسيقية، عدد أفرادها يفوق الأربعة، كل فرد منها يعزف على آلة موسيقية محددة.

[3]- "سِرْوَالْ قَنْدْرِيسِي": سروال تقليدي مغربي يتميز بشكله الفضفاض.

[4]- البُلغَةُ: عرفت في معجم المعاني الجامع، على موقع المعاني بأنها: "حِذَاءٌ مَغْرِبِيٌّ تَقْلِيدِيٌّ يُصْنَعُ مِنْ جِلْدِ الغَنَمِ... نوع من الأحذية يكثر في المغرب". انظر التعريف كاملا على الرابط المختصر: (اطلع عليه 2024/06/14) https ://2u.pw/KxjrLXUK؛ في المغرب تنطق الباء بالفتحة عند نطق كلمة "بَلْغَة".

[5] - رواية شفوية للسيد محمد أمغيوز، فلاح، دوار العطشان،67 سنة.

بعد ذلك يتم استدعاء أصدقاء العريس للجلوس بمحاذاته في جو تطبعه الزغاريد والأهازيج والبهجة، بالموازاة مع ذلك يشرع الحاضرون في تقديم المساهمات المادية للعريس، كل حسب استطاعته، وفي نفس الوقت تقوم إحدى قريبات العريس بتخضيب يد "مولاي السلطان" بالحناء وأيادي الحاضرين كذلك.

- **رقصة "أحيدوس":** ظلت رقصة أحيدوس إلى غاية السنوات الأولى من الألفية الثالثة، تمثل قوة الشخصية والشهامة المتأصلة لدى ساكنة مشيخة بني منصور من جهة، ومن جهة ثانية تجسد الترابط القوي والتضامن الكبير بين أفراد المشيخة.

تصنف "أحيدوس" ضمن فنون العرض التي تجمع بين الغناء والرقص الجماعي الاستعراضي الأمازيغي، يؤدى من قبل الرجال والنساء الذين يصطفون على شكل خط أو دائرة في حفلات الزفاف كشكل من الترفيه، إنها خليط متجانس من مجموعة من العناصر الأساسية، وهي الشعر، والرقص، والغناء، والإيقاع.

لاحظنا في السنوات الأخيرة كيف أخذت رقصة "أحيدوس" في التراجع بمشيخة بني منصور وبباقي مشيخات منطقة "الصباب" ككل لأسباب مختلفة.

- **"لِيلَةْ الدْخْلَة":** هي ليلة إثبات عذرية العروس عن طريق غشاء البكارة الذي يعد في نظر ساكنة بني منصور - بشكل خاص وكل ساكنة منطقة "الصباب" بشكل عام - الدليل الوحيد المثبت لعفة الفتاة وطهرها، لذلك لابد من إشهار وإذاعة الخبر أمام الملأ، باستخدام قطعة بيضاء عليها آثار دم العذرية تسمى "القْمِيجَّة"[1]. مباشرة بعد خروج "القْمِيجَة" تنطلق الزغاريد والأهازيج فرحا وفخرا "بعفة" العروس، كما تشرع النساء في ترديد بعض المقاطع الغنائية منها:

[1]- "القْمِيجَّة": كلمة قريبة من كلمة القميص بالعربية، و Camisa بالإسبانية، وتعني غالبا حسب معجم المعاني الجامع: "اللباس الرقيق يرتدى تحت الثياب عادة." انظر التعريف كاملا على الرابط المختصر: (اطلع عليه 2024/06/14) https://2u.pw/xyZlxbR2.

"أَلاَلِي بْخْتِي اللِّـــــي حَمْرَتْ لِي وَجْهـــــــــي
هَا هُوَ فُوقْ رَاسِـــــي لاَ تْقُولُو فَرْمَاســـــي"

إلا أن هذا الطقس لم يعد له وجود الآن؛[1] لأسباب دينية واجتماعية مختلفة.[2]

ت - مشيخة بوراشد

تتميز مشيخة بوراشد بتنوع عاداتها وتقاليدها وطقوسها، المرتبطة بالمناسبات والأفراح؛ كالأعراس، وهذا ما سنحاول كشف الستار عنه فيما يلي:

- **الخطوات التي تسبق حفل الزفاف بمشيخة بوراشد:**

- **الْخُطْبَة:** هي أولى خطوات الزواج، تتم بعد التقاء والد العريس ووالد العروس في المسجد بعد انتهاء الصلاة، أو في "الْوَلْجَة"[3] لطرح فكرة الزواج. وبعد توافق الوالدين تصبح الْخُطْبَة رسمية في حفل عشاء أو غداء في منزل الخطيبة، يتم خلاله الاتفاق على قيمة الصداق وموعد الزفاف.[4]

- **عقد القران:** أغلب العرسان يفضلون التوجه إلى مدينة جرسيف، لعقد القران في أحد مكاتب العدول، عوض إحضار العدول للمنزل ببوراشد، لانخفاض التكلفة المادية. ويكون عقد القران قبل العرس بيوم واحد، كما يمكن أن يكون بشهر أو شهرين أو ثلاث شهور، حسب الاتفاق بين والدي العروسين.

- **يَوْمْ "الْحَطَّابَة":** يكون قبل العرس بثلاثة أيام، يجتمع في صباحه الباكر شباب المنطقة مرفوقين بحميرهم، حاملين فؤوسهم، ليتجهوا نحو جبل أَغْزْدِيسْ أو " الزَّهْدَة " لجمع الحطب وهم يهللون ويكبرون. وبعد الرجوع من الغابة وإفراغ حمولة

[1]- نحن كباحثين في ميدان التراث، نؤمن بأن التراث يحتاج إلى تثمين واستثمار، كما يحتاج في بالتزامن مع ذلك إلى غربة؛ لأن هناك أمورا تراثية ليست مقبولة مثل؛ الشعوذة والحط من قدر المرأة... يجب القطع معها بشكل نهائي وحاسم؛ وعلى هذا الأساس لا ننظر إلى التراث بعين التقديس، إنما ننظر إليه بعين الموضوعية القريبة من الأبعاد التنموية.

[2] - رواية شفوية للسيد حميد مقران، فلاح، دوار مزغمة، 50 سنة.

[3]- "الْوَلْجَة": مساحة مغروسة، تتشكل من مجموعة من الحقول، تتشارك فيها غالبية الساكنة.

[4]- رواية شفوية للسيد البشير التويمي، دوار تالبسانت،71 سنة.

الحطب في منزلي العروسين، يتناولون وجبة الغداء التي أعدت خصيصا لهم في منزل العريس. نشير إلى أن عملية إحضار الحطب تطوعية وبدون مقابل، وهي مستمرة لحد الآن.[1]

- **طقوس العرس:**

في الصباح الباكر يتم بناء" الْخْزَانَة " بشكل جماعي، مباشرة تقوم أسرة العريس بإرسال "الدْفُوعْ" لمنزل العروس الذي يتشكل في غالب الأحيان من الذبيحتين (ذبح خروفين)، والخضر، والفواكه، والفساتين التقليدية، والجواهر، والسكر، والتمر... يتخلله غناء ورقص، يهدف هذا الطقس إلى إشهار الزواج والإعلان عن بداية حياة جديدة للعروسين.

- **الاحتفال في بيت العروس وارتداء الخواتم:** بعد تناول العشاء وتلاوة آيات بينات من القرآن الكريم والدعاء للعريسين وأسرتيهما، ومغادرة المدعوين، يجتمع المقربون في بيت العروس ويشرعون في الغناء والرقص طيلة الليل، بالموازاة مع ذلك يقوم العريس بوضع الخاتم في أصبع البنصر من اليد اليسرى للعروس، وهي بدورها تقوم بنفس الشيء للعريس.[2]

- **"الْحْسَانَة":** يعتبر طقس "الْحْسَانَة" من أهم طقوس العرس، تحضيره للعريس من اختصاص أم العروس. ففي المساء وبعد صلاة العصر مباشرة تحضر أم العروس أطباقا مصنوعة من الحلفاء مزينة بألوان مختلفة، مليئة بالبيض والحناء والحلوى والثمر والكحل والسواك وشفرات الحلاقة.

خلال هذا الطقس يقوم "لْوْزِيرْ" بحلاقة وجه العريس وتزيين عينيه بالْكُحْلْ هو وأصدقاؤه من الشباب العزاب. وفي نفس الوقت يتم ترديد بعض المقاطع الغنائية من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

[1]- رواية شفوية للسيد محمد القصيري، أستاذ متقاعد، دوار تالبسانت، 69 سنة.

[2] - رواية شفوية للسيد أحمد الحجوبي، فلاح، دوار بوراشد، 60 سنة.

"رَاحْنَا جِينَا لْدَارْكْ الْيُومْ أَزَّايْخْ أ الِّي مَعْلُـــــــــومْ"

فور انتهاء عملية "الحسانة"، يغادر أصدقاء العريس المكان، في وقت يبدأ فيه التحضير لليلة "القصارة".[1]

- **ليلة "الْقْصَارَة" في بيت العريس:** بعد تناول الرجال أولا، والنساء ثانيا لوجبة العشاء في منزل العريس، والتي تتشكل من "الطْعَامْ" (الكسكس) باللحم الأحمر "الْمَفْتُولْ"[2] أو "الْمْبَرْكَشْ"[3] مسبقا بطريقة تقليدية، ومن المرق بالدجاج، كل صحن يضم دجاجتين وقليل من المرق واللوز أو الزيتون. وبعد هاتين الوجبتين يتم إحضار صحن الفواكه.

يبدأ ما يعرف "بالقْصَارَة"، عندما يتم إحضار فرقة فلكلورية تسمى "بالشْيُوخْ"، تتكون من أربعة إلى ستة أفراد، كل واحد منهم يعزف على آلته الموسيقية التي يتقنها؛ كـ "الْغِيطَة" و"الْبَنْدِيرْ" و"الْكَصْبَة" و"الطْبَلْ". تستمر "الْقْصَارَة" إلى غاية طلوع الفجر. يحضرها فقط الرجال، بينما تكتفي ثلة من النساء بالمشاهدة من بعيد.

بالموازاة مع ذلك تكون غالبية النساء لوحدهن - باستثناء بعض الذكور المقربين - يغنين ويرقصن في جو خاص بهذه المشيخة، إذ يستعملن "الْبَنْدِيرْ" (نوع من الطبل) اللائي حضرنه بنفسهن مسبقا من جلد الماعز. ينتظمن وقوفا أو جلوسا في صفين متقابلين، كل صف يتكون من عشرة إلى خمسة عشر فردا، ويشرعن في "الزَّرْعْ"، (نمط غنائي)، يقوم فيه أفراد الصفين بتبادل المقاطع الغنائية، والتي تكون في غالبيتها عبارة عن معاني، حيث يطلق أفراد الصف الأول مقطعا غنائيا، فيرد عليه أفراد الصف الثاني بمقطع غنائي آخر وهكذا دواليك، ومن أمثلة ذلك:

[1] - رواية شفوية للسيدة فاطنة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)، ربة بيت، دوار تالبسانت، 64 سنة.

[2]- "الْمَفْتُولْ": فتلت الكسكس، عرفت في معجم المعاني الجامع، على موقع المعاني بأنها: دعكت الدقيق مخلوطا بقطرات من الماء ليتحول إلى حبات صغيرة.

[3]- "الْمْبَرْكَشْ": المصنوع بطريقة تقليدية.

"أَلْهْوَى فِينْ مَّالِيهْ جِيبُوا البُورَاشْدِيَاتْ يْلَعْبُوا عْلِيهْ" [1]

- **عادة الغَضْبَة:** يمكث العريس منعزلا في مكان ما خارج البيت "عادة الْغَضْبَة"، إلا أنه مع اقتراب وصول العروس يقوم فريق من الشباب الحاضرين مرفوقين بطفلة بإحضار العريس للمنزل ممسكا بضفيرة شعرها، ورأسهُ مغطى بالكامل بِقُبِّ الجلباب (غِطَاءُ الرَّأْسِ الْمُلْتَصِقُ بِالْجِلْبَابِ)، في مشهد مليئ بالزغاريد والأهازيج.

- **طقس الحناء:** يُحَضَّرُ طبق مصنوع من الحلفاء، يوضع فيه قالب من السكر، وحبات من البيض، والحناء، وفيه النقود المهداة.

يجلس العريس على كرسي ورأسه مغطى بقُبِّ الجلباب، ويقف بجانبه شابين مرتديين جلابيب بيضاء، حاملين سكينين، فيشرعان في ترديد بعض العبارات من قبيل "أَحْنَّاوِيّنْ مَنْ جَانَا يْجِيهْ الْخِيرْ، أَحْبَابُو أَبْنِي عَمُّو، وْنْرَدُّوهَا لُو فَالْخِيرْ" تتكرر هذه العبارات كلما أعطى أحد قدرا من المال. للإشارة يحاول كل واحد إعطاء قدر مالي أكثر من سابقه. وفور انتهاء عملية الحناء يهرول العريس مسرعا لغرفته، وفي حالة ما تأخر في الهروب ينهال عليه الحضور بالضرب إلى أن يلج غرفته لانتظار قدوم العروس. [2]

- **طقس "أَرْوَاحْ الْعْرُوسَة" (قدومها):** قبل طلوع الشمس، ينصرف جزء من أفراد عائلة العريس لإحضار العروس، وفور وصولها حاملة خبزة تحت إبطها، تقوم بضرب البيض وتكسير قالب السكر على العتبة العليا لباب المنزل. كما تقوم بإلقاء الحلوى والثمر باتجاه الحاضرات والحاضرين المتواجدين خلفها. وبعد ذلك تلتحق بالعريس. يقول السيد جمال خالد "في زمن غير بعيد كانت بدوار (تْسِينْكِيتْ) سيدة

[1] - رواية شفوية للسيد أحمد الحجوبي، فلاح، دوار بوراشد، 60 سنة.

[2]- رواية شفوية للسيدة فاطنة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)، ربة بيت، دوار تالبسانت، 64 سنة.

قوية البنية تدعى مَنَّانَة تحزم العروس على ظهرها وتتجه بأقصى سرعة صوب منزل العريس."[1]

- **طقوس بعد العرس:** في صباح الغد تقوم أسرة العروسة بزيارة المتزوجين حاملة وجبة الفطور لهما.[2]

تبقى العروس في بيت الزوجية مدة ثلاث أيام، وبالتالي من أراد زيارتها يزورها في بيتها، وفور انتهاء هذه المدة، تهم العروس / الزَّوْجَة بالخروج من بيتها في جو عائلي فيه قدر من الأهازيج والزغاريد، يقوم خلاله أحد العزاب الذكور من أقرباء العريس بوضع حزام على خصر العروس، اعتقادا أن هذا الحزام سيكون فأل خير على إنجابها مولوداً ذكر.

- **ملابس العرسان:** ليلة العرس، ترتدي العروس قفطانا أو فستانا يسمى "التَّكْشِيطَة"[3] ووشاحا يغطي الرأس وترتدي على مستوى القدمين بلغة تسمى "الشْرْبِيلْ" لونها يتناسق مع لون الفستان والوشاح.

تتزين كذلك ببعض المجوهرات والحلي والتي تتشكل من قلادة على مستوى العنق، وأقراط الأذنين، ودملجين في اليدين. أما العريس فيرتدي جلبابا أو "جَابَدُورًا"[4]، وبُلْغَةً، ويضع عمامة على مستوى الرأس، لونها متناسق مع الجلباب أو" الْجَابَدُورْ".

[1] - رواية شفوية للسيد خالد جمال، فلاح، تسينكيت، 42 سنة.

[2] - رواية شفوية للسيد سي محمد بالخدير، فلاح، بوراشد، 67 سنة.

[3]- "التَّكْشِيطَة": لباس مغربي تقليدي، ترتديه المرأة في الأعراس ومختلف المناسبات، يتشكل من قطعتين من القماش الفاخر.

[4]- الْجَابَدُورْ: لباس مغربي تقليدي خاص بالرجال، يرتبط عادة بالمناسبات الدينية، يشبه إلى حد كبير الجلباب، غير أنه لا يتوفر على غطاء الراس.

- **طقوس الخطبة:** قبل ثمانينيات القرن الماضي، لم يكن للعريس الحق في اختيار شريكة حياته ولا يتعرف عليها إلا في ليلة العرس. الوالدان هما اللذان يختاران العروس. أما في الوقت الحالي فالعريس هو الذي يختار العروس ويخبر والديه بالموضوع.

- **الخطبة الصغيرة:** يذهب والدا الشاب الراغب في الزواج إلى أسرة الفتاة ويتقدمان لخطبتها من والديها، حاملين هدية الخطوبة الصغيرة والتي تقتصر على بعض قوالب السكر - اثنان فما فوق -. بعد طرح فكرة الزواج يطلب والدا الفتاة مهلة للتشاور مع البنت، ويكون الجواب في غضون يومين أو ثلاثة أيام، وفي غالب الأحيان يكون بالموافقة.[1]

- **الخطبة الكبيرة:** لا يحضر فيها الشاب الراغب في الزواج، فقط أفراد عائلته الذين يذهبون لمنزل العروس، حاملين معهم مختلف الحاجيات كحال باقي المشيخات، وأيضا بعض الأغراض النسائية من حقائب وأحذية وملابس.

بعد تناول وجبة العشاء، يحدد الطرفان موعد عقد القران وبعده موعد الزفاف، مباشرة تتم قراءة الفاتحة جماعة كتعهد من أهل الفتاة بتزويج ابنتهم للرجل المتقدم لها، وأيضا تعهدا من أسرة العريس بتزويج ابنهم بالفتاة المخطوبة. بعد ذلك تقوم إحدى القريبات بتخضيب أيدي العروس بالحناء، ثم ترتدي الفستان الذي أحضره أهل العريس، وبالموازاة مع ذلك تنطلق الزغاريد والأهازيج.[2]

[1]- رواية شفوية للسيدة الزهرة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)، ربة بيت، سيدي واضح، 54 سنة.

[2]- رواية شفوية للسيدة الزهرة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)، ربة بيت، سيدي واضح، 54 سنة.

- **الصداق:** يتم الاتفاق عليه بين الآباء، إذ في الزمن الماضي لم تكن قيمة الصداق تتجاوز ما قدره 800 درهما، أما في الوقت الراهن فقد تصل قيمة الصداق إلى غاية 10000 درهما. [1]

- **العقد:** يتم تحديد تاريخ توثيق العقد من طرف والدي العريسين، وفي الغالب يتم قبل العرس بأسبوع، منذ حوالي ستة عقود، كانت أغلب حالات الزواج تتم بالفاتحة فقط، باستثناء بعض الحالات التي يتم فيها إنجاز العقود بجماعة "بْرْكِينْ". [2]

- **الدفوع:** يتم قبل انطلاق العرس في دار العروس بيومين، يشتمل الدفوع على العديد من الحاجيات والمكونات، من أهمها ذبيحتان كيف ما كان نوعهما: خروف، شاة، ماعز، أو عجلة واحدة ويتم اقتسامها بين أسرتي العروسين بعد انتهاء طقس الدفوع، إضافة إلى الدقيق، السكر، الزيت، الحناء... وإن كان هناك خصاص في شيء ما يتدخل أهل العروس لتداركه. [3]

يتوجه موكب الدفوع صباحا بالزغاريد نحو بيت العروس، يرافقه الأهل والأقارب، وخاصة النساء مشيا على الأقدام، ترافقه في كثير من الأحيان "فرقة الشْيُوخْ". فور وصول موكب أهل العريس يجد عائلة العروس في استقباله بالزغاريد والتمر والحليب، وهو تعبير عن الترحيب بأهل "مُولاَيْ السْلْطَانْ." [4]

- **العرس عند العروس:** قد يمتد العرس عند أهل العروس مدة ثلاثة أيام، طابعها الرئيسي الزغاريد والأهازيج طيلة كل يوم. في اليوم الثالث تستدعي أسرة العروس نساء الدوار والجارات لتناول وجبة الغذاء، بينما تستدعي الرجال لتناول وجبة العشاء.

[1]- رواية شفوية للسيدة الزهرة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)، ربة بيت، سيدي واضح، 54 سنة.

[2]- رواية شفوية للسيدة الزهرة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)، ربة بيت، سيدي واضح، 54 سنة.

[3] - رواية شفوية للسيد حفيظ البارودي، فلاح، بوهلال،47 سنة.

[4] - رواية شفوية للسيدة الزهرة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)، ربة بيت، سيدي واضح، 54 سنة.

- **طقس الحناء عند العروس:** يتم إحضار "النَّقَّاشَة" إذا أمكن، وإذا لم يكن الأمر متاحا تقوم إحدى المقربات بنقش الحناء للعروس، بالموازاة مع ذلك يشرع المقربون رجالا ونساء في تقديم مساهمات مادية لها تتراوح ما بين 20 درهما و200 درهما وربما أكثر. [1]

- **العرس في بيت العريس:** قد يمتد العرس أيضا عند أهل العريس مدة ثلاثة أيام، فيه من الزغاريد والأهازيج المتنوعة. قد يستدعي العريس فرقة الشْيُوخْ طيلة الأيام الثلاثة للعرس، والتي يمكنها الاستراحة لبعض السويعات في النهار، أما في الليل فتشتغل أكبر قدر ممكن ،في الماضي القريب كان ثمن "الْبَرْطِيَة"[2] الْوَاحِدَة هو 10 دراهم أما ثمنها في الوقت الحالي فهو 20 درهما، وإذا أراد الراقص أن يدفع أكثر فله ذلك ويزيده فخرا، كما يمكنه طلب "تَبْرِيحَة" من الشيوخ مقابل قدر من المال، وقبلها يهمس في أذن أحد الشيوخ حتى يقوم بترديد نفس ذلك الكلام بصوت عال، وما يقال عادة كلام يمدح أهل الدوار والعائلة التي ينتمي إليها طالب "التبريحة" وفيها تعرض قيمهم الإيجابية؛ كالشهامة والكرم، كما يمكن ذكر محاسن بعض الحاضرين؛ كأن يقول "الشيخ": "هَدِي تَبْرِيحَة مْنْ عَنْدْ فْلاَنْ زِينْ السْمِيَة، رَاهْ كَايْكُولْ لَكْ فِي خَاطْرْ فْلاَنْ وَفْلاَنْ وْفِي خَاطْرْ وْلاَدْ فْلاَنْ، وَادِّيهَا يَالشِّيخْ وَالرِّيحْ حَتَّى (مكان تواجد أحد الأشخاص) وَاطِّيحْ".[3] في اليوم الثالث من العرس تتم دعوة كل نساء الدوار لتناول وجبة الغذاء، أما الرجال فيستدعون لتناول وجبة العشاء.

- **تَرْوَاحْ الْعْرُوسْ:** في مساء اليوم الثالث يذهب فريق من عائلة العريس لإحضار العروس إلى بيت الزوجية بقيادة العريس، عكس ما كان في الزمن الماضي، حيث كان العريس يمكث في المنزل ينتظر قدوم العروس. بعد خروج العروس من بيت

[1] - رواية شفوية للسيد حفيظ البارودي، فلاح، بوهلال،47 سنة.

[2]- البرطية: تقابلها كلمة (جولة) بالعربية، وهي على الأرجح مشتقة من كلمة Partie بالفرنسية. يقصد بها مدة محدودة من الرقص والعزف لا تتجاوز في أغلب الأحيان خمس دقائق.

[3] - رواية شفوية للسيد حفيظ البارودي، فلاح، بوهلال،47 سنة.

أهلها، يساعدها بعض أفراد أسرتها على ركوب البغل، كما يركب خلفها طفل صغير يرافقها.

قبل سنوات كانت العروس ترتدي "الْقُبَّة"[1] أما اليوم فتكتفي بلباس فستان أبيض ووشاح يغطي الرأس. لما يصل موكب "التْرْاوَحْ" إلى منزل العريس، يستقبله كل أهل العريس بالزغاريد والأهازيج.[2]

- **الْهْدِيَة:** يقدمها الجيران والمقربون لأسرة العريس وتكون عبارة عن علبة من السكر، أو كيس من الدقيق، أو قنينات من الزيت... كل أسرة تريد تقديم "الْهْدِيَة" تطلب مرافقة "الشْيُوخْ" لها من بيتها إلى بيت العريس ويشاهد جميع الناس في الشارع هذا الاحتفال المتنقل.

[1]- "الْقُبَّة": شكل من اللباس يوضع فوق رأس العروس.

[2]- رواية شفوية للسيدة الزهرة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)، ربة بيت، سيدي واضح، 54 سنة.

خاتمة:

في ختام مقتضب لهذه المقالة التي استمتعنا بكتابتها؛ لأنها أخذتنا إلى عالم جميل من طقوس الزواج بمنطقة "الصباب"، نقول بأن هذا النوع من الطقوس سواء الزواج أم الولادة وحتى الموت، هي مليئة بالحيوية والدلالات الرمزية في هذه المنطقة، مع وجود جوانب عملية متناغمة مع ما هو رمزي، كلها تعكس القيم الإنسانية العميقة المتجذرة في المشيخات الأربع المشكلة لمنطقة "الصباب" التي كانت مركز اهتمام هذه المقالة، إنها تبين رسوخ الانتماء الثقافي والاجتماعي في هذا المجال. إن محاولة فهم هذه الطقوس في اعتقادنا أحد المداخل التي يمكن أن تساعد في فهم طريقة تفكير هذه المجتمعات المحلية، فهي رأس مال رمزي، نراه ضروريا للمساعدة على إنجاح المشاريع التنموية الاجتماعية والنفسية المبرمجة في هذه المناطق، ولما لا المساهمة في التنمية الاقتصادية؛ كالسياحة الثقافية. المشكلة ليست في التراث، ولكن كيف ننظر إلى هذا التراث على رأي المفكر المغربي محمد عابد الجابري، وكيف نتعامل معه ونجني منه فوائده في عصر تحارب فيه القيم الإنسانية بلا هوادة. هذا لا يعني أبدا معاداة الحداثة أو رفضها، بل هي محاولة إيجاد تناغم بين ما هو تراثي وبين ما هو حداثي، نعم هي معادلة صعبة لكنها ممكنة.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.

المراجع باللغة العربية:

- برنامج عمل جماعة الصباب 2023-2028.
- حكالة، عمر رضا. الزواج. الجزء الأول. سلسلة البحوث الاجتماعية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1980.
- مدوّنة الأُسْرَة في المملكة المغربية، الصادرة في 05 فبراير 2004.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، تعريف الزواج، موقع المعاني، (اطلع عليه 2024/06/15) على الرابط المختصر: https://2u.pw/WlsGEXZg.
- معجم المعاني الجامع، تعريف البُلغَةُ، موقع المعاني، (اطلع عليه 2024/06/14) على الرابط المختصر: https://2u.pw/KxjrLXUK.
- معجم المعاني الجامع، تعريف القميص، موقع المعاني (اطلع عليه 2024/06/14) على الرابط المختصر: https://2u.pw/xyZlxbR2.

لائحة الأشخاص المستجوبين (الروايات الشفوية)

اسم المستجوب	المهنة	محل الإقامة	السن
مداح امحمد	فلاح	تيخامين	90
مقران حميد	فلاح	مزغمة	50
مداح محمد	فلاح	تيخامين	62
براز سعيد	فلاح	الخرجية	48
القصيري محمد	أستاذ متقاعد	تالبسانت	69
قروط محمد	موظف	جرسيف	56
حسنون محمد	فلاح	الصباب المركز	73
السيدة فاطنة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)	ربة بيت	تالبسانت	64

اسم المستجوب	المهنة	محل الإقامة	السن
أزروال عبد الصمد	متقاعد	جرسيف	64
السيدة الزهرة (لم ترغب في التصريح بكنيتها)	ربـة بيت	سيدي واضح	54
التويمي البشير	فلاح	تالبسانت	71
البارودي حفيظ	فلاح	بوهلال	47
أمغيوز محمد	فلاح	العطشان	67
الحجوبي أحمد	فلاح	بوراشد الزاوية	60
جمال خالد	فلاح	تسينكيت	42
سي محمد بالخدير	فلاح	بوراشد الزاوية	67

العدول عن أصل الترتيب في مكوّنات الجملة الفعلية العربية

من التفسير النحوي إلى التفسير اللساني المعاصر: دراسة مقارنة

الكتاني حميد
باحث في سلك الدكتوراه
اللسانيات التطبيقية والإعداد اللغوي
كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل

أ.د- عبد الإله بوغابة
أستاذ اللسانيات
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل

ملخص:

تُعالج هذه الدراسة موضوع تفسير ظاهرة العدول عن أصل الترتيب في رتبة مكوّنات الجملة الفعلية في اللغة العربية، وذلك من خلال مُقاربتين، مقاربة لسانية توليدية، ومقاربة لسانية وظيفية، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، منها: أنّ المقاربة اللسانية التوليدية التحويلية قدّمت تفسيرا يرى أنّ ترتيب الجمل يبدأ في مستوى البنية العميقة، وهي بنية ذهنية، ثم تمر الجملة عبر مجموعة من المكونات التي تروز اشتقاقها، ثم تظهر في مستوي البنية السطحية، وتطرأ عليها تحويلات تُغيّر ترتيب مكوّناتها وفق قيود تركيبية، خاضعة لقواعد مُركبية، وقواعد تحويلية. في حين قدّمت المقاربة اللسانية الوظيفية، في إطار نظرية النحو الوظيفي المُؤسس تداوليا، تفسيرا للعدول عن أصل الترتيب، يقوم على افتراض مستوى ثالث تُمثل فيه مُكونات الجملة، وهو مستوى الوظائف التداولية؛ حيث يتمُّ ترتيب مكونات الجملة وفق الوظائف التداولية التي تُسند إليها.

كلمات مفتاحية: العدول – الرتبة – التفسيري اللساني التوليدي – التفسير اللساني الوظيفي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

الكتاني، حميد. بوغابة، عبد الإله. (2024، يوليوز). العدول عن أصل الترتيب في مكوّنات الجملة الفعلية العربية من التفسير النحوي إلى التفسير اللساني المعاصر: دراسة مقارنة. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 87-125.

Abstract:

This study deals with the subject of explaining the phenomenon of reversal of the origin of the order in the rank of the components of the actual sentence in the Arabic language, through two approaches, a generative linguistic approach, and a functional linguistic approach, and the study has reached a number of results, including: The generative linguistic approach transformative provided an explanation that sees that the order of sentences begins at the level of the deep structure, which is a mental structure, then the sentence passes through a set of components that derive it, then appears at the level of the surface structure, and changes occur Arranging their components according to structural constraints, subject to compound and transformative rules. While the functional linguistic approach, within the framework of the pragmatic theory of functional grammar, provided an explanation for the reversal of the origin of the order, based on the assumption of a third level in which the components of the sentence are represented, which is the level of deliberative functions, where the components of the sentence are arranged according to the deliberative functions assigned to them.

Keywords : Audul – Order – Generative linguistic interpretation – Functional linguistic interpretation.

تقديم

حظي مفهوم الرتبة في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة باهتمام كبير، غير أنّ ذلك الاهتمام لم يحقق الكفاية العلمية المرجوة منه، والمتمثلة في الوصول إلى حل نهائي للإشكال الذي يطرحه والحسم فيه، خاصة مع تطور اللغات، وتطور بنيات العدول عن أصل الترتيب فيها، ومنها اللغة العربية؛ حيث ظلت التفسيرات التي قدّمها العلماء تختلف باختلاف الخلفيات النظرية التي يصدر عنها كل عالم لغوي في أثناء مقاربته لموضوع رتبة العناصر اللغوية في الجملة العربية. إسهاما في تعميق البحث حول هذه الإشكالية تسعى هذه الدراسة إلى ردم الهوّة المعرفية بين المنجز النحوي العربي القديم والمنجز اللساني العربي المعاصر بخصوص ما تمّ تقديمه من اجتهادات تصفُ وتفسّرُ ظاهرة العدول عن أصل الترتيب، ولتحقيق هذا المسعى ننطلق من الأسئلة الآتية: ما النظريات اللسانية المعاصرة التي عالجت تنوّع الرتبة في اللغة العربية؟ وما التفسير الذي قدّمه النُّحاة القدماء، وكيف فسّر اللسانيون المعاصرون التحولات التي تطرأ على بنية ترتيب عناصر الجملة؟ للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة الأخرى المتناسلة من رحمها الإشكالي، قسّمنا هذه الدّراسة إلى محورين: خصصنا المحور الأول الرتبة في اللسانيات المعاصرة. أما المحور الثاني فقد بحثنا فيه عن التفسير الذي قدّمه النحاة واللسانيون للتغيرات التي تطرأ على ترتيب عناصر الجملة، انطلاقا من الأصول النظرية لاشتقاق الجمل، وذلك قصد تعليل تلك التغيرات، وإبراز ما يتصل بالمستوى اللغوي المحض وبالمستويات التداولية الحافة بالوقائع اللغوية، ثم ختمنا الدراسة بخاتمة استخلصنا فيها جملة من النتائج التي توصلت لها، وفتحنا وآفاق البحث في الموضوع ذاته اعتقادا منا بأنّ ظاهرة العدول في نظام اللغة نسقا واستعمالا، لم تبُحْ بكامل أسرارها، الأمر الذي يجعل البحث فيها مستمرّا.

1- الرتبة في اللسانيات العربية المعاصرة

اهتم اللسانيون العرب بدراسة رتبة عناصر الجملة ضمن مشاريعهم اللسانية في سياق تطبيقهم للنماذج النظرية التي أفرزتها اللسانيات الغربية، وقد نتج عن تلك الدراسات اختلافٌ في النتائج والأنماط المستخلصة لوصف وتفسير ظواهر اللغة العربية، ومنها ظاهرة الرتبة. ومردُّ ذلك الاختلاف إلى نموذجين لسانيين مختلفين على مستوى الخلفية النظرية لدراسة اللغة، نلمس النموذج الأول في النظرية اللسانية الوظيفية، خاصة في نموذجها المُؤسّس تداوليا (1) ويَكْمُنُ النموذج الثاني في النظرية اللسانية التوليدية المُؤسّسة على النحو التوليدي الصّوري (2)، وقد انطلق النموذجان من أسئلة وإشكالات، منها:

- ما الرتبة الأساس في اللغة العربية؟ وما مظاهر الاختلاف بين رتبة البنية العميقة ورتبة البنية السطحية؟

---

(1) يُقصد بالأنحاء المؤسسة تداوليا، نظرية النحو الوظيفي التي صاغها اللساني «سيمون دِيكْ» عام 1968، وطوّرها اللساني المغربي «أحمد المتوكل» في تطبيقاته على اللغة العربية بدءا من كتابه «الوظائف التداولية في اللغة العربية» الصادر سنة 1985، ثم كتابه «دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي» الصادر سنة 1986، وصولا إلى آخر كتابه «الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط» الصادر 2010. وقد قامت هذه النظرية على جملة من المبادئ، منها: 1) الوظيفة الأساس للغة هي التواصل. 2) موضوع الدرس اللساني هو القدرة التواصلية. 3) النحو الوظيفي يهتم بدراسة التركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية. 4) الوصف اللغوي هو التحقق من ثلاث كفايات، كفاية نفسية، وكفاية تنميطية، وكفاية تداولية. انظر: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1986، ص09.

(2) الأنحاء المُؤسّسة على النحو التوليدي الصوري هي النماذج اللسانية التي بدأت مع بروز اللسانيات التوليدية على يد «نعام تشومسكي» في كتابه «البنى النحوية» الصادر سنة 1957م وتطورت فيما بعد في نماذج مختلفة مرورا بالنظرية المعيار 1965، ثم النظرية المعيار الموسّعة 1970، ثم نظرية البرنامج الأدنوي 1993. وقد تفرّعت اللسانيات التوليدية إلى عدّة نماذج لسانية، لكنها كلها تحتكم إلى مبادى توليدية مبنية على الدراسة العقلية للغات الطبيعية، ومن بين تلك المبادئ: 1) توليد جمل لا متناهية من قواعد لغوية محدودة. 2) التمييز بين النحو الكلّي الذي تشترك فيه جميع اللغات الطبيعية، والأنحاء الخاصة التي تختص بها كل لغة على حدة. 3) صياغة قواعد اللغة صياغة رياضية قابلة للتعميم. 4) اعتبار استقلالية التركيب على الدلالة والتداول. وقد انتقلت هذه النظرية إلى العالم العربي على يد مجموعة من اللسانين العرب منهم «عبد القادر الفاسي الفهري، وداود عبده، وميشيل زكريا».

- هل يمكن توحيد الجملة الاسمية والجملة الفعلية في نمط تركيبي واحد، ومنه تجاوز التقسيم الذي وضعه النحاة العرب القدماء إلى جملة اسمية وفعلية وظرفية؟

طُرحتْ هذه الأسئلة وغيرها، لتحقيق غايتين:

- دراسة رتبة عناصر الجملة العربية من أجل تنميطها ومقارنتها مع رتبة عناصر الجملة في اللغات الطبيعية الأخرى، مثل الفرنسية والإنجليزية [1].
- تحديد نوع الرتبة في الجملة العربية، هل هي (فعل+فاعل+ «مفعول به») أو (فاعل+فعل+ «مفعول به»)

1-1- رتبة الجملة في اللسانيات التوليدية: الرتبة المقيّدة

انقسم رواد اللسانيات التوليدية في العالم العربي إلى قسمين، هما:

يرى **القسم الأول** أنّ رتبة عناصر الجملة في اللغة العربية هي من نمط (فعل-فاعل-مفعول به) ويمثّل هذا الرأي كل من عبد القادر الفاسي الفهري [2] وخليل عمايرة [3] وميشيل زكريا [4].

---

[1] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان، المغرب، (د-ت-ط) ص 221.

[2] عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، الجزء الأول، دار توبقال للنشر، ط1. 1985، ص 106 وما بعدها.

[3] خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة، جدّة، ط1، 1984. ص 93-94.

[4] ميشيل زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، 1986، ص 24-43.

ويرى **القسم الثاني** من اللسانيين التوليديين أنّ رتبة عناصر الجملة هي من نمط (فاعل-فعل-مفعول به) ويختص بهذا الرأي كلّ من داود عبده [1] وحلمي خليل والرشيد أبو بكر [2].

1-1-1- رتبة المكونات في الطّرح التوليدي: فعل-فاعل-مفعول

تبنّى هذه الرتبة عبد القادر الفاسي الفهري في دراسته لرتبة عناصر الجملة العربية، وذلك بالاستناد إلى أساس توليدي، من خلال التمييز بين الرتبة الموجودة في البنية العميقة والرتبة الموجودة في البنية السطحية، يقول الفاسي الفهري: «فالرتبة الموجودة في البنية العميقة، مثلا، تختلف عن الرتبة في البنية الوسيطة، علما أن الرتبة التي يمكن ملاحظتها هي الرتبة السطحية، ومن هنا يتبيّن خطأ من يسوّي بين مفهوم نظري كمفهوم الرتبة العميقة، ومفهوم عفوي غامض كمفهوم الرتبة الأصلية، وهو مفهوم نجده متداولا عند كثير من اللغويين دون تحديد أو تعريف، وغالبا ما يحيل على رتبة غير موسومة دلاليا أو ذريعيا»[3] وعلى أساس هذا التمييز صرّح «الفاسي الفهري» أنه يتبنّى رتبة (فعل-فاعل-«مفعول[4]») وهي الرتبة التي أقرّها النحاة القدماء، حيث قال: «معلوم أن البنية الأصل في الجملة العربية هي من نمط (فعل-فاعل-مفعول)» [5] ودعّم تصوّره بنوعين من الحجج، حجج متصلة بمكوّنات الجملة ورتبها، وحجج متصلة بالرتبة في المركبات الأخرى مثل المركب

---

[1] داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 103-124.

[2] الرشيد أبو بكر، استخدام التحويلات في دراسة اللغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، السودان، عدد1، 1982.

[3] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 104.

[4] بخصوص «المفعول به» فإنّ وجوده في الجملة مرهون بطبيعة «الفعل» فالمفعول إذن عنصر متغيّر بحسب الفعل هل هو لازم أم متعدّي.

[5] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 104. والبناء الموازي، نظرية بناء الكلمة والجملة، ص55.

الاسمي، والمركب الحرفي والمركب الوصفي، فعلى المستوى الأول تنحصر الحجج الأولى في الآتي[1]:

- الحجة الأولى تكمُنُ في اللبس المحتمل في الجمل التي يحضر فيها الفاعل والمفعول بدون إعراب الحركات البارز، مثل:

(1) - أ - ضرب عيسَى مُوسَى

ب- ضرب موسى عيسى

فـ«عيسى» فاعل بالضرورة في الجملة (1-أ) و«موسى» فاعل بالضرورة في الجملة (1-ب)، أما عندما يبرز الإعراب فالأمر بخلاف ذلك، مثل الجملة (2):

(2) - ضرب مُوسَى زيدٌ

- الحجة الثانية تتجلى في رتبة الضمير ومفسّره؛ فقد رأى الفاسي الفهري أنّ القيد الذي أوجبه النحاة القدماء يقضي بأن مفسّر الضمير يجب أن يتقدّم عليه إما لفظا أو رتبة، مثل:

(3) - أ – ﴿وإذِ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ﴾

ب- دخلَ مكتبَهُ زيدٌ

فعملا بالقيد التركيبي لعود الضمير على مفسّره لفظا ورتبة، يجعلنا لا نقرّ بصحة الرتبة في الجملة (4) الآتي:

(4) - أ- وإذِ ابتلى ربُّهُ إبراهيمَ *

- لأنّ مفسّر الضمير «إبراهيم» تأخر عن ضميره «ه» لفظا ورتبة، وهذا يجعل الرتبة في البنية (4-أ) بنية لاحنة* [2]، ووجود هذا النمط يؤكد صحة ما زعمه الفاسي الفهري بخصوص الرتبة من نمط (فعل-فاعل-مفعول) فهو يرى

[1] لمزيد من التفصيل، ينظر: الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، الصفحات 105-106-107.

[2] يشير الرمز (*) في أدبيات الكتابة اللسانية إلى أنّ الجملة لاحنة وغير مقبولة نحويا ودلاليا.

توسّط (الفاعل) بين الفعل والمفعول به هو أساس صحة افتراضه ذلك أنه «لو كان الأمر يتعلق بجمل تحوي فعلا لازما لأمْكنَ افتراض نوع من قلب الفاعل أو نقله من موضع قبل الفعل إلى موضع بعده» [1].

- أما الحجة الثالثة فيجعلها الفاسي الفهري في التطابق بين الفعل والفاعل من حيث الجنس والعدد؛ فالفعل يطابق الفاعل إذا تقدّم عليه في الرتبة الخطية للجملة، وإذا لم يتقدّم عليه فإنه لا يطابقه، ويمثل له بالجمل الآتية:

(5) - أ- جاء اللاعبون

ب- اللاعبون جاؤوا

ج- جاؤوا اللاعبون*

يرى الفاسي الفهري أنّ الفعل لا يطابق الفاعل في الجملة (5-أ) في العدد، بينما الفاعل في الجملة (5-ب) تقدّم على الفعل، والفعل يطابقه في العدد والجنس، وهذا يؤكد أنّ رتبة العناصر في (5-أ) رتبة أصلية مستقلة عن نظيرتها في (5-ب)، بخلاف البنية في (5-ج) التي تعدّ جملة لاحنة لأنّ الفعل إذا تقدم الفاعل لا يطابقه.

أمّا على المستوى الثاني، فإنّ الفاسي الفهري يؤكد تصوره لرتبة (فعل-فاعل-مفعول) من داخل نظرية (س/خط)[2] والتي صيغت فيها القواعد المُركّبيّة التي تقضي بوجود مركب اسمي، ومركب وصفي، ومركب حرفي، وفيها يقول: «العربية يرد فيها الاسم رأسا في صدر المركب الاسمي، والحرف رأسا في صدر المركب الحرفي، والصفة رأسا في صدر المركب الوصفي (...) فإذا عممنا هذا المبدأ ليشمل الجملة (على اعتبار أنّ الفعل رأس للجملة) أمكن أن نقول إنّ الفعل في صدر الجملة هو

---

[1] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 106.

[2] نظرية (س-خط) نظرية لسانية توليدية ظهرت في سبعينيات القرن الماضي ضمن مرحلة من مراحل تطور نظرية اللسانيات التوليدية التحويلية، تقوم هذه النظرية مفهوم الإسقاط؛ حيث (س) مقولة متغيرة يمكن أن تكون اسما، أو فعلا، أو صفة، أو حرفا. لمزيد من التفصيل، انظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، عالم الكتب، الأردن، ط1، 2010، ص 173-174-175.

أصل الرتبة، كسائر الرؤوس الأخرى التي توجد في صدر مركّباتها، اذن افتراض النمطية المذكورة يمكننا من تبسيط القواعد المقولية للغة العربية وصياغة مبدأ عام ينتظمها، وهذا المبدأ هو:» [1]:

--> الرأس في الصدر الجملة

وتطبيقا لهذا المبدإ أضاف الفاسي الفهري قاعدة مقولية خلافا للقاعدة المقولية التي أوردها «تشومسكي» على الشكل التالي [2]:

القاعدة المقولية (1) تشومسكي:

ج ⟵ م س صُرفة مفعول؛ حيث (ج) تعني جملة، و (م س) تعني مركب اسمي، وهو رأس الجملة.

القاعدة المقولية (2) الفاسي الفهري:

ج ⟵ ف-م س- م ح؛ حيث (ج) تعني جملة، و (ف) تعني فعل، وهو رأس الجملة [3].

تطبيقا لهذا المبدأ تصبح رتبة عناصر الجملة (7) الآتية رتبة أصلية رأسها الفعل (قرأ):

(6) - قرأ خالد الصحيفة/ فعل-فاعل- مفعول به

أما التغيرات التي تطرأ على هذه الرتبة، فقد سعى «الفاسي الفهري» إلى وصفها وتفسيرها في إطار شامل يضم مختلف البنيات التركيبية المحتملة، مع محاولة نمذجتها توليديا وذلك بناء على أساس توليدي لا تحويلي، في هذا السياق اقترح في إطار المقاربة القاعدية basic approach تصورا ينحو إلى وصف البنيات التركيبية

[1] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 108.

[2] انظر تعليق الفاسي الفهري على اقتراح تشومسكي في الهامش رقم (4) من كتابه «اللسانيات واللغة العربية، الجزء الأول» ص 105.

[3] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 109.

للجملة التي وصفت في النحو العربي بأنها بنيات مختلة بما في ذلك البنيات الاستفهامية التي تضم أدوات الاستفهام (الهمزة-هل) والبنيات الناسخة (أنّ-إنّ..) وأنّ هذه البنيات تولد رتبها قاعدة مُركّبة لا تحويلية، من قبيل:

القاعدة المركبية (1): ج ⟵ مص ⟵ ج/ حيث يشير (مص) إلى المركبات المصدريّة، مثل الجملة:

(7) - أ - منْ ضربَ منْ بماذا؟

ويعلّق عليها قائلا «الواقع أنّ المكان الذي تنتقل إليه هذه المركبات هو موضع خارج الجملة (خارج ج) وهو المكان الذي تولّد فيه الحروف المصدرية أو الحروف الناسخة، (كأنّ وأنّ وكذلك حروف الاستفهام: هل والهمزة» [1].

ويميّز بين ما يسمّيه ب «التبئير Focalization» و «التفكيك dislocation» منطلقا من قاعدة مركّبية، هي[2]:

القاعدة المركبية (2): ج ⟵ بؤرة ⟵ج

فالتبئير حسب الفاسي الفهري هو «عملية صورية يتم بمقتضاها نقل مقولة كُبرى (مثل المركبات الاسمية أو الحرفية أو الوصفية...) من مكان داخلي، أي داخل الجملة، إلى مكان خارجي، أي خارج الجملة، أي مكان البؤرة» [3] كما هو موضّح في القاعدة المركبية (2) أعلاه، ومن أمثلة التبئير الجمل الآتية:

(8) - أ- إياك نعبدُ

ب- إياك أقصدُ

ج- اللهَ أدعو

---

[1] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 111.

[2] نفسه، ص 112-113.

[3] نفسه، ص 114.

د- في الشارع رأيتهُ

هـ- أَغدا سنلتقي

وفق التحليل الذي يقدّمه الفاسي الفهري فإنّ العناصر (إياك-اللهَ-في الشارع-أغدا) في الجمل (8) تقع خارج الجملة، لأنها منقولة من مكان داخلي يقع في حيّز الجملة إلى مكان خارجي بواسطة ما سمّاه ب «تحويل النقل»[1] وتحويل النقل، هذا، كما صاغه الفاسي الفهري، ليس تحويلا حرّا، بل مقيدا بمجموعة من القيود تضمن سلامة النقل، ومنه سلامة الجملة، وتلك القيود هي:

- قيود على المكان المصدر، أي المكان الذي تنطلق منه المقولة المنقولة؛
- قيود على المكان الهدف، وهو المكان الذي ستتجه له المقولة المنقولة؛
- قيود على ميدان التحويل؛
- قيود على صورة التحويل.

وداخل مقترح التبئير، اقترح أيضا ما سمّاه بـ«الخفق Scrambling» وهو «تغيّرات تحدث بعد الفعل وتغيّر محليا رُتَب الفضلات» [2]. وفي هذا الاقتراح يتم التمييز بين تقديم يحصل بعد الفعل، وتقديم يحصل قبل الفعل، لأنّ الفرق بينهما يكمن في تطبيق قاعدتين هما: قاعدة الخفق للتغير بعد الفعل، وقاعدة الموضعة للتغيير قبل الفعل، كما في القاعدة المركبية (3):

القاعدة المركبية (3) الخفق: ج ⟵ فعل - م س --- م س

فاعل --- مفعول به

مفعول --- فاعل

[1] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 115.

[2] اللسانيات واللغة العربية، ص 123.

تمثل الجمل (9) الآتية الفرق بين قاعدة الخفق وقاعدة الموضعة:

(9) - أ- قرأ خالد الصحيفة

ب- قرأ الصحيفة خالدٌ

ج- أَالصحيفةَ تقرأ؟

تمثل الجملتان (9-أ-ب) التغيير الناتج عن تطبيق قاعدة الخفق؛ حيث تم الرتب بعد الفعل، وهذا التغيير لا يؤثر على البنية المنطقية للجملة حسب الفاسي الفهري، أما الجملة (9-ج) فهي مولّدة عن قاعدة الموضعة؛ حيث تم نقل المركب الاسمي إلى ما قبل الفعل.

أمّا التفكيك، فهو نوعان عند الفاسي الفهري «تفكيك إلى اليمين، وتفكيك إلى اليسار» [1] بحيث يكون محور التفكيك هو الجملة (ج) ويشترك مع التبئير في «تحويل النقل» غير أنّ العناصر المنقولة تبئيريا لا تترك أثرا، بخلاف العناصر المنقولة تفكيكيا التي تترك أثرا ضميريا في الموضع المنقولة منه، نمثل لذلك بالجملتين الآتيتين:

(10) - أ- الكتاب قرأتهُ

ب- قرأته الكتابُ

تبعا لمقترح الفاسي الفهري، نلاحظ أنّ العنصر المفكّك (الكتاب) إلى اليمين في (10-أ) وإلى اليسار في (10-ب) ترك أثرا ضميريا للمقولة المنتقلة في الموضع المنقولة منه، وبهذا يكون التفكيك ينتمي في إطار «تحويل النقل» إلى القواعد الناسخة [2] التي تعيد ترتيب مكونات الجملة، وإنْ قيد «ترك الأثر الضميري» ليس

[1] اللسانيات واللغة العربية، ص 128-129.

[2] نفسه، ص 129.

شرطا مطلقا، لأنّ هناك بعض البنيات تفكك إلى اليمين أو إلى اليسار ولا تترك أثرا، مثل الجملة (11):

(11) - أ- نعم الصديق الكتاب

ب- الكتاب نعم الصديق

فالعنصر «الكتاب» المفكك إلى يمين الجملة ويسارها، لم يترك أثرا ضميريا، وهذا دفع الفاسي الفهري إلى القول بأنّ العنصر المفكك الذي لم يترك أثرا في المكان المنقول منه، لا يولد تحويليا، بل يولد خارج الجملة أصلا كما في (11-ب)، وقد استنتج في الأخير إلى أن المقاربة القاعدية للتفكيك تحتاج إلى قاعدة تأويلية، يؤوّل في ضوئها المكان الذي تسطحُ في المكونات المفككة. وبالتالي فهي لا تنتمي إلى نحو الجملة، بل -حسب تعبير الفاسي الفهري- تنتمي إلى «نحو الخطاب discourse grammar أو إلى المكوّن الذّريعيpragmatic component »[1].

1-1-2- رتبة المكونات في الطّرح التوليدي: فاعل-فعل-مفعول

تبنّى هذا النمط الترتيبي لمكونات الجملة «الفعلية» في اللغة العربية «داود عبده» مستندا إلى القواعد التحويلية [2] مبينا أنّها ليست معقدة، وأنها كفيلة بتحديد أصل الرتبة بين مكونات الجملة في اللغة العربية، وقد استند في طرحه إلى أربعة حجج، هي [3]:

---

[1] اللسانيات واللغة العربية، ص 130. يقصد الفاسي الفهري بالمكوّن الذريعي «العناصر السياقية والمقامية المتحكمة في إنتاج البنيات التركيبية» وهي عناصر لا تدخل في اهتمامات التحليل التوليدي الذي يتبنّاه الفاسي الفهري في جل كتاباته اللسانية.

[2] القواعد التحويلية هي القواعد التي تُحوِّل البنية العميقة للجملة في لغة طبيعية ما إلى البنية السطحية بواسطة آليات مختلفة، منها: الحذف، والزيادة، وتغيير الترتيب، والحركات الإعرابية. لمزيد من التفصيل، انظر:

أحمد خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، منشورات عالم المعرفة، جدّة، ط1، 1984، ص 88-171.

[3] داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، ص 119-120 وما بعدهما.

- **الفعل والمفعول مكوّن تركيبي واحد:**

يقدّم «داود عبده» هذه الحجة في سياق إثبات وجود المركب الفعلي الذي يجمع بين (الفعل-المفعول) في مكوّن واحد في نحو اللغة العربية، ويكون هذا المكوّن مولدا في قاعدة تحويلية جُمَلية، من قبيل:

قاعدة تحويلية (1): ج ⟵ فاعل ⟵ فعل - مفعول

ويبرهن على صحة هذا المقترح من خلال دراسة هذا المكوّن في أربع مستويات يلتقي فيها الفعل بالمفعول، في المستوى الأول، يؤدي اعتبارهما مكونا واحدا إلى «الاستغناء عن قاعدة إلحاق ضمير المفعول به بالفعل (...) وفي المستوى الثاني، يظهر المفعول به إذا كان ضميرا ملتصقا بالفعل، ولا يجوز الفصل بينهما، (...) وفي المستوى الثالث المعادلة بين المكوّن (فعل-مفعول) والمكوّن (المضاف-المضاف إليه) إذا استعمل اسم الفاعل بدل الفعل في التركيب الإضافي (...) وفي المستوى الرابع من الممكن أن تحلّ كلمة واحدة محل الفعل والمفعول دون أن يتغيّر المعنى»[1] يمكن التمثيل لهذه المستويات بالجمل المدرجة في المجموعات الآتية:

(12) - أ- المذيع قرأها قبل ساعة

ب- قرأها المذيع قبل ساعة

ج- المذيع قرأ قبل ساعة ها *

د- قرأ المذيع ها قبل ساعة *

هـ - قرأ المذيع قبل ساعة ها *

(13) - أ- المذيع قرأ الصحيفة

ب- المذيع قارئ الصحيفة

[1] داود عبده، المرجع نفسه، ص 120-121.

ج- المذيع قارئها

(14) - أ - النائمُ رأى حُلما

ب- النائمُ حلمَ

تبيّن الجمل في المجموعة (12) أنّ (الفعل-المفعول) مكوّن جُمَلي واحد كما في (12-أ-ب) وهما جلمتان سليمتان قد اقترن فيهما الفعل بضمير المفعول، بينما الجمل (12-ج-د-ه) جمل لاحنة لأنّ ضمير المفعول جاء مفصولا عن الفعل، وهذا لا يجوز لأنّ الفاعل اسم ظاهر في الجملة، غير أنّ «داود عبده» لا يتحدث في هذا التحليل عن موقع الفاعل هل قبل الفعل أو بعده. وتوضّح الجمل في المجموعة (13) المعادلة التركيبية بين المكوّن (فعل-مفعول) والمكوّن (مضاف-مضاف إليه) لأنّ المضاف والمضاف إليه يأتياني في سياق الجملة الابتدائية (المبتدأ والخبر) وقياسا على هذا يكون (الفعل-المفعول) مكونا واحدا. ويلجأ في الجملتين (14-أ-ب) إلى قاعدتين تحويليتين، هما: الحذف والتعويض؛ حيث حذف المركب الفعلي (رأى حلما) الموجود في (14-أ) وعوّضه بالمركب (حلم) كما في (14-ب) وهذا يقضي بالتساوي بينهما، وبتعبيره «لو لم يكن الفعل والمفعول به مكونا جُمَليا واحدا لما أمكن زن يحلّ محلّهما كلمة واحد»[1].

- **الأفعال المتعدية بحرف الجر**

يوجد في العربية أنماط تركيبية تضم مركّبا لغويا، وهي عبارة عن مكوّن جُملي واحد، من قبيل (الفعل المتعدّي-حروف الجر) بحيث تكون حروف الجر مختلفة باختلاف الفعل الذي تقترن به في السياق التركيبي، مثل الجمل الآتية:

(15) - أ- وافقَ الرجل على القرار

ب- وافق على الرجل القرار *

[1] داود عبده، المرجع نفسه، ص 121.

ج- وافق فوق القرار *

تُظهر الجمل (15) أنّ الفعل ينتقي بعناية طبيعة الحرف الذي يليه في الجملة، وتبعا لهذا الانتقاء الدلالي نحصل على سلامة الجملة (15-أ) بينما نلاحظ لحنَ الجملتين (15-ب-ج) بناء على هذا التحليل رأى «داود عبده» أنّه «إذا اعتبرنا البنية العميقة للجملة الفعلية هي (فعل-فاعل-مفعول) فإنّ أصل جملة (وافق الرجل على القرار) هي (وافق على الرجل القرار) وهذا يعني أنّنا نحتاج إلى قاعدة تنقل حرف الجر إلى ما قبل المفعول، وهي قاعدة شبيهة بنقل الضمير الذي يحلّ محلّ المفعول به إلى جوار الفعل» [1] تطبيقا لهذا القول نحصل على الترتيب كما في الجملتين (16):

(16) - أ- وافق على الرجل القرار *

ب- وافق الرجل على القرار

- **الأفعال المساعدة**

ذهب «داود عبده» إلى أننا إذا اعتبرنا رتبة (فعل-فاعل-مفعول) هي الأصل، فإننا سنحتاج إلى قاعدة تحويلية إجبارية عندما يتعلق الأمر بالجمل التي تضم أفعالا مساعدة، بحيث يُنقل الفعل الرئيس وجوبا إلى موضع بين الفاعل والمفعول، كما توضح الجملتان (17):

(17) - أ- أخذ يقرأ الرجل الكتابَ

ب- أخذ الرجل يقرأ الكتابَ

بينما يرى إذا كانت الرتبة (فاعل-فعل-مفعول) هي الأصل فإنّ «كل ما نحتاج إليه هو قاعدة تحويلية اختيارية، تنقل الفعل المساعد إلى يمين الفاعل، أو نقل الفاعل إلى يسار الفعل المساعد» [2] وبهذا نحصل على الرتبة الآتية:

---

[1] داود عبده، المرجع نفسه، ص 122.

[2] داود عبده، المرجع نفسه، ص 122.

(18) - أ- الرجل أخذ يقرأ الصحيفة

ب- أخذ الرجل يقرأ الكتاب

- **التوحيد بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية:**

يقرّر «داود عبده» في الحجة الرابعة التي يدعم بها تصوره للرتبة الأصلية لمكونات الجملة العربية أنّ الرتبة (فاعل-فعل-مفعول) من شأنها أن توحّد بين الجملتين الفعلية والاسمية التي ميّز بينهما النحاة القدماء، وسنطلق من الجمل الآتية:

(19) - أ- وصلَ رجلٌ

ب- قرأ رجل الصحيفة

ج- في البيت رجلٌ

يُرجع «داود عبده» هذه الجمل إلى الأصول الآتية:

(20) - أ- رجلٌ وصلَ

ب- رجل قرأ الصحيفة

ج- رجلٌ في البيت

وقد اعتمد على «تحويل النقل» الذي أطلق عليه القدماء مسوغات الابتداء بالنكرة؛ حيث ينقل المبتدأ إلى نهاية الجملة إذا كان نكرة، أو يُبدأ به إذا كان مخصصا بشيء ما، وفي هذا يقول: «إنّ اعتبار الأصل في الفاعل وقوعه قبل الفعل (بصرف النظر عن الاسم الذي نطلقه عليه) يجعل الجمل في العربية نوعا واحدا يتألف من مبتدإ وخبر. بدلا من نوعية: اسمية وفعلية»[1]. وإذْ يقرر داود عبده هذا التوحيد بين الجملتين، فإنه لا يرى مانعا من التمسك بمصطلح «الجملة الفعلية) في حالة تقدّم

[1] داود عبده، المرجع نفسه، ص 123.

الفاعل على الفعل، لأنه يعتبر الجملة الفعلية هي التي تحتوي على فعل، بصرف النظر عن موقعه في الجملة.

1-2-رتبة الجملة في اللسانيات الوظيفية: العدول إلى الرتبة الحرّة

خلافا للتصور الذي قدّمته اللسانيات التوليدية العربية والذي انطلق من افتراض ثنائي يميز بين الرتبة الأصل والبنيات الفرعية لرتب مكونات الجملة العربية، بتبنّي نمطين ترتيبيين، هما: (فعل-فاعل-مفعول) و(فاعل-فعل-مفعول) كما بيّنّا في المحورين السابقين، يأتي التصور اللساني الوظيفي الذي أفرزته مدرسة براغ وأعمال اللسانيين المعروفة بالوجهة الوظيفية للجملة، والذي اقترن أساسا في المستوى الأكاديمي بالعالم الهولندي «سيمون ديك» 1978، وتبنّاه وطوّره في العالم العربي اللساني «أحمد المتوكل» من خلال عدّة أعمال نشر أولها 1985.

يقوم التصور الوظيفي لرتبة المكوّنات في الجملة على افتراض واحد هو وجود «بنية تحتية» واحدة فقط لرتب المكونات، وليس بنية تحية تقابلها بنيات سطحية يتم اشتقاقها بموجد القواعد التحويلية أو التوليدية، يقول المتوكّل: «أمّا في نظرية النحو الوظيفي، التي هي من النظريات المُؤسسة تداوليا، فإنّ جميع البنيات الرتبية تعدّ بنيات متساوية تستقل كل بنية منها بتحقيق تشكيلة من الوظائف التداولية معيّنة تختلف عمّا تحققه البنيات الأخرى (...) والتمييز بين الرتبة الأصل والرتب الفرعية تمييز غير وارد في هذه النظرية»[1]. يُستفاد من هذا ما يلي:

- اللسانيات الوظيفية تحدد رتب المكونات في بنية واحدة (البنية السطحية)[2].

---

[1] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات، بنية التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان، الرباط، (د-ط-ت) ص 230.

[2] يستعمل المتوكل في جميع كتاباته مصطلح «البنية التحتية» في مقابل مصطلح «البنية العميقة» الذي اللسانيات التوليدية.

- البنية التحتية لمكونات الجملة في اللسانيات الوظيفية بنية غير مرتبة، ويتم ترتيب مكوناتها بواسطة قواعد تعبير، وليس قواعد تحويل، وقواعد التعبير ترتبط بالوظائف التداولية [1].

تبعا بهذا التمييز، يقترح «المتوكّل أحمد» في سياق تنميط رتبة اللغات، أنّ الرتب الآتية ليست رتب مولّدة أو مُحوّلة عبر قواعد تحويل، كما في المجموعتين:

(21) - أ- شرب الطفل حليبا <------ فعل - فاعل - مفعول

(22) - أ- حليبا شرب الطفلُ <------ مفعول - فعل - فاعل

ب- الطفل شرب حليبا <------ فاعل - فعل - مفعول

ج- شرب حليبا الطفلُ <------ فعل - مفعول - فاعل

د- الطفل حليبا شربَ <------ فاعل - مفعول - فعل

حسب الطرح اللساني الوظيفي، فإنّ بنية الجملة (21-أ) ليست أصلا اشتقاقيا للجمل في المجموعة (22-أ-ب-ج-د)، لأنه حسب «المتوكل» كل هذه «التراكيب الرتبة فيها مقيدة تداوليا، كل تركيب يُطابق مقاما مختلفا، وبالتالي يتضمن وظيفة تداولية مختلفة» [2]. أقام «المتوكل» هذا الافتراض على أسس الوظائف التداولية التي تُسند لمكونات الجمل، والتي قسّمها إلى نوعين؛ وظائف داخلية، وتضم البؤرة والمحور، ووظائف خارجية، وتضم المبتدأ والذيل والمنادى [3] وبموجب هذه الوظائف يتم ترتيب مكونات الجملة، مثل الجملة (23):

(23) - خالدٌ، وهبته إياه، المنزل

---

[1] سنعود في المحور اللاحق لمناقشة دور الوظائف التداولية في العدول من رتبة إلى أخرى في محور خاص بعنوان: مستويات تفسير العدول عن أصل الترتيب، انظر المحور (4) الآتي، من هذه الدراسة.

[2] قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 225.

[3] سنتحدث عنها في المحور اللاحق، خاص بالوظائف التداولية في النحو الوظيفي.

فالوظيفة التداولية (المبتدأ) مسندة للمكون (خالد) باعتباره المكون «الدال على مجال الخطاب» [1] في حين أسندت الوظيفة التداولية (الذيل) للمكون (المنزل) لكونه يدل على «معلومة واردة للتبيين أو التعديل أو التصحيح بالنظر إلى معلومة تتضمنها الجملة» [2].

يتضح من التحليل الذي قدمه «المتوكّل أحمد» أنّ رتبة مكونات الجملة غير مرتبة في العمق، وأنه جميع الرتب سطحية يتم ترتيبها بعد انتقاء الرأس والمخصصات، وفق القاعدة الآتية:

(القاعدة 4) – (محدّد، رأس، فضلة)

تشير الفواصل (،) بين الكلمات في القاعدة (4) حسب «المتوكل» إلى أنّ مكونات الجملة غير مرتبة، ويمكن أن تتغير مواقعها بتغيّر الوظائف المسندة لكل مكوّن منها، واستنتج إلى أنّ هذا الاقتراح يُمكننا من «التقريب بين مختلف اللغات الطبيعية، إذْ بذلك تصبح البنية التحتية قاسما مشتركا بينها جميعها باعتبار هذه البنية التمثيل للخصائص الدلالية والتداولية التي يُرجّح أن تشمّل كليات لسانية»[3].

2- مستويات تفسير رتبة المكوّنات

ثمة سؤال جوهري ينطرح أمامنا في هذا المحور، وهو: ما المستويات التي يمكن أن يُفسّر في ضوئها العدول عن أصل الترتيب؟ تكمنُ أهمية هذا السؤال في كونه يُمكّننا من تصنيف العلل الكامنة وراء أيّ «فعل» عدولي من نمط ترتيبي إلى آخر في مكونات الجملة، خاصة إذا علمنا أنه لا يحدث عدول بشكل اعتباطي، فالوقائع اللغوية تحدث نتيجة لجملة من القيود التي قد تكون تركيبية أو دلالية أو تداولية

[1] قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 227.

[2] المرجع نفسه، ص 227.

[3] قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 234.

خارج نطاق اللغة أساسا، ينبغي البحث فيها وتفسيرها وتصنيفها في المستوى الذي تنتمي إليه. وتصنيف تلك العلل من شأنه أيضا أن يمكننا من الإجابة عن سؤال إشكالي فرعي آخر وهو: ما الإمكانات التعبيرية التي يبيحها نظام اللغة العربية في المستوى العدولي بين مكونات الجملة؟

إنّ الإجابة عن هذين السؤالين، تفرض أولا الانطلاق من تعريف مفهوم التفسير وإبراز علاقته بالبحث اللغوي عامة، وبالأطر اللسانية النظرية التي اشتغلت عليه بشكل خاص. تدور المادة اللغوية للجذر (ف-س-ر) حول التوضيح والتبيين والكشف عن المستور والمغطى، والتفسير والتأويل بمعنًى واحد [1] أمّا دلالته الاصطلاحية فقد اختلف فيها كثيرا بين علماء التفسير الذين فسّروا القرآن الكريم، وتطورت من عصر إلى آخر [2]؛ لكنها تلتقي في دلالة جامعة مفادها أنّ التفسير هو «علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تُحمل عليها دلالة التركيب والكشف عن المراد منها» [3]. وقد اتصل التفسير بالبحث اللساني أول مرة مع ظهور اللسانيات التوليدية، خاصة حين أصدر تشومسكي كتابه «دراسات في الشكل والتفسير» سنة 1977م [4]؛ حيث تحوّل التفسير بعد صدور هذا الكتاب، إلى الدلالة على نظام من التعليلات التي تفسّر انتظام الظواهر اللغوية بغض النظر عن اللغة التي تمثلها، وذلك في إطار جملة من النظريات، مثل نظرية الحالة Case theory، التي تفسر ظاهرة المصادر المؤولة والمصادر الصريحة التي يمكن تمثيلها بمصادر مؤولة، ونظرية العمل والربط Goverment Binding theory، التي تفسر علاقة التحكم المُكوّني بين عناصر

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ف-س-ر).

(2) مساعد مسلم، أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، ط1، 1405 هـ/ 1984م، (ص 46).

(3) أحمد عمر أبو حجر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار قتيبة للنشر، دمشق، ط 1، 1991م/1411 هـ، (ص 16).

(4) Noam Chomsky, Essays on form and Interpretation, Elsevier North-Holland 1977.

الجملة، ونظرية الفصل Binding theory التي تفسّر طبيعة القيود المفروضة على نقل عناصر الجملة تقديما وتأخيرا [1].

تأسيسا على هذه الأرضية، لاحظنا أنّ العدول عن أصل الترتيب في الجملة العربية يرجع في جوهره إلى جملة من العلل المختلفة من حيث طبيعتها وتأثيرها في العدول من نمط ترتيبي إلى آخر، وتلك العلل منها ما هو لغوي محض، ومنها ما هو غير لغوي، ينتمي إلى الظروف الحافة بوقائع الكلام.

2-1- المستوى النحوي: التفسير النحوي للعدول عن أصل الترتيب

انطلاقا من التقسيم الثنائي للرتبة، رتبة محفوظة ورتبة غير محفوظة، واعتبارها قرينة تركيبية، لاحظ النحاة أنّ الرتب غير المحفوظة تطرأ عليها تغيرات موقعية؛ حيث تتبادل المكونات الجُملية مواقعها مع الاحتفاظ بدلالتها النحوية التي يسندها لها موقعها الإعرابي، فإذا كان ذلك التغيير الموقعي يحدث بالعدول من المستوى الأصلي للبنية إلى المستوى الفرعي لبنية الجملة، فقد حاول النحاة البحث في العلل الكامنة وراء ذلك العدول، ولهذا نجد «ابن جنّي» يؤكد في مواضع كثيرة علي ضرورة البحث عن تلك العلل، ووفق تعبيره «اعلم أنه لا تنقض مرتبة إلا لأمر حادث، فتأمله وابحث عنه» [2].

في هذا السياق، نورد نصا من أقدم النصوص النحوية التي حاولت البحث في علّة العدول عن أصل الترتيب؛ حيث يعلّق سيبويه على تقديم المفعول على الفاعل ونقض المرتبة الأصلية قائلا: «كأنهم إنّما يقدّمون الذي ببيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانا جميعا يهُمّانهم ويعنيانهم» [3]. يتضح من هذا النص أنّ سيبويه يُعلّل نقض الرتبة الأصلية بتقديم المفعول على الفاعل في الجملة (ضرب زيداً عبدُ الله) بعلّة غير لغوية ذات ملمح سياقي يكون العدول فيها قائما على أصل العناية والاهتمام

[1] لمزيد من التفصيل، انظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، (ص 195-386).

[2] ابن جنّي، الخصائص، (ج1، ص 300).

[3] سيبويه، الكتاب (ج1 /ص 34).

بالعنصر المقدّم في الجملة. ونجد هذه العلّة تطّرد عند البلاغيين الذي جاؤوا بعده، ف «الجرجاني (ت 471 ه)» يعلّق على قول سيبويه السابق؛ قائلا: «قال صاحب الكتاب وهُوَ يَذْكُر الفاعل والمفعول كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعا يَهمّانهم ويعنيانهم ولم يذكر في ذلك مثالا، وقال النحويون: إنّ معنى ذلك أنه يكون من أغراض الناس في فعل ما أنْ يقعَ بإنسان بعينه ولا يُبالون منْ أوقعَهُ كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجيّ يخرج فيعيث في الأرض ويفسد فيكثر منه الأذى إنهم يريدون قتله ولا يُبالون من كان القتل منه. فإذا قتل وأراد مُريدٌ الإخبارَ بذلك فإنه يُقدّم ذكرَ (الخارجيَّ) فيقول: (قتلَ الخارجيَّ زيدٌ) ولا يقول (قتل زيدٌ الخارجيَّ) لأنه يعلم من حالهم أنه الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد (...)»[1] بل إنّ الجرجاني يذهب في موضع آخر إلى جعل العدول من نمط ترتيبي إلى آخر مقترن بغرض ما حصرا، وأن ذلك الغرض لا يتحقق في نمط ترتيبي آخر، كما هو الأمر في تقديم المفعول على الفعل، فيقول: «وأعلم أن من الخطأ أن يُقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين ، فيجعل مفيداً في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه. ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى. فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام، أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال. ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء، أن يدعي أنه كذلك في عموم الأحوال. أما أن يجعله بين بين، فيزعم أنه للفائدة في بعضها، وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض، فمما ينبغي أن يرغب عن القول به» [2].

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ص 108.

[2] المرجع نفسه، (ص 110-111).

يُفهم من كلام الجرجاني أنه لا عدول بدون معنى جديد، ولا يستثني الجرجاني من كلامه الشعر المنظوم، ولا يرى «توسعة في ذلك» غير أنّ هذا الرأي لا ينسحب على الضرورة الشعرية التي تلزم الشاعر بنمط تركيبي معين تفرضه القيود التركيبية على العناصر المكونة للجملة، كما في قول الشاعر:

صددْتِ فأَطْوَلْتِ الصدودَ وقلّما وصالٌ على طولِ الصدودِ يــدومُ

فقد وصف سيبويه هذا البيت بأنه من قبيح الكلام لأنه وُضعَ في غير موضعه، فالتركيب يقتضي: وقلّ ما يدومُ وصالٌ، غير أن سيبويه جعل ذلك محتملا في شعر العرب لأنه خرج مخرج الضرورة [1].

وفي سياقٍ موازٍ، بحث النحويون أيضا في علّة العدول الذي تفرضه كثرة الاستعمال؛ بحيث يصبح الأصل الاستعمالي بديلا للأصل الافتراضي، ويصير هو الأصل المقيس عليه، في هذا المضمار يورد ابن جنّي رأيا لأستاذه أبي علي الفارسي، في نقض مرتبة الفاعل والمفعول، وتقدمه عليه، يقول فيه: «قيل: الأمر وإن كان ظاهره ما تقوله، فإن هنا طريقا آخر يسوغك غيره، وذلك أن المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل، حتى دعا ذاك أبا علي إلى أن قال: إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه، كما أن تقدم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا ، نحو قول الله عز وجل « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ، وقول ذي الرمة :

أستحدث الركب من أشياعهم خبرا أم عاود القلب من أطرابه طربُ» [2]

لم يقف النحاة عند هذا الحد في محاولاتهم لتفسير علة العدول، بل قدموا تحليلا لبعض الأنماط التركيبية المعدولة عن أصلها، والتي فرضتها القيود التركيبية، مثل وجوب تأخير الفاعل «إذا اتصل به ضمير مفعول، أو وقع بعد إلا أو

[1] سيبويه، الكتاب (ج 1، ص 34).

[2] ابن جنّي، الخصائص، (ج1، ص 295).

ما في معناها، أو اتصل مفعوله وهو غير متصل، فوجب تأخيره (...) مثل قولك (ضرب زيدا غلامهُ) إذ لو قدمته لكان إضمارا قبل الذكر لفظا وأصلا، (...) ونحو قولك: (ما ضرب عمرا إلا زيدٌ)، وإنما وجب تأخير الفاعل ههنا لما ذكرنا بعينه في وجوب تقديمه في: (ما ضرب زيد إلا عمراً) ، فإن مضروبية ما قبل إلا محصورة فيما بعدها، والضاربية محتملة، فلو قدمت الفاعل بلا «إلا» انعكس المعنى، ولو قدمته معها لجاء المحذور المذكور» [1].

يتضح من النصوص التي أوردناها أعلاه أنّ التفسير الذي قدّمه النحاة للعدول اتخذ حيّزين، حُصرَ الحيّز الأول في العلل غير اللغوية والتي يتم بمقتضاها عدول المتكلم من نمط ترتيبي إلى آخر، وهو ما عبّر عنه النحاة بضابط العناية والاهتمام، بينما ضُبِطَ الحيّزُ الثاني في العلل التركيبية التي تفرض نمطا تركيبيا معينا وإن جاء على خلاف الأصل التركيبي، وفي هذه الحال، يكون العدول إجباريا، وكل ذلك في إطار ما يسمح بها نظام اللغة نعبّر عن ذلك بالشكل التالي:

2-2- المستوى اللساني: التفسير اللساني التوليدي

اهتم اللسانيون التوليديون العرب في تفسيرهم للتغيرات الموقعية التي تطرأ على مكونات الجملة بالتركيز على وجود مُستوَيَين تشتق فيهما الجملة بجميع مكوناتها، وبصرف النظر عن نوعها، يُحدد المستوى الأول فيما أسموه بالبنية العميقة، ويُحدّد المستوى الثاني فيما يُسمى بالبنية السطحية، ويُميّز بين هاتين البنيتين بكون «الأولى بنية مجرّدة وضمنية وهي التي تعيّن التفسير الدلالي، بينما الثانية هي الترتيب السطحي للوحدات الذي يحدّد التفسير الصوتي» [2] ويضرب «تشومسكي» مثالا لهاتين البنيتين، كما في الجمل (24):

---

[1] الرضي الأستراباذي، شرح الكافية، (ج1، ص 196-197).

[2] Noam Chomsky, Cartesian Linguistics, New York and London, 1ed, 1966, p 61-62-63, (pdf).

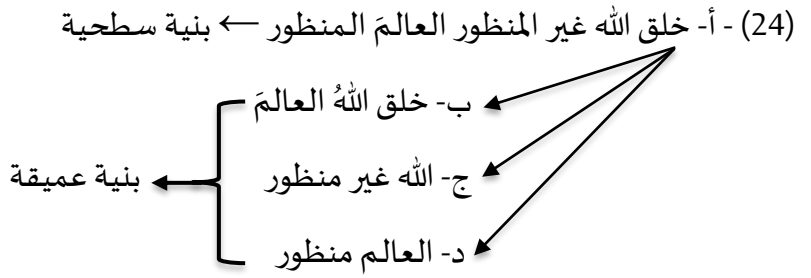

حيث تشكل الجملة (24-أ) البنية السطحية التي ظهرت في الشكل النهائي للكلام عند المتكلم، بينما تشكل الجمل في (24-ب-ج-د) البنية العميقة التي تم توليدها في ذهن المتكلم، وإخراجها على شكل البنية السطحية بموجب قواعد التحويل.

إنّ التمييز بين هاتين البنيتين، مرتبط أساسا بمكونات القواعد التوليدية والتحويلية، لأنه لا يتم الانتقال من البنية العميقة التي تتحيّز في مكوّن خاص بها إلى البنية السطحية التي تتحيّز بدورها في مكوّن آخر إلا بعد المرور من سلسلة من القواعد التوليدية. في هذا السياق يُميز التوليديون بين ثلاث مكوّنات ويعدّونها مسارا لاشتقاق الجملة في شكلها النهائي، وهذه المكونات ليست منفصلة عن بعضها بعضا إلا في المستوى الإجرائي لدراستها، لأنها مكونات متكاملة فيما بينها ودراستها منفصلة ومتصلة تُمكّن الباحث اللساني من تحقيق الكفايتين الوصفية والتفسيرية على النحو العلمي لكل لغة، وتلك المكونات، هي المكون الفونولوجي، والمكوّن التركيبي، والمكوّن الدلالي [1]:

يتضح مما سبق أنّ اشتقاق الجملة حسب الطرح التوليدي التحويلي يتم حصرا عبر مسار توليدي تفاعلي بين جميع المكوّنات؛ فالمكوّن الفونولوجي مسؤول عن توليد الأصوات وعلاقتها بالصرف، والمكوّن الدلالي مسؤول عن الدّخل المعجمي

[1] ميشيل زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، النظرية الألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1982، ص137-156. وانظر كذلك: الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج1، ص 71 وما بعدها، حيث تحدث عن المكونين التركيبي والدلالي، والتعالق بينهما. سنقوم في هذا المحور من الدراسة بتقديم عرض موجز لهذه المكونات كما صاغها اللسانيون التوليديون العرب.

وانتقاء السمات وتوسيعها، ثم إسقاطها في إطار شامل لجميع مكونات الجملة، أما المكوّن التركيبي فيضطلع بتوليد المركّبات من خلال ثلاث قواعد، هي قواعد التكوين، وقواعد الاستبدال بالوحدات المعجمية المناسبة، ثم قواعد التحويل التي تنتج عنها في النهاية البنية السطحية [1]. ويتضح أيضا أنّ العدول من نمط ترتيبي إلى آخر يُفَسّر بوجود إجراءين ذهنيين، يقوم بِهما الذهن ابتداء، وهما المسؤولان عن اشتقاق الجملة في تركيها المعدول عن أصله (البنية العميقة)، وهما:

- إجراء توليدي؛ حيث تُولّدُ العناصر المكوّنة للجملة.
- إجراء تحويلي؛ حيث يتم تحويل البنية العميقة التي حصلنا عليها في المستوى التوليدي، إلى بنية سطحية. وفي البنية السطحية تظهر الجمل المختلفة والتي تحمل معنى واحدا. فالجملة (27) تُمثّل هاتين العمليتين في السياق العدولي:

(25) - أ- قرأ الطفلُ القرآنَ

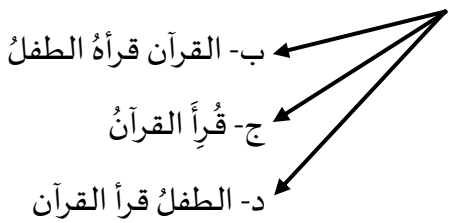

فالبنية العميقة في (أ) التي تضم {فعل-فاعل-مفعول} عُدلَ عنها في البنيات السطحية إلى أنماط تركيبية من قبيل {مفعول-فعل-فاعل} كما في (ب)، وإلى نمط {فعل-نائب فاعل} كما في (ج)، وإلى نمط {اسم-فعل-اسم} كما في (د). وذلك بموجب قواعد تحويلية تنقل مكونات الجملة موقعيا.

[1] الألسنية التوليدية التحويلية، النظرية الألسنية، مرجع سابق، ص 158-159-160. تجدر الإشارة إلى أنّ العمل التفاعلي بين جميع المكونات في النظرية التوليدية، لم يبدأ إلا مع الاهتمام بالمكوّن الدلالي في النماذج التي جاءت بعد نموذج 1957. خاصة في النماذج 1965-67-70.

2-3- التفسير اللساني الوظيفي للعدول

خلافا للتفسير التوليدي التحويلي، يأتي التفسير اللساني الوظيفي ليعيد الاعتبار لمكوّن آخر لم يحظ باهتمام الاتجاهات اللسانية الأخرى، وهو المكوّن التداولي، ولا غرابة في هذا لأنّ الوصف اللغوي الكافي في نظرية النحو الوظيفي [1] يسعى إلى «تحقيق الكفاية التداولية Pragmatic Adequacy بالإضافة إلى الكفايتين النفسية والنمطية، وتتحقق الكفاية التداولية حين يستطيع الوصف اللغوي أن يرصد التفاعل القائم بين بنية اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية، أي حين يستطيع أن يربط بين الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية والأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها»[2]، وبناء على هذا الهدف فإنّ تفسير العدول عن أصل الترتيب سيكون وفق المقتضيات التي تفرضها القيود التداولية، وليس القيود التركيبية، أو الدلالية، ما يؤكد هذا هو أنّ مُحدّدات رتبة مكونات الجملة تنتظم -وفق هذه النظرية- في سُلّمية تُغلّب الوظائف التداولية على حساب الوظائف التركيبية والدلالية، وهذا لا يعني أنّ ما يدخل في حيّز التركيب والدلالة لا دور له في تحديد رتبة مكونات الجملة، ولكن ليس له التأثير نفسه، وذلك وفق السلمية الآتية [3]:

الجملة ⟵ الوظائف التداولية > الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية

إنّ إعطاء الغلبة للوظائف التداولية في تحديد رتبة مُكوّنات الجملة يقتضي إفراد مستوى آخر لتمثيل الوظائف الداخلة في الحيّز التداولي، وهذا يعني أنّ تمثيل الجملة في النحو الوظيفي يتم في المستويات الثلاثة الآتية:

---

[1] نقصد هنا نظرية النحو الوظيفي في السياقين الغربي والعربي، وتهمنا في هذا الإطار الاقتراحات التي قدّمها أحمد المتوكّل في جميع مراحلها. بدءا من الوظائف التداولية 1985، ووصولا إلى نحو الخطاب 2012.

[2] أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، وظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، ط1، 1987، ص 05.

[3] أحمد المتوكّل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان، الرباط، ط1، 1996، ص 236.

- **مستوى تمثيل الوظائف التداولية:** ويشمل خمس وظائف، هي المحور والبؤرة، والمبتدأ، والذيل، والمنادى.
- **مستوى تمثيل الوظائف الدلالية:** وفيه تُمثل وظيفة المُنفّذ، ووظيفة المُتقبّل، والمستقبل، والمستفيد، والزمان، والمكان، والحدث.
- **مستوى تمثيل الوظائف التركيبية:** ويشمل وظيفتين، هما وظيفة الفاعل، وظيفة المفعول.

يتمّ اشتقاق الجملة في منظور النحو الوظيفي حسب هذه المستويات وفق ثلاث بنيات مرتبة ترتيبا تصاعديا، هي [1]:

- البنية الحَمْلية؛
- البنية الوظيفية؛
- البنية المُكوّنية.

تعمل هذه البنيات في مسار تفاعلي؛ حيث تستند البنية الحملية إلى أساس يضم المعجم وقواعد التكوين، ثم تُنقل إلى بنية وظيفية بإسناد الوظائف التركيبية والدلالية للمكونات، ثم الوظائف التداولية، ثم تُنقل إلى بنية مُكوّنية [2]، وتروزها ثلاث قواعد، قواعد الأساس، وقواعد إسناد الوظائف، ثم قواعد التعبير، كما يُظهر الشكل الآتي:

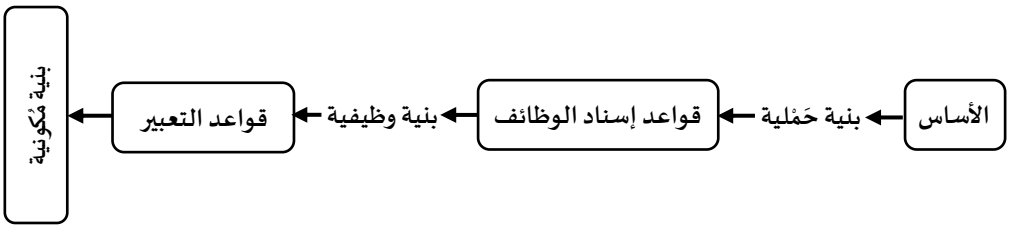

[1] أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد، ط2، 2010، ص 139.

[2] أحمد المتوكّل، الوظيفة والبنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، ط1، د-ت، ص 11.

تنقسم الوظائف في النحو الوظيفي إلى ثلاثة وظائف، هي: وظائف دلالية وتضم (المُنفّذ، ووظيفة المُتقبّل، والمستقبل، والمستفيد، والزمان، والمكان..). ووظائف تركيبية، وتضم وظيفتي (الفاعل والمفعول)، ثم الوظائف التداولية، وهي نوعان: وظيفتان داخليتان هما: (البؤرة والمحور). ووظائف خارجية، هي: (المبتدأ والذيل، والمنادى).

الوظائف التداولية في النحو الوظيفي، خمس وظائف، تنقسم بلحاظ موقعها بالنسبة للحمل، إلى نوعين: وظائف داخلية، تشمل وظيفة (البؤرة)، ووظيفة (المحور). ثم وظائف خارجية، وتضم وظيفة (المبتدأ)، ووظيفة (الذيل)، ووظيفة (المنادى)، وتُسندُ هذه الوظائف على النحو الآتي [1]:

- تُسند وظيفة البؤرة إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة، وتنقسم إلى نوعين، بؤرة جديد، وبؤرة مُقابلة. تعرّف بؤرة الجديد بكونها التي تُسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المُخاطب. بينما تُعرّف بؤرة المقابلة بأنها البؤرة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها، ويتم التمييز بينهما بروائز مقامية؛
- تُسند وظيفة المحور إلى المكون الدال على «المُحدّث عنه» داخل الحمل؛
- تُسند وظيفة المبتدأ إلى المكوّن الذي يحدد مجال الخطاب بالنسبة للحمل؛
- تُسند وظيفة الذيل إلى المكوّن الذي يحمل المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل، أو تُعدّلها؛
- تُسند وظيفة المنادى إلى المكون الدال على المنادى في مقام معيّن.

[1] المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 28-69-114-145-161.

يتميز المستوى التداولي الذي تُمّثل فيه الوظائف التداولية بكونه يستند إلى السياق المقامي الإخباري بين المتكلم والمخاطب، الذي بمقتضاه تُحدد العلاقات القائمة بين مكوّنات الجملة، ما يُؤكد هذا الافتراض هو اعتماد النحو الوظيفي على تحليل الجمل انطلاقا من المعلومات المتبادلة بين المتكلم والمخاطب.

وفق التقسيم الذي قدّمه النحو الوظيفي، تأخذ بنية الجملة بعد إضافة الوظائف التداولية وإسنادها للمكونات، وتبعا للحيز الذي تأخذه الوظائف بالنسبة للحمل، الشكلين الآتيين:

البنية (1): {مبتدأ (حمل) ذيل}

البنية (2): {منادى- مبتدأ (الحمل) - ذيل}

البنية (3): {(حمل) – بؤرة – محور}

البنية (4): {بؤرة – محور- (حمل)}

تتغير الوظيفتان (البؤرة-المحور) في البنيتين (3-4) بموجب المعلومة التي تحملها كل وظيفة، نمثل لهذه البنيات العامة بالجمل الآتية:

(26) - أ- خالدٌ، فاز بالبطولة

ب- قابلتُ اليوم صُحُفيا، بل مذيعا

ج- يا صاعدا جبلا، احترسْ

د- يا يوسفُ، هذه فرصتك

هـ- البارحة افتتح الوزير معرض الكتاب

و- متى رجعَ خالد؟ / رجعَ خالد البارحة

تمثل الجملتان (26-أ-ب) البنية (1) حيث المكون (خالد) هو مجال الخطاب بالنسبة للحمل (فاز بالبطولة)، بينما يمثل المكوّن (بل مذيعا) وظيفة الذيل، بوصفه

مُكوّنا يوضح معلومة واردة بالنسبة للحملة (قابلت اليوم صحفيا) ويعدّلها ب (بل مذيعا. تمثل الجملتان (26-ج-د) البنية (2) حيث يشكل المكونان (يا صاعدا) و (يا يوسف) وظيفة المنادى بالنسبة للحمل. وفي الجملتين (26-هـ-و) يشكّل المكوّنان (البارحة-خالد) وظيفة البؤرة والمحور؛ بحيث المكوّن (البارحة) أسندت له وظيفة البؤرة، والمكون (خالد) أسندت له وظيفة المحور. أسندت هذه الوظائف جميعها للمكونات في الجمل (26-أ-و) وفق طبقة مقامية تواصلية بين متكلم ومُخاطب.

يتم تحديد مخصص الحمل [1] بعد إتمام إسناد الوظائف التداولية، وذلك من خلال التأشير على القوة الإنجازية التي تواكبه، ومنها القوة الإنجازية (الإخبار)، والقوة الإنجازية (السؤال)، والقوة الإنجازية (الأمر) ... كنا توضح الجمل الآتية:

(27) - أ- ألقى الوزير خطابا حماسيا. ⟵ {والقوة الإنجازية (الإخبار)}

ب- هل ألقى الوزير خطابا حماسيا؟ ⟵ {والقوة الإنجازية (السؤال)}

ج- ألقِ خطابا حماسيا! ⟵ {والقوة الإنجازية (الأمر)}

وبإضافة مخصص الحمل، تصبح البنية العامة للجملة في نهاية البنية الوظيفية، على النحو الآتي:

البنية (5) - {(منادى)- (مبتدأ) «قوة إنجازية» |محمول (س1) - (س2) | (ذيل)}

بعد إتمام إسناد الوظائف التداولية في البنية الوظيفية يتم الانتقال إلى البنية المكونية، هي البنية الثالثة والأخيرة في مسار اشتقاق الجملة حسب النحو الوظيفي، وتعرّف بأنها هي البنية الصرفية التركيبية، ويتم بناؤها باتباع نسق «قواعد التعبير» [2]، وهي:

---

[1] يُميّز في النحو الوظيفي بين ثلاثة أنواع من مخصصات الحمل، مخصص المحمول الذي يشكل الصيغة والوجهة والزمن، ومخصص الحد الذي يشمل التعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع...، ومخصص القوة الإنجازية. ينظر: اللسانيات الوظيفية، ص 156.

[2] أحمد المتوكّل، الوظيفة والبنية، مرجع سابق، ص 21.

- قواعد صياغة الحدود؛
- قواعد صياغة المحمول؛
- قواعد إسناد الحالات الإعرابية؛
- قواعد المَوْقَعَة؛
- قواعد إسناد النبر والتنغيم.

من أهم هذه القواعد بالنسبة لهذه الدراسة، قواعد المَوْقَعة Placement rules، التي بوجبها تأخذ المكونات داخل الجملة رُتَبَها الخاصة بها وذلك بعد تطبيق قاعدة إسناد الحالة الإعرابية للمكونات، ويقترح النحو الوظيفي في هذا السياق البنية الآتية [1]:

- البنية (6) – {م ^{4}، م ^{2}، م ^{1}، م$^{\varnothing}$ (فعل-فاعل-(مفعول)) (ص)، م ^{3}}

يتم إسقاط مكونات الجملة حسب الوظيفة المسندة لكل عنصر منها، فتأخذ الوظائف موقعها حسب الآتي:

- يحتل الموقع (م ^{4}) المنادى، ويحتل الذيل الموقع (م ^{3})، بحكم أنّ الذيل يتوقع بعد الحمل ويتعلّق به بلحاظ وظيفته المنوطة به وهي للتبيين أو التعديل أو التصحيح. بينما يحتل المبتدأ الموقع (م ^{2})، وهي وظائف خارجية.
- يحتل الموقع (م ^{1}) الأدوات التي لها حق الصدارة مثل أدوات الاستفهام، والنواسخ الحرفية، وأدوات النفي.
- يحتل الموقع (م$^{\varnothing}$) المكونات التي تُسند إليها الوظائف التداولية الداخلية، وظيفة البؤرة، أو وظيفة المحور. أو أسماء الاستفهام.

[1] انظر: اللسانيات الوظيفية، ص 156. / ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص19

- يحتل الموقعين (فاعل-مفعول) المكوّن الحامل للوظيفة التركيبية الفاعل، والمكوّن الحامل للوظيفة التركيبية المفعول على التوالي.
- يحتل الموقع (ص) كل مكوّن غير حامل لوظيفة تركيبية أو وظيفة تداولية تخوّله احتلال الموقع (م∅).

مرّ بنا في هذا المحور أنّ اشتقاق الجملة في نظرية النحو الوظيفي يقوم أساسا على التمثيل للوظائف التداولية، وبالتالي فإنّ الكلمات تأخذ مواقعها الترتيبية في خطّية الجملة بإعطاء الأولوية للوظائف التداولية التي تحملها [1]. على هذا الأساس نعتبر أنّ أيّ عدول من نمط ترتيبي إلى آخر بين مكونات الجملة، هو عدول ينشأ استجابة لقصود تداولية نلمسها في الأفعال الكلامية التي تنجزها في طبقة مقامية معينة، ويُؤشر عليها بالقوة الإنجازية كما سبقت الإشارة.

رَوْزاً لعمل الوظائف التداولية في صياغة الأنماط التركيبية العدولية، ننطلق من الجملة (38) التي تمثل ترتيب المكونات في بنية الجملة الفعلية:

(28) - أ- **مُحاضرةً** ألقى الأستاذ (**بِنَبْرِ** محاضرة) [2]

ينظر النحو الوظيفي إلى رتبة المكونات في الجملة (28) على أنها بنية أصلية، رُتّبتْ مُكوناتها (المفعول-فعل-فاعل) وفق قاعدتي الموقعَة؛ قاعدة الموقعة في موقع (الفاعل) بالنسبة للمكوّن (الأستاذ) بموجب الوظائف الدلالية والتركيبية، وقاعدة الموقعة في الموقع (م∅) بالنسبة للمكوّن (**مُحَاضرةً**) الحامل للوظيفة التداولية «بؤرة المقابلة» ويتم تمثيلها في البنية الوظيفية غير المُرتبة على النحو الآتي:

---

[1] المتوكل أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص20.

[2] ينتمي «النّبر» إلى مستوى قواعد النبر والتنغيم، وهو المستوى الأخير قبل التمثيل النهائي لبنية الجملة. ويُسندُ النّبر في النحو الوظيفي إلى المُكوّن الحامل للوظيفة التداولية البؤرة، سواء كانت بؤرة جديد، أم بؤرة مقابلة. انظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 181.

البنية الوظيفية (7) للجملة (28):

{ماضي: ألقى-فعل (س1: الأستاذ = منفّذ-فاعل-محور) - (س2: محاضرة = متقبّل-مفعول- بؤرة مقابلة}

البنية أعلاه غير مرتبة على النحو الموجود في الجملة (28)، ولهذا يرى «المتوكّل» أنّ قاعدة الموقعة في الموقع (م∅) لا تنقُلُ مكوّناً يحتلّ موقعا معينا في البنية الدّخْل إلي صدر الجملة كما هو الشأن للمكون (محاضرة) في الجملة (28)، بل تُمَوْقِعُهُ بدءا في هذا الموقع [1]، وهذه القاعدة هي [2]:

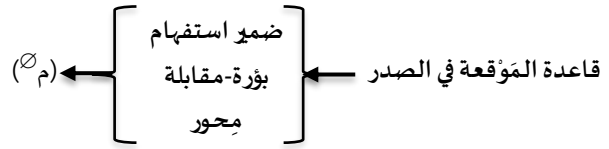

فالمكونات الحاملة للوظيفتين التداوليتين «المحور وبؤرة المقابلة» أو أحد «ضمائر الاستفهام» تتم موقعتها في موقع الصدر (م∅).

إنّ المكوّن (محاضرة) أخذ موقع الصدر في الجملة (28) الذي يمثله الموقع (م∅) بموجب الوظيفة التداولية «بؤرة المقابلة» المسندة إليه، وهذه البؤرة تُسند للمكوّن الحامل للمعلومة المُشّك فيها من قبل المُخاطب، كما سبقت الإشارة. وذلك بالنظر إلى الطبقة المقامية التي أُنجزتْ فيها الواقعة الكلامية، وهي طبقة تتكون من مقامين[3].

- -المقام (1): يتوفر المخاطب على مجموعة من المعلومات، ينتقي المتكلم للمخاطب المعلومة التي يعتبرها واردة.

---

[1] المتوكل أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 21.

[2] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، مرجع سابق، ص 239.

[3] لمزيد من التفصيل حول أنواع المقامات التي تتحيّز فيها الوظائف التداولية للمكونات، انظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية، ص 29-30.

- -مقام (2): يتوفر المتكلم على مجموعة من المعلومات. يطلب المتكلم من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة في حالة الاستفهام).

وفقا للمقامين، تصبح الجملة (28-أ) التي تصدّر فيها المكوّن الحامل للوظيفة التداولية «بؤرة المقابلة» هي الجملة (28-ب):

(28) - ب- **مُحاضرةً** ألقى الأستاذ، وليس درسا.

يتضح، إذن، أنّ العدول إلى استعمال البنية الموظفة في الجملة (28-أ-ب) هو عدول مُفسّر بعلل غير لغوية متصلة بالمقام التخاطبي الذي يوجد فيه المتكل والمخاطب. وهذا التفسير مخالف بالمقارنة مع التفسير الذي قدّمته اللسانيات التوليدية التحويلية، التي تعتبر الجملة (28-أ) جملة مُحوّلة عن البنية العميقة بموجب قاعدة تحويل، تَنْقُل المكوّن (المفعول-مُحاضرة) إلى صدر الجملة، وبنيتها العميقة المشتقة المُحوّلة عنها، هي (28-ج):

(28) - ج- ألقى الأستاذ مُحاضرةً.

خاتمة: نتائج الدراسة وآفاقها

أ- نتائج الدراسة:

تتجهُ الأنظار في ختام هذه الدراسة إلى استخلاص جملة من النتائج المترتبة عن البحث في بنية العدول عن أصل الترتيب في نسق اللغة العربية نظاما واستعمالا، ونجملها على النحو الآتي:

– قدّم النحاة العرب القدماء تفسيرا للعدول عن أصل الترتيب، يقوم على النظر إلى بنية الجملة العربية من زاويتين، زاوية تركيبية صِرْفة؛ حيث قسّموا العدول إلى عدول ترتيبي واجب، وعدول ترتبي جائز، فكلما سمح نظام العربية بالعدول، جاز ذلك، ولكما لم يسمح ذلك، اشترطوا الامتثال لقواعد النظام اللغوي للعربية، وهذه القواعد هي مجموعة من القيود التركيبية التي تضبط التغيرات الطارئة على الجملة، وتضمن سلامتها تركيبيا ودلاليا. وزاوية غير لغوية، مرتبطة بالأغراض والمقاصد التي يرمي إلى تحقيقها المتكلم مع الخاطب، وهذه الأغراض أقرب أن تكون أغراض تداولية، منها غرض «الاهتمام» وغرض «العناية».

– اختلفت المقاربات اللسانية المعاصرة لظاهرة العدول عن أصل الترتيب، ومرجع ذلك الاختلاف إلى الخلفيات النظرية التي صدرت عنها تلك المقاربات، ومنها المقاربتين التوليدية والوظيفية.

– انطلقت المقاربة اللسانية التوليدية التحويلية من المنجز اللساني العقلي الفطري، الذي يرى أنّ ترتيب الجمل يبدأ في مستوى البنية العميقة، وهي بنية ذهنية، ثم تمر الجملة عبر مجموعة من المكونات التي تروز اشتقاقها، ثم تظهر في مستوي البنية السطحية، وتطرأ عليها تحويلات تُغيّر ترتيب مكوّناتها وفق قيود تركيبية، خاضعة لقواعد مُركبية، وقواعد تحويلية.

– قدّمت المقاربة اللسانية الوظيفية، في إطار نظرية النحو الوظيفي المُؤسس تداوليا، تفسيرا للعدول عن أصل الترتيب، يقوم على افتراض مستوى ثالث تُمَثل فيه مُكونات الجملة، وهو مستوى الوظائف التداولية؛ حيث يتمُّ ترتيب مكونات الجملة وفق الوظائف التداولية التي تُسند إليها، وذلك بموجب قواعد يُطلق عليها قواعد المَوْقَعَة بعد إتمام اشتقاق الجملة من البنية الحملية، مرورا بالبنية الوظيفية التي تُسند فيها الوظائف التركيبية والتداولية والدلالية للمكونات، وانتهاء بالبنية المُكوّنية.

– نتج عن افتراض المستوى الثالث الذي تُمثل فيه الوظائف التداولية، القول بأنّ العدول عن أصل الترتيب لا يقوم على بنية أصل في مقابل بنية فرع، بل إنّ كل ترتيب يختص بطبقة مقامية يُنتج فيها من طرف المتكلم، وذلك، وفق المعلومات المتبادلة بين المتكلم والمُخاطب في سياق مقامي محدد، بحيث تُعطى الغلبةُ للوظائف التداولية في ترتيب المكونات داخل الجملة.

وجه الاختلاف بين المقاربات الثلاثة، المقاربة النحوية، والمقاربة اللسانية التوليدية التحويلية، والمقاربة اللسانية الوظيفية التداولية، في سياق المُقارنة بينهما، يكمنُ في كون النحاة القدماء حاولوا تقديم تفسير يجمع بين ما يفرضه ويبيحه نظام قواعد اللغة العربية وربطه ببعض الأغراض. في حين ركزت المقاربة اللسانية التوليدية على تقديم تفسير توليدي لظاهرة العدول، من خلال التركيز على القواعد المُركّبية التي تُولّد فيها بنيات الجمل، ثم القواعد التحويلية التي يتغيّر فيها ترتيب مكونات الجملة. في المقابل أقرّت المقاربة الوظيفية بأنّ كل ترتيب محدد لمكونات الجملة إنما ينتج وفق ما يفرضه مقام التواصل بين المتكلم والمخاطب.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد، ط2، 2010.
- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب. ط1، 1985.
- أحمد المتوكّل، الوظيفة والبنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، ط1.
- أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، المغرب. ط1، 1986.
- أحمد المتوكّل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، دار الأمان، الرباط، ط1، 1996.
- أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، وظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، ط1، 1987.
- أحمد عمر أبو حجر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار قتيبة للنشر، دمشق، ط 1، 1991م/1411.
- خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة، جدّة، ط1، 1984.
- داود عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط1، 2008.
- الرشيد أبو بكر، استخدام التحويلات في دراسة اللغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، السودان، عدد1، 1982.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، الجزء الأول، دار توبقال للنشر، ط1. 1985.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي.
- مساعد مسلم، أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي، مؤسسة الرسالة،

لبنان، ط1، ط1، 1405 هـ / 1984م.

- ميشيل زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، 1986.
- ابن جنّي، الخصائص، تح: علي النجار، المكتبة العلمية.
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تح: يحيى بشير، ط1، 1417هـ/1996م.
- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة خانجي، ط1، د-ت.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Noam Chomsky, Cartesian Linguistics, New York and London, 1ed, 1966, (pdf).
- Noam Chomsky, Essays on form and Interpretation, Elsevier North-Holland 1977.

المنعطف المنهجي
ودوره في إغناء الحوار بين التخصصات

سندس عفيفي
باحثة في سلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة
المغرب

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى تسليط الضوء على فكرة "المنعطف المنهجي ودوره في تعزيز الحوار بين التخصصات"، وهو موضوع يلبي النقاش الأكاديمي الحالي. تسعى هذه المساهمة إلى توضيح أن فتح قنوات التواصل وبناء جسور الحوار بين مختلف التخصصات يعد نتيجة طبيعية للتغيرات والتطورات الهامة التي شهدها مجال المناهج. فلولا الثورة الهادئة التي طرأت على الأدبيات المعتمدة في علم المناهج، لما كان بالإمكان فتح آفاق جديدة للحديث اليوم عن التعددية المنهجية، التي تستمر في دعوة إلى تقليص الفجوات بين التخصصات المختلفة.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
عفيفي، سندس. (2024، يوليوز). المنعطف المنهجي ودوره في إغناء الحوار بين التخصصات. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 126-156.

Abstract:

This article aims to shed light on the concept of the "methodological turn" and its role in enhancing interdisciplinary dialogue, a topic that aligns with current academic discourse. This contribution seeks to clarify that opening channels of communication and building bridges of dialogue between different disciplines is a natural outcome of the significant changes and developments that have taken place in the field of methodologies. Had it not been for the quiet revolution that has swept through the established literature in methodology, it would not have been possible to open up new horizons to discuss today what is known as methodological pluralism, which continues to call for narrowing the gaps between different disciplines.

مقدمة

تنهض هذا المقالة بالفكرة الرئيسية التي تَلقي الضوء على موضوع "المنعطف المنهجي ودوره في إغناء الحوار بين التخصصات"، باعتباره موضوعاً يستجيب للنقاش الأكاديمي الراهن، وتهدف هذه المساهمة إلى توضيح التصوّر التالي: وهو أن فتح قنوات التواصل ومدّ جسور الحوار بين مختلف التخصصات يعتبر بمثابة ولادة طبيعية لحصيلة التغيّرات والتطوّرات الهامة التي مسّت بشكل مباشر حقل المناهج؛ إذ لولا الثورة الهادئة التي اقتحمت قلاع الأدبيات المعتمدة في علم المناهج ما كان بالإمكان أن تفتح آفاق جديدة كي نتحدّث اليوم عن ما يسمى بالتعدّدية المنهجية التي ما فتئت تجدّد النداء المستمر من أجل تقليص مسافة الحدود العابرة بين التخصّصات، وهذا ما أسِمَه هنا، باسم " الثورة الصامتة " التي جرت وقائع أحداثها الكبرى في النواة الحساسة المحركة لبنية التفكير العلمي دون أن تسترعي قدراً كافياً من الاهتمام والتفكير وربما حتى دون أن تثير انتباه وفضول الكثير من الباحثين لدراستها والوقوف عند تفاصيلها المثيرة، ولأنّه في الغالب ما يتمّ نقاش أو تحليل القضية بعيداً عن خلفياتها النظرية والفكرية ومسبّباتها الحقيقية، أرى أن قفزات الانتقال التي حقّقتها المناهج في بنيتها الداخلية هي العامل الرئيسي الذي يفسّر خروج عدّة تخصصات علمية من شرنقتها الضيّقة نحو الانفتاح. وحتّى يكون لمقتضى الحديث معنى في هذا المقام سيتأرجح كلامنا بين مرحلتين يبدو أنّهما مختلفتين من حيث السياق الزمني ومن حيث العوامل والمؤثرات الفكرية الثقافية والاجتماعية التاريخية التي طبعت كلّ واحدة بعينها. تحيل المرحلة الأولى على صيغة المناهج التقليدية في طور تأسيسها الأولي التي يمكن وصفها بمرحلة الانغلاق، فيما تضعنا المرحلة الثانية أمام صورة المناهج في طور الانفتاح والتي نستطيع نعتها بمرحلة الانفجار وتفريخ مناهج بديلة.

غني عن البيان أن مسألة حوار التخصصات تؤطرها أبعاد ونظرية وفكرية تصب في عمقها الابتعاد ما أمكن عن تقاليد البحث العلمي والأكاديمي القديمة التي تفرض حواجزاً وحدوداً فاصلة بين مختلف التخصصات العلمية وكأنها أنساق فكرية ومعرفية معزولة تماما عن الواقع الذي أنتجت فيه. فما هي الإرهاصات والمبادئ الفكرية التي تستمد منها هذه المقاربة مرجعيتها في الدعوة لخلق جسور حوار وتواصل بين عدد من التخصصات العلمية؟

تنطلق هذه المقالة من استحضار حيثيات الظروف المعرفية والفكرية ومختلف الشروط الإبستمولوجية التي أطرت سياق النقاش حول الدعوة إلى حوار التخصصات العلمية ودوره في إنتاج معارف جديدة وهو سياق تحكمه من جهة أولى شروط منهجية ارتبطت في مجملها بالتساؤل حول جدوى وأهمية المنهج الواحد في معالجة ودراسة ظاهرة معينة سواء كانت تلك الظاهرة ذات طبيعة إنسانية أو طبيعية، بمعنى أن تفجير النقاش بهذا الخصوص ارتبط في صلبه بطبيعة المنهج المناسب لدراسة ظاهرة ما؛ إذ سرعان ما انتبه الكثير من الباحثين إلى قضية قصور ومحدودية منهج معيّن إن في طريقة معالجته لطبيعة الظاهرة المدروسة وتعقيداتها المختلفة أو علاقة انفتاحه على مناهج مجاورة. وهنا سأقف بشكل مقتضب لأبرز دور هذا السياق المنهجي في تكسيره للحدود العازلة بين التخصصات ودعوته الصريحة إلى إلغائها.

من جهة ثانية لا ينفصل هذا السياق المتعلق بالجانب المنهجي عن الإطار الفكري العام الذي عرف بدوره من التحوّلات الكبرى التي أعادت النظر في الكثير من مبادئ العلم الكلاسيكي التي كانت تمثّل حجر الزاوية ضمن الأسس المعرفية والعلمية التي يقوم عليها. جلّ هذه التغيرات مثلت تلك الأرضية الخصبة التي كانت ممهّدة لطبيعة الانقلابات الثورية التي كان مسرحا لها العديد من ميادين العلم المختلفة؛ إن على مستوى النتائج أو الحقائق أو صياغة القوانين العلمية وبناء النظريات العلمية والمفاهيم المعتمدة في ذلك البناء مع نهاية القرن 19 وبداية العقد

الأوّل من القرن 20؛ ولأنّ هذا القرن كان قد افتتح بظهور نظريتين شاملتين في الفزياء، وهما نظرية الكمّ لماكس بلانك ونظرية النسبية العامة والخاصة لألبرت إنشتاين، فقد كان لهما بالغ الأثر في تغيير بنية العلم وطرقه المنهجية([1]).

لقد تعرضت عروش وأركان عدد كبير من التخصصات العلمية مثل: الفيزياء، علم الطبيعة، الرياضيات، الفلسفة، المنطق، اللسانيات إلى هزات قوّية زعزعت معها كلّ الثوابت الصلبة التي شكلت بُنيان العلم القديم والحديث، بحيث أبّدت الثقة العمياء في أنساقه المغلقة وجعلت فروعه ومعارفه أشبه بجزر معرفية معزولة ومشتتة فيما بينها. كان لمجموع هذه العوامل والمؤثرات كاملة كلّ الفضل في نشأة العلوم المسماة إنسانية – علم الاجتماع / علم النفس/ الأنثروبولوجيا- التي تركت بصمة عميقة وبالغة الأثر على طرق التفكير والفهم والتفسير عند الإنسان، وأعادت بذلك، صياغة رؤية جديدة حول نفسه والعالم والحياة والكون. إن سؤال المنهج لم يكن بمنأى عن ساحة كل هذه التغيرات، بل قد لا نخطئ التقدير إن ذهبت للقول أنه كان المحرّك الرئيسي الذي قاد لغة العلم ومفاهيمه وأدواته المنهجية من لغة السكون والثبات إلى لغة جديدة متحركة ومتمرّدة ترفض الجمود وتنشد التغيير المستمر؛ لغة منهجية تغيّرت معها بشكل جذري أساليب وطرق بناء المعرفة داخل الانساق والنظريات العلمية، فانتقلت بموجب ذلك معها كلّ مجالات العلم والمعرفة الإنسانية من المقاربة الأحادية المنهج إلى المقاربة ذات التعدّدية المنهجية وهو الأمر الذي دفع ببعض الباحثين الذين اهتموا بتوصيف التغيّر الذي شهده تاريخ العلم بكونه ثورة في المنهج والرؤية التي يقوم عليها قبل أن يكون انقلاباً في المعارف والحقائق. فكيف ساعد هذا المنعطف المنهجي الجديد في ترسيخ الدعوة وبناء القناعة التي تهدف إلى مدّ جسور التواصل والحوار؛ لا القطيعة والحدود بين التخصّصات

[1]- السيّد نفادي، اتجاهات جديدة في فلسفة العلم، عالم الفكر المجلد الخامس والعشرون – العدد الثاني - أكتوبر/ ديسمبر 1996،ص 89.

العلمية؟ ذلك ما سنتعرف عليه بشكل تدريجي في المحاور اللاحقة، من هذا المنطلق سأبدأ في بسط الحديث عن هذا الموضوع من إثارة النقطة التالية:

1 - السياق الابستمولوجي لتطوّر المناهج التقليدية:

لقد تبيّن، كما سبقت الإشارة لذلك في التمهيد، أن الهزات العنيفة التي مسّت أساس العلم لم تكن بسبب عوامل خارجية خالصة عنه، بل كانت ناتجة حتماً عن مصدر داخلي مرتبط بطبيعة المنهج الذي يعتمده كل تخصص علمي في تنظيم وبناء معارفه. ذلك أن استعمال وتوظيف المفهومين: العلم / المنهج أصبح يتمّ على سبيل الترادف والتلازم المستمر بينها؛ إذا لا يمكن الحديث عن علم ما بدون منهج يبنيه، لا يمكن الكلام عن منهج دون علم يحميه. فما الذي جعل المنهج يتمتع بكلّ هذه المصداقية؟ وكيف تمّ حدث الانتقال من المنهج الأحادي إلى التعدّدية المنهجية؟

شكل عصر النهضة لحظة مفصلية في ظهور أولى المحاولات التي قام بها "راموس" (1515 / 1572) من أجل تحديد منهج دقيق في العلوم غير أنّ محاولته لم تحمل معها تمييزاً بين المنهج الذي يجب اعتماده في مجال الأدب والبلاغة و بين المنهج الذي يمكن توظيفه في ميادين العلوم[1]. نتج عن غياب هذا التمييز ظهور الخطوة الحاسمة التي ستعمل على التأسيس الفعلي لمفهوم المنهج بمعناه العلمي المتعارف عليه بين الباحثين إلى حدود اليوم مع مطلع القرن 17م، حيث قام رواد المنهج التجريبي خلال هذه المرحلة وعلى رأسهم "فرنسيس بيكون" بتحديد أربع خطوات أساسية للمنهج يتم بواسطتها تنظيم المعطيات التجريبية في المختبر بغرض الوصول إلى نتائج ومعارف علمية مضبوطة أساسها التجربة. وهذه الخطوات هي: الملاحظة – صياغة الفرضية – اختبار الفرضية (اصطناع التجربة) – استنتاج القانون. ويعدّ مبدأ التحقق التجريبي في نظر هؤلاء أساس كل معرفة علمية و ما لا يخضع للتجربة فهو خارج عن نطاق و مجال العلم و منه اعتمدت النزعة التجريبية الحديثة على

[1] - بدوي عبد الرحمان، مناهج البحث العلمي، الناشر، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977 ص 4.

مبدأ الصرامة، أو لنقل مبدأ التعصّب المنهجي للتجربة؛ في هذا الخصوص نجد "آلان شالمرز" يوضح ما يلي: " وقد كان "فرنسيس بيكون" أحد الأوائل الذين حاولوا تحديد منهج العلم الحديث ووضع أسسه الأولى. وقد أكّد في مطلع القرن السابع عشر أنّ العلم يسعى إلى تحسين مصير الانسان فوق الأرض، وهو هدف يمكن بلوغه بجمع عدد من الوقائع عن طريق ملاحظة منهجية تتولد عنها نظريات ومنذ ذلك الحين عرفت نظرية بيكون تعديلات وتحسينات على يد البعض، كما عرفت معارضة جذرية من طرف البعض الآخر...[1].

في الاتجاه الآخر، مجّد مؤسس المنهج العقلاني "روني ديكارت" وأعطى الصلاحية المطلقة للعقل ودوره في تحصيل المعرفة، واعتبرته المصدر الوحيد لبلوغ الحقائق اليقينية عن طريق مختلف القدرات العقلية من شك و استدلال و برهنة، أمام هذا النقاش الإبستمولوجي المحمل بالأسئلة المثقلة بهاجس البحث عن أي المناهج يمتلك الأفضلية لحماية المعرفة العلمية من المتطفلين عليها، حتّمت ظروف العصر الحديث ضرورة بناء تصوّر جديد لمفهوم "المنهج العلمي" أفرزته طبيعة السجال العلمي الذي دار بشكل دائم بين أنصار النزعتين العقلانية والتجريبية. يصوّر المفكر المغربي "محمد عابد الجابري" مستوى الجدل الذي جمع بين الفريقين حول فعالية المنهج الذي يجب الاعتماد عليه قائلاً:" العقليون (أي الذين تبنوا المنهج العقلاني) يرون أنّ في العقل مبادئ سابقة على التجربة، بواسطتها يستطيع اكتساب المعرفة عن العالم الخارجي، بل هو يفرض عليه مبادئه وقوانينه والمعرفة العقلية في نظرهم، وحدها المعرفة الحقّة لأنّها تتصف بثلاث خصال أساسية هي أنّها معرفة مطلقة وضرورية وكلّية....أما التجريبيون (أنصار المنهج التجريبي) فهم يرفضون وجهة نظر العقليين تماماً ويعارضوها بشدّة. إنّهم ينطلقون من مبدأ أساسي وهو أن جميع أنواع التي لدينا مستقاة من الحسّ والتجربة، وأنّه ليس ثمة في العقل إلاّ ما

[1] - آلان شالمرز، نظريات العلم، ترجمة الحسين سبحان وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى1991، ص 11.

تمدّه به المعطيات الحسية. ولذلك فجميع معارفنا يمكن أن تحلّل – في نظرهم – إلى مدركات بسيطة مستمدة من التجربة [1].

عموما توضح المعطيات السابقة أن تأصيل الحوار بخصوص تبرير الأساس المنهجي الذي يجب أن يقوم عليه العلم قد ساهم في بناء الاستقلالية المنهجية للتخصص العلمي الواحد حيث أصبح السعي الدؤوب بين أهل المنتمين إلى هذا التخصّص أو ذاك منصبا حول البحث عن أفضل الوسائل والتقنيات التي تقوّم اعوجاج منهج ما أو تعدّل قوامه حتّى يستقيم قوامه بالصورة المثلى التي تخدم أغراض وأهداف البحث العلمي فأصبحنا أمام عدّة منهجية متنوّعة مثل: المنهج التاريخي، المنهج المقارن، المنهج التحليلي، المنهج الوصفي، المنهج الاجتماعي، المنهج النفسي... الشيء الذي جعل من إمكانية الحديث عن تخصص قائم الذات يهتم بتدقيق تفاصيل النقاش حول المناهج مسألة لا غنى عنها في تتبع وملاحقة أهمّ المستجدات والتغيّرات التي أصبح يعرفها هذا المجال.

يقدّم الأستاذ "فؤاد زكرياء" توصيفا دقيقا للروح العلمية التي طبعت التطوّر والانتقال المنهجي لعلم العصر الحديث من خلال النص التالي: " تضافرت عوامل متعدّدة أدّت إلى الانتقال بأوروبا من أسلوب التفكّك السائد في العصور الوسطى إلى أسلوب التفكير العلمي الحديث، وكان بعض هذه العوامل داخلياً، يتعلّق ببناء المجتمع الأوربي ذاته، وبعضه الاخر خارجياً، كالتأثير الإيجابي الذي مارسته الحضارة الإسلامية على العقل الأوروبي... ومن الأمور التي تسترعي انتباه الباحث في هذه الفترة أنّ المفهوم الحديث للعلم لم يتشكّل على أيدي العلماء وحدهم، بل لقد أسهم فيه الفلاسفة بدور عظيم الأهمية. ولعلّ القول بأنّ الفلسفة مرآة للعصر، لا يصدق على أي فترة بقدر ما يصدق على هذا العصر الأوّل من عصور العلم الأوروبي الحديث؛ إذ كانت لفلاسفة ذلك العصر رؤية واضحة تمام الوضوح لمتطلّبات العلم، وكانت

[1] - محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، دراسات ونصوص في الابستمولوجيا المعاصرة، الجزء الأوّل تطوّر الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، مطبعة دار النشر المغربية، ص 165 – 166.

بصيرتهم النفاذة تدرك ما يحتاج إليه العقل البشري من مناهج للبحث وطرق للتفكير حتى ينتقل إلى عصر جديد[1].

2- نشأة علم المناهج:

كانت أزمة ما أطلق عليه العلماء أزمة المنطق الأرسطي وأزمة اليقين في الرياضيات (ظهور الهندسات اللاأقليدية) من بين العوامل الأساسية التي ساهمت في نشوء هذا العلم فكيف حدث ذلك؟

اعتبر "أرسطو" أنّ المنطق أداة العلوم ، وآلة تساعد على ضبط استدلالاتها واستنباطاتها بطريقة منطقية، لكن سرعان ما كشفت عدداً من البحوث عن عقم تلك الآلة وعدم فعاليتها في البحث العلمي، فظهر فلاسفة وعلماء يسعون إلى البحث عن مناهج فعالة تساعد على الكشف العلمي، ولا تجعل الباحث يدور في الحلقة المفرغة التي يُوقِع فيها القياس الصوري الأرسطي، فتبلور مع الدراسات النقدية المنهجية والمنطقية التي تمت على يد العرب (فلاسفة وعلماء، وفقهاء) من جهة، والدراسات النقدية التي تمّت مع عصر النهضة الأوربية - على يد "ديكارت" و"فرنسيس بيكون" من جهة ثانية، والتي استمرت في التطوّر والنضوج إلى حدود المنتصف الثاني من القرن 19، تبلور مع تلك الدراسات ما سمي ب "مناهج العلوم" " Methodologie" فما المقصود بهذا المصطلح؟

أ. المعنى الاشتقاقي لمصطلح ميتودولوجية

يرجع مصطلح Methodologie في أصله الاشتقاقي إلى ثلاثة كلمات يونانية وهي: "Meta" بمعنى "Vers" أي "اتجاه" أو "إلى" و"Hodos" بمعنى "Chemain" أي "طريق" أو " نهْج" أو "سبيل" وتركيبهما "Methodos" ويعني "Poursuite" أو "Rechercher" بمعنى "تابع" و "بحث" و "نقّب عن" والكلمة الثالثة هي: Logos وتعني " علم "، وهذ المعنى الاشتقاقي لمصطلح "ميتودولوجية" نجده متضمّناً كذلك في المعنى

[1] - فؤاد زكرياء، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة العدد501 ديسمبر2022(طبعة جديدة ومنقحة) ص135.

الاشتقاقي للمصطلح الذي يقابله في العربية "علم المناهج" و"مناهج العلوم"، "مناهج" (جمع منهج) مشتقة من فعل نهج بمعنى سلك ، وسار، واتبع، ومنها " منهج" وهو اسم مكان من فعل نَهَجَ ويعني الطريق أو النهج أو السبيل [1].

ب. المعنى الاصطلاحي لمصطلح ميتودولوجية

يحدّد "علم المناهج" بكونه المبحث الذي يهتم بالمناهج المختلفة التي يتبعها كلّ عالم حسب اختصاصه من أجل الوصول إلى تفسير وفهم الظواهر التي يدرسها. والمنهج العلمي هو " جملة من العمليات العقلية والخطوات العملية، التي يقوم بها العالم من بداية بحثه حتّى نهايته من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها، وتختلف تلك الخطوات العقلية من علم لآخر، ذلك أنّ لكلّ علم – حسب التصوّر الكلاسيكي لمناهج العلوم – منهاجه حسب طبيعة الموضوع الذي يدرسه. فالعالم الرياضي الذي يتعامل في براهينه ومحاكماته العقلية مع رموز وعلامات رياضية ملزم باتباع منهج خاص به هو "الاستدلال الرياضي" القائم على احترام قوانين منطقية، بينما العالم الفيزيائي أو الكميائي الذي يتعامل مع ظواهر ملموسة وذات طابع حسي (كالطاقة، والحرارة، والضوء، والكهرباء، والسرعة، والعناصر الكيماوية، والأحماض...) مضطر إلى اتباع منهج يختلف في خطواته العقلية والعملية عن البرهان الرياضي القائم على أساس الاستنباط العقلي، فالمنهج الذي يتبعه العالم التجريبي يقوم على أساس "الاستقراء التجريبي" والملاحظة والتجريب والسعي إلى صياغة قوانين تضبط الحتمية [2].

ما كاد العصر الحديث أن يشرف على نهايته حتى أصبح تمييز المعرفة العلمية عن غيرها من المعارف الأخرى يقوم على أساس الكشف عن طبيعة المنهج الذي تمّ استخدامه لأجل بناء تلك المعارف، ومنه صارت كلمة الفصل الأخيرة للتطبيقات

[1] - الفكر الإسلامي والفلسفة، من دون مؤلف/ مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى 1979، ص 297.

[2] - المرجع نفسه ص 298.

المنهجية في تحديد ما له صلة انتماء لمجال العلم وكلّ ما يبتعد عن مجاله. فإذا كان المنهج في أبسط تحديد له يرتبط بمجموع الإجراءات والخطوات التي يعتمدها الباحث لمعالجة ظاهرة ما أو دراستها بغية الكشف عن القوانين المتحكمة فيها. فإنّ أهميته تنبع من الوظيفة التاريخية في الإجابة عن الأسئلة العالقة وتطوير المعرفة العلمية والكشف عن موضع الزيف والخلل الفكري وبالتالي فمن اللازم لأي منهج يتمّ استخدامه في الدراسة أن يخضع لمجموعة من الاعتبارات يأتي في مقدّمتها استحضار التخصص العلمي ثم موضوع البحث وطبيعته ونوعية الأسئلة والأهداف التي يسعى من خلالها للوصول إلى إجابة عنها[1].

ساهم احترام طبيعة التخصص العلمي في تحصين قلاع البحث العلمي من تسرّب الارتجالية والعشوائية داخل الممارسة العلمية وهذا شكل الأرضية الأولى لتأسيس ما أطلق عليه الباحثون "علم المناهج". فما مهمّة هذا العلم؟ وكيف كانت ظروف نشأته؟

يذهب "عبد الرحمان بدوي" إلى تحديد هذا العلم بكونه: "العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة" وتدين كلمة Méthodologie باستعمالها الأوّل للفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" حينما قسّم المنطق إلى قسمين: مذهب المبادئ، وموضوعه شروط المعرفة الصحيحة، وعلم المناهج الذي يحدّد الشكل العام لكلّ علم، والطريقة التي بها تكوّن أي علم كان[2].

أمّا " محمد عابد الجابري" فحدّد مهمته كما يلي: " علم المناهج هو العلم الذي يدرس المناهج العلمية المختلفة باختلاف الموضوعات المدروسة، بمعنى أنّ المهتم ب " الميتودولوجية" يحاول تحديد الخطوات العقلية التي يتبعها الرياضي في براهينه واستدلالاته كانطلاقه من " تعريفات" و " بديهيات" و " مسلّمات" لينتهي إلى استنباط

[1] - أسئلة المنهج، مؤلف جماعي، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، دولة قطر، 2021، ص 20.

[2] - بدوي عبد الرحمان، مناهج البحث العلمي، الناشر، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977 ص 7.

حقائق رياضية تلزم لزوما منطقياً عن تلك المنطلقات، أو يهتم الميتودولوجي بتحديد الخطوات التي يمرّ بها العالم التجريبي في مختبره كالانطلاق من "الملاحظة" وصياغة " الفرضية " و "التجريب" عليها والانتهاء إلى صياغة "قانون" [1].

نلاحظ أنّ تكوين هذا العلم قد جاء كاستجابة للبحث في المناهج التي يتبعها العلماء في أبحاثهم من أجل الوصول إلى الحقيقة كلٌّ في ميدان تخصصه، إلاّ أنه بمجرّد ما أن تحدّدت مهمة هذا العلم بهذه الصفة حتى قامت مشكلة مصاحبة لها تتعلّق حول من يمتلك أحقية القيام بمهمة مثل هذه أي البحث في المناهج التي يتبعها العلماء، هل العالم؟ أم الفيلسوف؟

قام "كلود برنار" في كتابه " مدخل لدراسة الطبّ التجريبي" بمحاولة الإجابة عن هذا السؤال كما يلي: " أنّ العالم المتخصص المغلق عليه في ميدان محدود لا يستطيع أن يتبيّن الروابط الجامعة بين الميادين المختلفة للعلم، مع أنّ العلوم تتشابك في مناهجها بالضرورة، نظراً إلى وحدة العقل الإنساني، إلى حدّ كبير على الأقلّ. فلا بدّ إذن من أن يأتي شخص غير متخصص في علم واحد بالذات، ويحاول، باستقرائه للمناهج التي اتبعها العلماء المختلفون في ميادينهم المختلفة، أن يستخلص النماذج العامة للمناهج العلمية وأن ينحو نحو شيء من التعميم حتى يضع صورة إجمالية عامة للمناهج التي يتبعها العقل الإنساني في تحصيله للحقيقة في العلوم[2].

تكشف إجابة " برنار" أعلاه، عن تضمنّها لثلاثة لأفكار في غاية الأهمية أوّلها: أن العالم المنعزل في التخصص الواحد لا يمتلك المؤهلات الكافية ولنقل الكفاءة العلمية التي تسمح له بالبحث في مناهج علوم أخرى لا علاقة بتخصصه وبعيدة عنه وحتى إن تحدّث في هذا الجانب سيكون كلامه مجرّد تطاول لا فائدة ترجى من ورائه، لأنّ هناك روابط مشتركة بين مجالات العلم المختلفة لا يستطيع تبيّنها، ومفاد هذا

[1]- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم الجزء الأوّل تطوّر الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، مطبعة دار النشر المغربية، ص 20.

[2]- المرجع نفسه ص 10.

القول أن لنزعة التخصص المغلق على ذاتها مساوئ تحجب الرؤية الحقيقية للأشياء من زوايا مختلفة.

ثانيها: إقراره الأهم بتشابك العلوم فيما بينها على المستوى المنهجي وأن هناك وحدة رابطة تؤلفها وأنّ قضية الفرقة المنهجية بين العلوم هي صنيعة منظومة الفكر الذي يعجز عن تقبّل الاختلاف والتنوّع داخله، وتلك هي أحد العلامات الأساسية لأزمة الفكر على حدّ تعبير "إدغار موران" يقول: "هكذا، يظهر أن إصلاح الفكر ونقد الفكر الأعمى هو المهمة الاستعجالية للفكر، يعني إصلاح الفكر إبداع أنطولوجيا / إبستيمولوجيا / منهج / منطق جديد تكون مهمته الجوهرية، ليس إغلاق العالم داخل جواهر وحقائق تقدّم كجواهر وحقائق طبيعية، بعدما يتم حجب جذورها التاريخية ومقدماتها المعرفية وأصولها الوجودية ورهاناتها الأنثروبوسياسية..."[1]. يبدو واضحاً إذن أن أزمة العيوب والنقائص التي ظلت تسكن الفكر الغربي ومادته المعرفية المشكّلة له، هي التي جعلته يستعجل مهمة توجيه النقد له والدعوة لإصلاحه.

ثالثها: التأكيد على ربط كفاءة وأهلية الشخص الذي يقوم بمثل هذه المهمة من خلال جمعه بين عدّة تخصصات علمية وليس تخصص واحد وهذا اعتراف ضمني بمحدودية التخصص الواحد ودعوة صريحة لانفتاح التخصصات على بعضها البعض.

يمكن القول أنّ هذه الاعتبارات بقدر ما لعبت دوراً أساسياً في تحصين وصيانة البحث العلمي من منزلقات التشويه والتضليل المعرفي، لذلك ظلّ العلماء حريصين كلّ الحرص على ضرورة احترامها والالتزام الحرفي بتطبيق قواعدها حتى جعلوا من مؤشراً أساسياً يدّل على أصالة العلمي ومصداقيته ومقياساً لعناصر

[1]- إدغار موران " الفكر والمستقبل" مدخل للفكر المركب، ترجمة: أحمد القصوار ومنير الحجوجي/ دار توبقال للنشر، ص 7.

قوّته أو ضعفه. هي نفسها التي ساهمت كذلك في تحويل الممارسة المنهجية داخل عدّة تخصصات علمية إلى عقيدة جامدة لا حياة ولا روح مجدّدة فيها تبعث على الابداع المنهجي.

3- ميلاد العلوم الإنسانية

عرفت نهاية وبداية القرنين الماضيين ظهور أحداث معرفية بارزة؛ كان لها عميق الأثر على تغيير صورة الفهم لدى الانسان لذاته وللحياة والوجود، انطلق الحدث الأوّل مع نشوء العلوم المسماة إنسانية فتغيرت معه صورة فهم الإنسان لذاته وما يرتبط بطرق هذا الفهم من رؤية للحياة والوجود. الحدث الثاني كان في مجال الفيزياء وتمثل في ظهور ثلاث نظريات كبرى هي: نظرية النسبية الخاصة والعامة "لآلبرت انشتاين"، والنظرية الموجية لـ "ماكسويل*" وفارادي"، ثمّ النظرية الكوانطية* مع "ماكس بلانك"، والذي بفضله تغيّرت بشكل كلّي صورة الانسان للواقع والوجود، والحدث الأخير كان نشوء " العلوم المعرفية" مع بداية خمسينيات ومنتصف ستينيات القرن الماضي والذي معه تمّ إعادة ترتيب الحدود والأوراق وصياغة مفاهيم جديدة داخل العديد من الحقول العلمية إلى الدرجة التي تمّ وصف

---

* جيمس كلارك ماكسويل (1831 - 1879) James Clerk Maxwell زميل الجمعية الملكية لإدنبرة وزميل الجمعية الملكية، (13 يونيو 1831-5 نوفمبر 1879) كان عالم رياضيات وعالمًا اسكتلنديًا مسؤولًا عن النظرية الكلاسيكية للموجة الكهرومغناطيسية التي تصف الكهرباء والمغناطيسية والضوء على أنها تجليات مختلفة لنفس الظاهرة لأول مرة. أُطلق على معادلات ماكسويل للكهرومغناطيسية لقب «التوحيد العظيم الثاني في الفيزياء»، إذ وضع إسحاق نيوتن معادلة التوحيد الأولى، مع نشر عمل «نظرية ديناميكية للمجال الكهرومغناطيسي» في عام 1865، أوضح ماكسويل أن المجالات الكهربائية والمغناطيسية تنتقل عبر الفراغ على شكل موجات تتحرك بسرعة الضوء. اقترح أن الضوء هو تموج في نفس الوسط المسبب للظواهر الكهربائية والمغناطيسية .أدى توحيد الظواهر الضوئية والكهربائية إلى توقعه لوجود موجات الراديو. يعتبر ماكسويل أيضًا مؤسسًا في المجال الحديث للهندسة الكهربائية.

* شهد عام 1900، ظهور اكتشاف "ماكس بلانك" للكمّ (الكوانتم)، وكان هذا الاكتشاف أوضح الأمثلة تعبيرا عن التغيّر الجذري الذي طرأ على مستوى فهم الواقع الفزيائي في القرن 20، فتبعاً لهذه النظرية تتألّف الطاقة من وحدات أوّلية، هي "الكمّات quanta" وحيثما تنبعث الطاقة أو تُستقبل، ينقل كوانتم واحد أو اثنان أو مائة كوانتم، ولكن لا يكون هناك أبداً جزء أو كسر من الكوانتم، فالكوانتم هو ذرة الطاقة، ولكن مع ملاحظة أ، حجم هذه الذرّة، إي كمية وحدة الطاقة، تتوقف على طول موجة الإشعاع الذي يُنقل به الكوانتم، فكلّما كان طول الموجة أقصر، كان الكوانتم أكبر.

الخلخلة التي أحدثتها في النواة الداخلية للكثير التخصصات العلمية بالثورة المعرفية. سأحصر كلامي هنا عن التداعيات التي تركها الحدث الأوّل، على أن يتمّ الإشارة إلى مخلّفات باقي الحدثين في ثنايا الحديث اللاحق.

يقصد بالعلوم الإنسانية تلك العلوم التي تختص بدراسة تصرّفات الناس وسلوكهم أفراداً كانوا أو جماعات، فهي علوم تبحث في كلّ ما يتصل بالإنسان وتقابل العلوم الطبيعية[1].

يقول "جان دفينيو*" في معرض حديثه عن نشأة العلوم الإنسانية: " ليست فكرة علم الإنسان فكرة بسيطة. إذ لم يكن من البديهي أن يحاول الناس إقامة "قوانين" للسلوك الفردي، ولا قوانين تفسّر علاقات العمل، وأشكال التضامن أو الحكم، والعلاقات الجنسية، وصور الموت أو صور العالم... كان لا بدّ للوصول إلى ذلك، من مسار طويل عبر القرون. وذلك لأنّ الفلاسفة أو "المفكرين" قد حاولوا، منذ القديم، البحث على وجه الخصوص عن "أفضل" أشكال التنظيم الاجتماعي أو السياسي. وكانت هذه الأشكال تلائم الفكرة التي يكوّنونها عمّا ينبغي أن تكون عليه ظروف الناس، دون الانشغال بواقع التجربة، كما هي في الواقع الحي.

لكن هل يستطيع الانسان أن يتساءل حول وجوده، إذا لم يتساءل أوّلاً عمّا فعل عملياً في العالم؟ وإذا لم يندهش تجاه مشروعية القوى أو الأحداث التي تقع له، والتي يبدو أحياناً أنّه مرد له؟[10].

[1]- المعجم الفلسفي، من دون مؤلف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1983، ص 127.

* أستاذ علم الاجتماع جامعة تور(Tours) بفرنسا ورئيس شعبة علم اجتماع المعرفة فيها. من مؤلفاته: "شيبيكا" (غاليمار1968) وسوسيولوجيا المسرح (المطبوعات الجامعية الفرنسية1956) و"هبة لا شيء" (ستوك1978) و"لعبة اللعبة" (بالان1980).

[10]- إدغار موران، لوي ألتوسير، بيير بورديو.. إشكاليات الفكر المعاصر، ترجمة، محمد سبيلا، سلسلة ضفاف منشورات الزمن، الطبعة الأولى 2009، ص 125.

يبدو واضحاً أنّ فكرة معرفة الإنسان كما هو منغمس في حياته اليومية واقعياً، وليس كما كانت تصوّره التصوّرات التي سبقت تأسيس علوم الانسان قد تمّ استنباتها بشكل تدريجي إلى جانب الحقول العلمية الأخرى.

يقف "جان دوفينيو" عند الصور الثلاث التي ساعدت على تهييئ ما يسمى "المجال الإبستمولوجي" للعلوم الإنسانية ويقصد بذلك " مجموع المناهج وأنماط التفكير التي يمكن بواسطتها الحصول على معرفة بالحياة اليومية، الجماعية أو الفردية، في استقلاليتها وديناميتها الخاصين [11].

تنبثق الصورة الأولى من رحم القرن 16 عندما انفصل الأوربيون عن ماضيهم الخاص وطرحوا سؤال ما هو الإنسان؟ وكانت هذه الفكرة التي سيطرت على فكر ذلك القرن هي الإطار العام الذي يُشَكَّلُ فيه العالم الجديد للإنسان. لذلك ظلّت أصداء ذاك السؤال تتردّد بشكل أو بآخر في كتابات وأفكار كبار المفكرين أمثال: مونتين، إيرازم، مكيافيلي، موتيسكيو...[12].

تبزغ الصورة الثانية بشكل دقيق مع كتابات "روسو" وبعض معاصريه خلال القرن18 عندما ارتسمت في الأفق ملامح صورة أخرى للإنسان، إذ لم يعدّ التساؤل الذي يطرح نفسه من ليس هو: من أنا؟ ومن أكون؟ بل يُحْسَنْ أَنْ نعرف كيف شكّل الانسان العالم الذي يعيش فيه بنفسه وبواسطة قدراته الخاصة؛ كيف حدث أنّ مجموعة بشرية، أو عشيرة، أو فرداً أو أميراً قد نسب لنفسه الحق في تنظيم حياة الكلّ؟ من الذي أعطاه هذه السلطة؟ غير سلبية أولئك الذين وضعوا بين يديه المُشْتَهِيَيْن للسُلْطة حريتهم المشتركة، أي حقّاً سابقاً على كلّ تاريخ (طبيعي) في تسيير شؤونهم الخاصة بهم؟ وهنا تتشكل صورة جديدة للإنسان، صورة قائمة على التضامن الفعلي بين أفراد مجموعة بشرية، وعلى حق كلّ مجموعة في أن تُعْطي

[11] - إدغار موران، لوي ألتوسير، بيير بورديو.. إشكاليات الفكر المعاصر، ص 126.

[12] - المرجع نفسه ص 127.

لحياتها شكلاً. هكذا تتعارض أشكال التنظيم الاجتماعي التي تَستمدّ فعاليتها من الحق والمشروعية عن التنظيمات التقليدية التي كانت تعتمد على قوّة السلاح وحق العنف [13].

في الصورة الثالثة والأخيرة: فرضت أسطورة "النحن" نفسها بقوّة مكان أسطورة " النفس " : النحن؛ الجماعة، المجموعة البشرية بتوتّراتها وبيقينياتها الحادّة والانفعالية وأمجادها التاريخية والاجتماعية، نحن الانتفاضة الجماهيرية لسنة 1792. نحن تاريخ الأمة ل "فيخته" ونحن المنتجون للتاريخ والبناء الاجتماعي والثروة لـ "سان سيمون" و "ماركس"[14].

يوضّح "جان دوفينيو" هذه الصورة قائلاً: "ليس هناك مجتمع تغيّر من الداخل بواسطة ديناميته الخاصة فأن تؤدي حركة مستقلة ومعبّرة عن القوّة الجماعية إلى طفرة عميقة في النظام القائم، وتُحْدِثُ انقلاباً في الأعراف والعادات التقليدية. فهذا ما ولّد تحوّلاً عميقاً في الفكر وتصوّراً جديداً للإنسان، الذي أصبح منذ ذلك الوقت محكوماً بقدرته على صنع " تاريخه " وبهذا المعنى أمكن القول بأنّ علوم الانسان وليدة الثورة [15].

تولّدت انطلاقاً من هذه الصور الثلاث السالفة الذكر، ثلاثة أفكار قوّية استطاعت أن توجه البحث في اتجاهات مختلفة، ومتناقضة أحياناً. ترتبط إحدى هذه الأفكار بالدينامية الداخلية للحياة الاجتماعية، وبهذه القدرة على تغيير النظام القائم للعالم من أجل تشكيل عالم جديد، وهذه الدينامية ليست غريبة عن الوعي الذي اكْتُسِبَ آنَذَاك بالتاريخ؛ أي بمعرفة قادرة على تفسير تلاحق الأحداث الإنسانية، بل بالعثور على منطق عقلي فيها [16].

---

[13] - إدغار موران، لوي ألتوسير، بيير بورديو.. إشكاليات الفكر المعاصر، ص 128.

[14] - المرجع نفسه ص 129.

[15] - المرجع نفسه ص 130.

[16] - المرجع نفسه ص 131.

تمخضت عن الفكرة السابقة فكرة قوّية أخرى قادت الناس نحو التساؤل عن مدى صلاحية المؤسسات وعن جدواها، ووظيفتها، وهنا تمّ اكتشاف الميدان الواسع والخصب للتحليل السوسيولوجي. فيما وجّهت " الفكرة الثالثة " اهتمام التفكير في اتجاه التساؤل حول صلاحية وصدق بعض " الوقائع الاجتماعية " التي تعتبر صفاتها مُتجذّرة في واقع إنساني لا تعدّله التغيّرات الخاصة أبداً [17].

أثناء تتبعه للمسار التاريخي والإبستمولوجي الذي أثمر ولادة العلوم الإنسانية يؤكد "دوفينيو" على الاستقلالية الذاتية لهذه العلوم بالقول: "هكذا أخذت تتحدّد بالتدريج فكرة علم مستقل للإنسان الفردي والجماعي، علم، يَسْتَمَدُّ من التجربة وحدها، المعطيات التي يحاول تشكيلها في " قوانين " أي في قضايا توحي بانتظام قابل للقياس أحياناً [18].

وينهي ختام تحليله بالتصريح أن جميع هذه العلوم يبقى لها ترابط وتداخل كبير فيما بينها لا يمكن إنكاره أو نفي طبيعته عبر النص التالي: "كلّ هذه العلوم تحاول اليوم، منذ حوالي ثلاثين سنة، أن تتلاقى، وأن تتمازج، وراء التخصصات المختلفة والتقوقع البيروقراطي للجامعات. فميدان التاريخ وميدان علم الاجتماع أو الأنثروبولوجيا تتمازج غالباً فيه الدراسات المنصبة على المواقف الجماعية والذهنيات والدوافع. وميدان علم النفس وميدان علم الاجتماع يمتزجان غالباً وبصورة حميمية بميدان الإثنولوجيا. وكلّ شيء يجري كما لو أنّه تتشكل، تحت أنظارنا، أنثروبولوجيا بالمعنى الواسع للكلمة؛ أي نوع من المعرفة المنفتحة على تجربة هي من التنوّع بقدر ما هي غير محدودة [19].

[17] - المرجع نفسه ص 132.

[18] - المرجع نفسه ص 130.

[19] - المرجع نفسه ص 137.

أ. الموضوعية وتفجير النقاش حول صلاحية المناهج

لم تكن ولادة العلوم الإنسانية ولادة طبيعية، كما سبق التفصيل في ذلك، هكذا وجدت العلوم الإنسانية نفسها منذ لحظات ميلادها الأولى في وضعية ابستمولوجية حرجة ومقلقة تمركز صلب النقاش فيها حول مسألتين أساسيتين هما: طبيعة وخصوصية الظواهر التي تدرسها هذه العلوم، ثمّ نوع المنهج المناسب لدراسة تلك الظاهرة بهدف التحكّم في خواصها وتقديم نتائج مضبوطة بشأنها. فالظاهرة الإنسانية كما نعلم تبقى من صنع وإنتاج الانسان وهذا الأخير هو نفسه الذي يقوم بالبحث في الأسباب الكامنة وراءها، وهذا معناه أن الظاهرة المدروسة غير مستقلة تمام الاستقلال عن وعي الباحث وخلفياته الفكرية وحوامله الثقافية، فهل بالإمكان أن يتحقق الحياد والتجرّد الكافي في معالجته لها دون أن يقع في الإسقاطات أو التعميمات الذاتية بخصوصها وفي مثل هذا الوضع نصبح أمام

مشكل الخلط بين الذات (الباحث) والموضوع (الظاهرة المدروسة)؟ على عكس الظاهرة الطبيعية التي تقدّم نفسها بشكل مستقل عن الباحث الذي يسعى لاكتشاف القوانين المتحكمة فيها، وبالتالي يتحقق فيها شرط الانفصال بين الذات والموضوع. إذا على خلفية هذا التمييز الدقيق ظهر النقاش الإبستيمولوجي المرتبط بمطلب الموضوعية في دراسة الظواهر الإنسانية. فما المقصود بهذا المفهوم؟

يقصد بالموضوعية التزام الباحث بمعايير وشروط الحياد والنزاهة والشفافية والدّقة أثناء انكبابه على مواكبته وتتبعه لظاهرة إنسانية ما بالتحليل والدراسة بهدف الكشف عن خواصها ومميّزاتها وتقديم نتائج بشأنها ترقى إلى المواصفات التي يشدّد عليها البحث العلمي في صرامته المنهجية والعلمية وإلاّ فقدت تلك النتائج قيمتها ومصداقيتها لتصبح مجرّد تخمينات شخصية حول الظاهرة المدروسة.

والملاحظ أنّ هذه الشروط مرتبطة بذاتية الباحث وترمي بطريقة ما إلى ضرورة تخليق مواصفات وشروط البحث داخل هذه العلوم. لقد ساهم النقاش بخصوص

الموضوعية في انقسام الرؤى بين أهل الاختصاص في هذه العلوم إلى فريقين تجنّد كل واحد منهم للدفاع عن موقفه باعتماد الوسائل المنهجية والمعرفية التي يراها مناسبة لذلك، فبالنسبة للذين يستعملون مصطلح " العلوم الإنسانية" أو " علوم الروح" أو " الدراسات الإنسانية " يؤكدون على إمكانية دراسة الإنسان، سواء على مستوى سيكولوجي أو سوسيولوجي أو تاريخي دراسة علمية، وأنّه بالإمكان التوصل إلى حقائق وقوانين موضوعية كما هو الحال في العلوم الطبيعية وذلك عن طريق تطبيق المنهج التجريبي. ويمثل هذا الموقف في علم النفس المدرسة السلوكية وعلى رأسها "جون واطسون "، وفي السوسيولوجيا نجد " المدرسة الوضعية الفرنسية" مع "أوغست كونت" و "إميل دوركايم" التي تدعو إلى معاملة ودراسة الظواهر الاجتماعية كـ "شيء" لضمان شرط الموضوعية، وفي ميدان التاريخ نلقى "المدرسة الوثائقية" مع " لانغلوا" و"سينيوبوس" مثلا، ترى إمكان تطبيق نفس المنهج في التاريخ. يعتبر كلّ هؤلاء أنّ الحقائق التي يتوصل إليها العلماء في ميدان الظواهر الإنسانية تستحق أن تسمى علماً؛ خاصة إذا التزم العالم الحياد [20].

وعلى عكس من أنصار التيار السابق ذكره، نجد من يستعمل مصطلحاً آخر يفصح عن تصوّر خاص للظواهر الإنسانية، باعتبارها لا ترقى إلى مستوى الدراسة العلمية المعهودة في العلوم الوضعية، وكمثال عن ذلك "المدرسة الألمانية" التي تستعمل عادة مصطلح "العلوم المعنوية" أو "العلوم الروحية"، حيث يميّز "وليام دلتاي" ومعه أتباع المدرسة الفينومينولوجية مثل "ماكس شيلر"بين المادة والروح؛ ففي المادة كموضوع للعلوم الطبيعية يمكن تطبيق منهج يقوم على الملاحظة والتجربة، ونستطيع الوصول إلى قوانين دقيقة لأنّ "المادة" تخضع إلى حتمية طبيعية، ومن تمّ تكون لأحكامنا صبغة موضوعية. بينما الظواهر الإنسانية كفعالية روحية تتميّز عن "المادة" بتواجد الوعي وتَدّخُل الإرادة الشيء الذي يجعل من الصعب معالجتها بالطرق التجريبية، ومن ثمّ، علينا أن "نفهمها" لا أن نفسّرها ويرجع هذا

[20]- الفكر الإسلامي والفلسفة، من دون مؤلف/ مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى 1979، ص 388.

التمييز في أساسه إلى " كانط " الذي فرّق بين عالمين: (عالم الضرورة) وهو الطبيعة / و(عالم الحرية) وهو الإنسان [21].

إذا كانت المدرسة الإنسانية ترى صعوبة تطبيق المناهج الوضعية على الظواهر الإنسانية دون أن تحط من قيمة المعرفة التي تحصل عليها بتطبيق طرق أخرى ملائمة، فإنّ هناك من يستعمل مصطلح "إنسانيات" أو " الدراسات الإنسانية " بحجة أنّ الظواهر الإنسانية لا يمكن نهائياً التوصل فيها إلى حقائق موضوعية، ويهدف هؤلاء مثل " كارل بوبر " إلى الحطّ والتنقيص من قيمة المعرفة المحصل عليها في مجال " الانسانيات " لكونها مفعمة بالمفاهيم الميتافيزيقية ويطغى عليها الطابع التأملي الفلسفي، ونفس الحذر والتشكيك نجده لدى أنصار المدرسة الوضعية المنطقية المعاصرة مثل: "أودلف كارناب" و " هانز رايشنباخ" [22].

يختتم "محمد عابد الجابري" كلامه بخصوص مشكل الموضوعية قائلا: "بالنسبة لمشكل الموضوعية، حقيقة أن الظواهر الإنسانية من الصعب التوصل فيها إلى حقائق موضوعية صارمة، وذلك لتأثير ذات الباحث في الظاهرة المدروسة أو تأثره هو بها الشيء الذي يؤثر على نتائج البحث ومدى موضوعيته. إلاّ أنّه مع ذلك، إذا ما تجاوزنا المفهوم الكلاسيكي للموضوعية، وأخذنا بعين الاعتبار التطوّرات التي عرفتها الفيزياء الذرية في هذا المجال...فإنّنا نستطيع فهم الإنجازات التي حقّقتها العلوم الإنسانية، مثل الدراسات التي أُقيمت على الذكاء في علاقته بكلّ من الوراثة والبيئة الاجتماعية، حيث استطاع العلماء أن يضبطوا قوانينهم في معادلات رياضية ورسوم بيانية تحدّد الذكاء المتوسط والضعيف والمتفوّق. كذلك الأمر بالنسبة لظاهرة التعلّم أو الإدراك، فمن الصعب اليوم إنكار القيمة العلمية للأبحاث الإنسانية في هذا المجال، حيث استطاع العلماء تحديد شروط التعلّم العضوية

[21] - الفكر الإسلامي والفلسفة، ص 389.

[22] - نفسه.

والسيكولوجية والسوسيولوجية والعقلية. كما استطاعوا التمييز بين العوامل الموضوعية والعوامل الذاتية في الادراك والتذكر...[23].

ب. الفهم والتفسير ومسألة النموذجية

إنّ الحادثة التي يدرسها التاريخ ليست ظاهرة شبيهة بالظواهر الأخرى. إنّها حادثة ماضية لا يمكن ملاحظتها مباشرة كما أنّها حادثة فريدة لا تتكرّر؛ لأنّ الزمن الذي حدثت فيه لا يعود من جديد، والإطار الاجتماعي الذي اكتنفها لا يبقى هو نفسه [24]، انطلاقا من هذه الملاحظات الأولية حول خصوصية الظاهرة الإنسانية نتساءل: إلى أي مدى يمكن بناء نظرية تفسيرية داخل العلوم الإنسانية كالتي نجدها في الفيزياء مثلاً؟ وما هي الصعوبات التي تحول دون ذلك حيث تقف عائقاً دون الوصول إلى صياغة نظرية عامة موحدّة للعلوم الإنسانية؟

يرى العالم الألماني "ماكس بلانك" أنّ: "كلّ عملية الفكر العلمي، جهد مستمر لنزع كلّ العناصر الانثروبولوجية وإقصائها؛ أي علينا أن ننسى الانسان لندرس الطبيعة، ولنستكشف القوانين الطبيعية ونصوغها"، فهل بالإمكان التحرّر من العناصر الأنثروبولوجية أثناء دراستنا للظواهر الإنسانية حتى نحقق ملاحظة موضوعية؟ وهل نستطيع أن ننسى الانسان عند دراستنا للإنسان؟ وهل نستطيع أن نصوغ قوانين يمكن الاتفاق عليها كما يتفق علماء الطبيعة في دراستهم لموضوعاتهم؟

بالنظر إلى ما تتمتع به الظاهرة الإنسانية حركية وتغيّر مستمرين في الزمان والمكان وهذا ما يجعلها ظاهرة نسبية وليست مطلقة إلى جانب اختفائها وانفلاتها من قبضة الوعي بين لحظة وأخرى، كلّ هذه الخصائص تعطيها بعداً معقّدا، ويقصد بالتعقيد هنا؛ ما يدخل في تركيبه أكثر من عامل أو عنصر في تحديد طبيعته بمعنى

[23] - الفكر الإسلامي والفلسفة، ص 435.

[24] - جمال الدين بوقلي حسن، قضايا فلسفية، المؤسسة الوطنية للكتاب / الجزائر، الطبعة الرابعة1986.ص 486.

أنّ الظاهرة الإنسانية ليست بسيطة، فالتعقيد لا يمكن معه فصل أو تمييز المتغيرات البسيطة إحداها عن الأخرى. وهذا التعقيد يطرح صعوبات حقيقية في وجه تعليل الظاهرة وتحديد العوامل التي تتحكم في مسارها، وهذا التشابك والتداخل في كل ظاهرة إنسانية يجعل من " الحادثة " الفيزيائية بعلاقتها الرياضية مقارنة معها مثل لعبة أطفال...[25]. فما هو المنهج المناسب الذي يمتلك القدرة على دراسة هذه الظاهرة دون أن يؤدي به الأمر إلى أن يتخلى عن كلّ هذه الخصوصيات ودون أن يعمل على عزلها وتشويه مكوّناتها الأساسية؟ وهل هي ظاهرة تتطلّب الفهم أم التفسير؟

رغم ما تتميّز به الظاهرة الإنسانية من خصوصية وتفرّد خاصين بها، تحمّس أولئك الذين اقتنعوا بالنجاح الباهر الذي حققته العلوم الطبيعية منذ نشأتها في الوصول إلى حقائق دقيقة وقوانين تضبط العلاقات الموجودة بين الظواهر في مجال " الفيزياء" "الكمياء"، فكان أن راود المهتمين بالظواهر الإنسانية حلم تطبيق نموذج الطرق الوضعية في الميدان الإنساني يستطيعون عن طريقه بناء نموذج تفسيري يضاهي ذلك استطاعت أن تبنيه العلوم الطبيعة، وحتّى إن كان ذلك الحلم سبيلاً لتحقيق النجاح الذي تأمله، فإنّه كما يرى البعض ينزل بهذه العلوم إلى وضع فقدان الاستقلالية المنهجية أمام العلوم الأخرى وبالتالي اتهامها التشكيك في مصداقيتها بناء على هذه الهشاشة المنهجية. ذهب في هذا الاتجاه " فولهام ديلتاي " فكان في طليعة الرواد الذين استشعروا بالعمق الحقيقي الذي ظلت تتخبط فيه العلوم الإنسانية عندما عزا مشكلة تخلّفها الرئيسية مقارنة بالعلوم الطبيعية إلى مسألتين: الأولى أن العلوم الإنسانية ما زال ينقصها تصوّر واضح ومتفق عليه عن أهدافها ومناهجها المشتركة والعلاقات فيما بينها، إذا ما قورنت بما هو سائد في العلوم الطبيعية. الثانية، هي أنّ العلوم الطبيعية تزداد منزلتها ومكانتها نموّاً واطراداً بحيث ترسخ في

[25] - الفكر الإسلامي والفلسفة، من دون مؤلف/ مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى 1979، ص 415.

الرأي العام مثلاً أعلى للمعرفة لا يتلاءم مع التقدّم في العلوم الإنسانية[25]. بناء على ذلك تعهّد "دلتاي"بتأسيس العلوم الإنسانية على نموذج منهجي أكثر إحكاماً من الناحية النسقية أساسه "الفهم".

نستطيع القول بناء على ما سبق، أنّ إثارة الوضع الإبتسمولوجي للعلوم الإنسانية بالصورة التي تمّ بسطه أنه بقدر ما شكلّ فرصة حقيقية لهذه العلوم كي تدافع عن استقلاليتها المنهجية. وبالتالي، تثبت خصوصيتها المتميّزة انطلاقاً من طبيعة الظواهر التي تدرسها، بقدر ما مثّل من جهة أخرى منعطفاً تاريخي في ميدان الفكر المنهجي تبلورت معه رؤية أساسية تنطلق من اعتبار المناهج ليس غاية في ذاتها، كما ترسّخ الاعتقاد لزمن طويل وإنما يبقى كلّ منهج مجرّد وسيلة يوظفها الباحث للوصول للأهداف والنتائج التي يسعى إليها، وفي هذه الرؤية تحرير للمنهج من سلطة النمطية والاتباع نحو أفق الاجتهاد والإبداع.

4. دور المقاربة العبر مناهجية في إغناء الحوار بين التخصصات

جدير بالذكر، أنّ أي نقاش حول سياق ظهور المقاربة عبر مناهجية هو حديث لا يستبعد بالمرة نوع الترابطات الموجودة بين حقب تاريخية معينة من مراحل تاريخ العلم والمعرفة وكذلك أوجه التداخل وجوانب التقاطع بين حقول معرفية في علاقتها بحقول أخرى. وهذا يعني أن التطرّق لمعالجة موضوع من هذا الصنف هو بالدرجة الأولى محاولة تروم أن تتحدّث بشكل ضمني عن تطوّر المناهج حتّى وإن جاء ذلك على سبيل الاختصار، وعليه فكل مناولة لهذا السياق لن يكتب لها السلامة والتكامل المنهجي السليم ما لم تضع نصب أعينها هذا المعطى الأساسي وهو أنه ما كان بالإمكان أن يكتب لهذه المقاربة الجديدة الظهور لو لم تصل المناهجية التقليدية إلى

[25]- يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلّها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 ص 35.

الأفق المسدود أو لنقل مستوى الأزمة. فما الذي نعنيه بهذه المقاربة؟ وما المضمون الذي تقوم عليه؟

يقع الاتفاق بين الباحثين الذين اهتموا بالبحث عن الخلفية التاريخية التي كانت وراء ولادة هذه المقاربة عبر مناهجية وخروجها إلى حيّز الوجود، فيُقرّون أنّها مقاربة حديثة العهد مقارنة مع المناهج التقليدية، وأنّ تاريخ بداية ظهور أولى الأفكار المنظرّة لها يعود إلى فترة السبعينات من القرن الماضي، يكتب أحد المنظّرين الكبار الذين ساهموا بشكل كبير في التأسيس الفعلي لهذه المقاربة عبر الدفاع المستمر عن توجهها الفكري والابستمولوجي وهو "بَاسَرَابْ نيكولسكي" الذي قام بصياغة البيان الذي أعلن ميثاقها التأسيسي، ما يلي: "لعَبْر مناهجية مقاربة حديثة العهد نسبياً، ظهرت، بعد سبعة قرون من المناهجية التقليدية، على يد الفيلسوف السويسري، وعالم النفس جون بياجيه (1896- 1980). ظهر المصطلح، أوّلاً، في فرنسا، عام 1970، خلال محاضرات جون بياجيه، وإريش يانتش Erich Jantsch، وأندريه ليشنيروفيتز André Lichnerowicz، ضمن ورشة العمل الدولية التي عُقِدت آنذاك تحت عنوان: "البين مناهجية، إشكاليات البحث والتعليم في الجامعات"، وبدعوة من منظمّة التعاون الاقتصادي والتنمية، بالتعاون مع وزارة التعليم الوطني في فرنسا، وجامعة نيس[26].

غير أن ظهور مفهوم العبر مناهجية في سياق الدراسات العلمية والأكاديمية ما كان له أن يتمّ بالبساطة المعهودة، دون أن يصاحبه ذلك الجدل الواسع الذي أثار زوبعة كبيرة من ردود الفعل المتباينة حتّى بين أولئك الذين أعلنوا اتفاقهم المبدئي حول قبولهم بالمرجعية النظرية والفكرية التي ينطلق منها هذا التصوّر الجديد لطبيعة المعرفة العلمية والقضايا الإشكالية المرتبطة بها، ولا سيما أن دعوة "جون بياجي" إلى تكسير الحدود الثابتة بين التخصصات أثناء تحديده لمفهوم العبر

[26]- باسراب نيكولسكي، العبر مناهجية كإطار لتجاوز جدال الدين والعلم، ترجمة، هادي قبيسي، المحجّة: العدد 23/ صيف – خريف/ 2011، ص، 145-146.

مناهجية، قد ترك المجال مفتوحاً أمام عدد لا نهائي من الاجتهادات والتأويلات شبيهة بالفوضى الخلاقة، هذا إلى جانب إذا ما تمّ الأخذ بعين الاعتبار مسألة أخرى وهي أن اللحظات الأولى لبداية استعمال اصطلاح العبر مناهجية وانتشاره بين الأوساط العلمية والفكرية قد تمّ توظيفه على سبيل الترادف مع مفاهيم أخرى مجاورة له مثل: بين مناهجية، تعدّد مناهجية، ما بعد المناهج، وهذا ما يفسر طبيعة اللبس الذي ارتبط به منذ نشأته الأولى، بسبب أخذه بمرادفات لكلمة "عبْر" باللغة اللاتينية ولم يأخذ بالمرادف "مابعد"، ولأجل تفادي مكمن أي سوء فهم ممكن يستدعي الأمر ضرورة تحديد تلك المفاهيم حتّى تتبيّن طبيعة العلاقة التي تجمع بينها وبين مفهوم العبر مناهجية. فما هي أوجه الصلة التي تربط هذه الزمرة المفاهيمية؟

أ. المفاهيم المجاورة لمفهوم عبر مناهجية

رفعاً لكلّ لُبس، وتجنّباً لأي سوء فهم قد ينتج عنهما استعمال لهذه المفاهيم في غير محلّها أو السياق الذي من المفترض أن توظّف فيه، لا بأس أن نقدّم في هذا السياق التحديد الذي يقدّمه لها "باسراب نيكولسكي" كما هو:

- **التعدّدية المناهجية Pluridisciplinaire:** تشغل نفسها بدراسة موضوع بحثي دون حصره من خلال منهج واحد، بل من خلال عدّة مناهج في وقت واحد. سوف يتمّ إغناء أي موضوع بحثي، بشكل وافر، من خلال دمج المنظورات المتعدّدة للمناهج [27].

وتتميّز التعدّدية المناهجية عن العبر مناهجية حسبه بأنّها تقدّم إضافة إلى المنهج محلّ البحث. لكن تلك الاضافة هي دوماً في خدمة المنهج الأساسي. بلغة أخرى، التعدّدية المناهجية تتخطى حدود المناهج، لكن هدفها يظلّ في نطاق البحث المنهجي التقليدي.

[27]- باسراب نيكولسكي، العبر مناهجية كإطار لتجاوز جدال الدين والعلم، ترجمة، هادي قبيسي، المحجّة: العدد 23/ صيف – خريف/ 2011، ص 150.

- **المابين مناهجية Interdisciplinaire:** تحمل المابين مناهجية هدفاً مغايراً للتعدّدية المناهجية، حيث تهتمّ بنقل الطرائق العلمية من منهج إلى آخر، وتُماثل التعدّدية المناهجية في تجاوزها للمناهج، لكن هدفها يظلّ محصوراً في البحث المنهجي التقليدي، فضلاً عن كونها تمتاز بقدرتها على استحداث مناهج جديدة[28].

- **ما بعد المناهج:** تركزّ هذه الرؤية عن محدودية المعرفة المنهجية من داخل العلوم الدقيقة (الفيزياء مثلاً). كما تهتمّ كذلك بالنقطة الحساسة التي توجه منظور نظرية المعرفة داخل المناهجية التقليدية في رؤيتها للاستقلال التام الذي يجمع الذات في علاقتها بالموضوع المدرك، وترفض هذا الفصل الذي تبرّره أوهام المخيّلة عن طريق إخفائه تحت غطاء النزعة العلموية، ولهذا فهي ترفض أن يكون موت الذات هو الثمن الذي يجب دفعه من أجل موضوعية المعرفة وعليه يحيل مفهوم "ما بعد المناهج" كما يدافع عنه "نيكولسكي" إلى التداخل والترابط الجوهري بين الذات والموضوع حيث يقود هذا المفهوم، المعرفة نحو حدود مفتوحة وجديدة (الانفصال ≠ الاتصال)[29].

- **العبر مناهجية Transdisciplinaire:** تمتاز باهتمامها بالمنطقة المسمّاة ب " ما بين المناهج"، وكذلك بالمساحة التي تتخطى المناهج، وأيضاً بمساحة خاصة هي ما بعد كلّ المناهج. فهدفها هو فهم العالم بشكل واقعي، وأحد أهمّ طموحاتها هو توحيد المعرفة، فهي لا تعارض ولا تناقض بين مناهجية التقليدية بل يوجد تكامل خصب بينهما[30].

تُموقع العبر مناهجية نفسها في صلب القضايا العلمية والفكرية وفي معترك التطوّرات الهائلة التي شهدها القرن العشرين ولا سيما أعظم ثورتين عرفهما هما: الثورة الكوانطية والثورة المعلوماتية. غيّرت الأولى رؤيتنا للعالم تغييراً جذرياً اختفت

[28] - باسراب نيكولسكي، العبر مناهجية كإطار لتجاوز جدال الدين والعلم، ص 150.

[29] - المرجع نفسه ص 149.

[30] - المرجع نفسه ص 151.

معه صورة العالم القديم من الأذهان إلى الأبد، ولا زال يقودها نخبة من العلماء الطليعيين، أما الثانية فبقدر ما قدّمت للإنسان فرص العيش الجميلة بصورة أفضل و أطول، تفضي تقاسم ومشاركة الخيرات والمنافع والخبرات بين البشر أجمعين، ممّا هيّأ كلّ الظرفية المناسبة لكي نحيى ونواجه نفس المصير الكوكبي المشترك، بقدر ما ينذرنا صوتها الخفي باحتمالية وقوع الخطر الوشيك في كلّ لحظة وآن، وتصاعد مدّ الفقر والكوارث والأضرار الناجمة عنه والأمراض الفتاكة المحدقة بالكائن البشري[31].

استطاعت المقاربة العبر مناهجية في خضم التحدّيات السابقة أن تجعل من نفسها رؤية منهجية جديدة للعالم تحمل مجموعة من الخصائص والمميزات التي تنفرد بها مقارنة مع المناهجية التقليدية.

وبما أنّها رؤية جديدة لعالم فهي تقف من جهة عند حدود العجز التي وصل إليها الفكر الكلاسيكي لإيجاد حلول مناسبة للأزمة الكوكبية المدمرة التي تسبب فيها المتمثلة إما في الدعوة إلى ثورة اجتماعية، وإمّا العودة إلى عصر ذهبي مفقود، وكلا الحلول التي قُدمت ظلّت دون أية فعالية تذكر. لذلك تقترح العبر مناهجية الحلّ الثالث الذي هو: الأخذ بالتناغم الانسجام والتوافق والتوليف والربط والحوار بين العقلي والفكري بين العقليات. فكيف ذلك؟

أمام عجز اللغة المناهجية التقليدية عن تأسيس أرضية حوار بنّاء ومثمر تحت ذريعة نزعة التخصص المغلق، جاءت العبر مناهجية كمقاربة مستجدة لسدّ الفراغ الحاصل في هذا الجانب؛ بمعنى أنّها تبحث في صيغة ما لإيجاد صلات الربط بين نتائج المناهج المختلفة بدل الفصل والعزل الذي كان يمارس من قبل[32].

[31]- باسراب نيكولسكي، العبر مناهجية بيان، تقديم، أدونيس، ترجمة، ديمتري أفيرينوس، دار مكتبة إيزيس، الطبعة الأولى2000، ص 13.

[32]- المرجع نفسه ص 53.

فرضت طبيعة التحدّيات التي يعرفها العصر، ولا سيما الأخلاقي منها عدّة متطلّبات جديدة مرتبطة بوجود كفاءات وخبرات مجموعة من المختصين في مجالات متعدّدة، وبناء على ذلك اقتضت الحاجة ضرورة بروز رؤية تعمل على الربط بين المناهج المختلفة، تُرجمت بظهور تعدّدية المناهج والبينماهجية أواسط القرن الماضي. يوضح " باسراب نيكولسكي" قائلاً:" تختص تعدّدية المناهج بدراسة عدّة مناهج في آن واحد لموضوع واحد يتعلّق بالمنهج الواحد نفسه. فعلى سبيل المثال، يمكن دراسة لوحة لجيوتو من منظور تاريخ الفنّ متقاطعاً مع منظورات الفيزياء والكيمياء وتاريخ الأديان وتاريخ أوربا والهندسة. أو يمكن دراسة الفلسفة الماركسية من منظور الفلسفة متقاطعاً مع الفيزياء والاقتصاد والتحليل النفسي أو الأدب. وبذلك يخرج الموضوع أغنى بتقاطع عدّة مناهج. فتتعمّق معرفة الموضوع في المنهج المختص به بما يقدّمه من مقترب متعدّد المناهج خصب. البحث المتعدّد المناهج يقدّم شيئاً أكثر للمنهج المعني (تاريخ الفنّ أو الفلسفة في المثال)، لكن هذا الأكثر يكون في خدمة هذا المنهج عينه حصراً[33].

بناء على هذه المعطيات، تُنصِّب العبر مناهجية نفسها كرؤية جديدة مفتوحة ومنفتحة على العالم لا تمتلكها الرغبة الجامحة في الإقصاء، ولا في طيّ تعدّد مكوناته الغنية ضمن أطر فكرية وبنيات ذهنية جامدة كما فعلت النزعة العلموية مع العلم الحديث. إنها بهذا المعنى تعبير عن المشروع الحضاري والفكري والعلمي الذي ينهض به القرن العشرين على امتداد جميع مستوياته وتقاطعاته المختلفة وبشتى تعقيداته وروافده المغذية لاستمراريته ووجوده. هكذا تصبح العبر مناهجية مدوّنة فكرية وخبرة معيشة تميّزها ثلاثة سمات أساسية هي : الصرامة والمرونة والانفتاح لا يمكن أن يتمّ الفصل فيما بينها، إذ أنّ الخوف من الانزلاق نحو التطرّف بسبب "الصرّامة" الزائدة، نستطيع أن نقابله بالانفتاح، كما أن الانفتاح المفرط قد يؤدي إلى التساهل والتسامح المطلق، نقابله المرونة كوسيط ضروري لإعادة التوازن بين الطرفين،

[33] - باسراب نيكولسكي، العبر مناهجية كإطار لتجاوز جدال الدين والعلم، ص 54.

الصرّامة/ الانفتاح. طبقاً لهذا التسلسل العبر مناهجي نجد أنفسنا أمام ثلاث مستويات للواقع تتبادل التأثر والتأثير المتبادل بين مراتب مكوّناته لا مجال لاستغناء أحدهما عن الآخر، ومنه تصبح المقاربة العبر مناهجية منظومة قائمة الذات تستمدّ قوّتها من الأدلة الواقعية التي تؤكدها وليس من المفاهيم المتعلّقة بالجدالات الفكرية العابرة.

خاتمة

بعد قطعنا كل هذه المحطات من التحليل بغرض استقراء مختلف الشروط والعوامل الفكرية والمعرفية الداخلية المؤسسة لبنية العلم في تفاعلها المستمر مع الدينامية والحركية المناهجية التي زعزعت في كلّ حقبة تاريخية من حقب تطوره، الخريطة الفكرية والبناء النظري للعلم عبر الصور المنهجية المتجدّدة التي كان يرسمها لنفسه خلال كل مرحلة حتى ينهض ليجدّد طاقته المعرفية وحتى يكشف أنه لم يقل كلمته الأخيرة ذات يوم، ما دامت روح المنهج تسكنه وتحرّكه من الداخل. ألم يقمّ "ديكارت" بثورة حقيقة في العلم وانقلاب جديد في عقول الأجيال اللاحقة بواسطة "المنهج"؟

لائحة المصادر والمراجع

المعاجم:

- المعجم الفلسفي، من دون مؤلف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1983.

الكتب:

- إدغار موران " الفكر والمستقبل" مدخل للفكر المركب، ترجمة: أحمد القصوار ومنير الحجوجي/ دار توبقال للنشر.
- إدغار موران، لوي ألتوسير، بيير بورديو.. إشكاليات الفكر المعاصر، ترجمة، محمد سبيلا، سلسلة ضفاف منشورات الزمن، الطبعة الأولى 2009.
- مؤلف جماعي، أسئلة المنهج، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، دولة قطر، 2021.
- آلان شالمرز، نظريات العلم، ترجمة الحسين سبحان وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى،1991.
- باسراب نيكولسكي، العبر مناهجية بيان، تقديم، أدونيس، ترجمة، ديمتري أفييرينوس، دار مكتبة إيزيس، الطبعة الأولى2000.
- باسراب نيكولسكي، العبر مناهجية كإطار لتجاوز جدال الدين والعلم، ترجمة، هادي قبيسي، المحجّة: العدد 23/ صيف – خريف/ 2011.
- بدوي عبد الرحمان، مناهج البحث العلمي، الناشر، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977.
- جمال الدين بوقلي حسن، قضايا فلسفية، المؤسسة الوطنية للكتاب / الجزائر، الطبعة الرابعة1986.
- السيّد نفادي، اتجاهات جديدة في فلسفة العلم، عالم الفكر المجلد الخامس والعشرون – العدد الثاني - أكتوبر/ ديسمبر 1996.

- الفكر الإسلامي والفلسفة، من دون مؤلف/ مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى 1979.
- الفكر الإسلامي والفلسفة، من دون مؤلف/ مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى 1979.
- فؤاد زكرياء، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة العدد501 ديسمبر2022.
- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم الجزء الأوّل تطوّر الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، مطبعة دار النشر المغربية.
- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، دراسات ونصوص في الابستمولوجيا المعاصرة، الجزء الأوّل تطوّر الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، مطبعة دار النشر المغربية.
- يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلّها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

الأثر الاجتماعي والثقافي للهجرة والتهريب على المجتمع الناظوري

عند الأنثروبولوجي الأمريكي دافيد ماكموراي (DAVID McMurray)

سعيد بلقاسمي
باحث في سلك الدكتوراه
تخصص سوسيولوجيا الهجرات
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الأول بوجدة

ملخص:

أصبحت ظاهرة الهجرة حقيقة مجتمعية واقعية، وجب على البحث الأكاديمي تقبلها كظاهرة اجتماعية، وإعادة التفكير فيها من خلال رؤية جديدة مغايرة، تعمل على إدخال ميل جديد للتفكير، يتمثل في ربط الهجرة بمتغيرات اجتماعية أخرى: المكانة الاجتماعية، التثاقف، الهوية، وتتمثل الغاية من هذا المقال في الإجابة عن سؤال: ماهي الأثار المترتبة على المجتمع الذي يعيش بالتهريب وأجور المهاجرين؟ والوقوف على أثر فعل الهجرة عن الحركية الاجتماعية داخل السلم الاجتماعي بالمجتمع الناظوري.

كلمات مفتاحية: الهجرة، الأثر الاجتماعي والثقافي، المكانة الاجتماعية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
بلقاسمي، سعيد. (2024، يوليوز). الأثر الاجتماعي والثقافي للهجرة والتهريب على المجتمع الناظوري عند الأنثروبولوجي الأمريكي دافيد ماكموراي (DAVID McMurray). مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 157-183.

Abstract:

The immigration phenomena becomes a real social truth. The academic, research must accept it as social phenomena and rethink it differently through viewing it from a new different perspective. It should bring something new particularly associating immigrating with other social variables such as: the social status, acculturation and identity. The purpose of this article is to answer the following question: What are the impacts of the implications of a society that lives by smuggling and immigrant wages? It also tackles the impact of immigration on the social mobility within the social hierarchy in the Nadorian society.

Keywords : the immigration, the social and cultural impact, the social status.

مقدمة

يتناول الأنثروبولوجي الأمريكي **ديفيد مكاموري (DAVID McMurray)** في كتابه:" **داخل وخارج المغرب-التهريب والهجرة في منطقة بومتاون الحدودية**[1]"، ذلك الأثر الاجتماعي والثقافي للأنشطة الاقتصادية المزدوجة للتهريب والهجرة على المجتمع الناظوري في الثمانينات من القرن الماضي، إذ يهدف في هذه المناولة الأنثروبولوجية للهجرة والتهريب إلى تحليل هذا الأثر من خلال إجابته عن مجموعة من الأسئلة: ما الدافع إلى هجرة جزء كبير من سكان الناظور إلى اوروبا؟ وما هي الآثار المترتبة على المجتمع الذي يعيش بأجور المهاجرين والتي تنفق بشكل أساسي على البضائع المهربة؟ وذلك عبر استخدامه للرسوم التخطيطية للسير الذاتية وأنواع اخرى من السرد، تسمح بتلمس الطريقة التي أدخلت بها الهجرة والتهريب في الحياة اليومية لسكان الناظور.

ثم حاول كذلك أن يقدم بعض الإحساس بالطريقة التي تفاعل بها أولئك الذين غادروا والذين بقوا، وملامسة الكيفية التي صنع بها المهاجرون نوعا من الحنين والرؤية الرومانسية لوطنهم أثناء تواجدهم في أوروبا. هذا الحنين الذي ساعد في الحفاظ عليهم أثناء تواجدهم في الخارج من جهة، ووضعهم على خلاف مع عائلاتهم والمقيمين في الوطن الذين لم يغادروا أبدا، من جهة أخرى، بحيث أدت الثروة الجديدة التي تم العثور عليها، والتي تتمتع بها أسر المهاجرين في الناظور إلى زيادة التوتر مع جيرانهم غير المهاجرين، وهذا ما دفع الباحث DAVID McMurray إلى تسليط الضوء على الفروق المادية، أو ما يخص المكانة الاجتماعية، والكيفية التي ظهرت الصور المتنافسة للهجرة في مجال الموسيقى الشعبية، وفي نهاية هذا الكتاب يقدم DAVID الطريقة التي وضعت بها الهجرة والتهريب سكان الناظور في

[1] الاسم الأصلي للكتاب:

David McMurray, In and Out of Morocco -Smuggling and Migration in a Frontier Boomtown, University of Minnesota Press, Minneapolis — London, 2001.

العالم وفي التاريخ المعاصر، إذ وجد الشباب الريفي الذي يقل عمرهم عن ثلاثين سنة أنهم لا يستطيعون تقديم معلومات عن نسبهم أو سلالتهم (THARIFIGHT)، كما لا يستطيع الكثير منهم أن يقدم معلومات كافية عن معركة أنوال الشهيرة التي وقعت في مجالهم الجغرافي وصدمت العالم في زمن أجدادهم، مع ذلك يمكن للكثير منهم التحدث بإسهاب حول فضائل ومخاطر الزواج من أوروبا، وعرف الكثير منهم تكلفة استئجار شقة في (أوسلو) او إجراء مكالمة هاتفية إلى فراكفورت، عرفوا ألحان أغاني (بوب مارليBOB Marley) وحبكات المسلسلات المصرية، كما عرفوا كيف يكتشفون ساعة اليد المزيفة وذات العلامات التجارية، ويمكن أيضا أن يقتبسوا أسعار الصرف لعملات أوروبا الغربية، وكل هذا ساعد الأنثروبولوجي DAVID McMurray في استكشافه عن كثب التأثير الناجم عن التدفق الحر للأجساد والأفكار والسلع من وإلى المنطقة.

كتب هذا البحث باللغة الأم للباحث وهي اللغة الإنجليزية، أما من حيث بنيته يتألف من سبعة فصول وهي كالتالي: كذبة اللأرض يتناول فيه (تأثير الهجرة والتهريب على الحياة الحضرية عبر الجهاز السردي للجولة الإرشادية)، العمل في الخارج والحلم بالمنزل (قصة حدو)، مهاجرون بيادق ومهاجرون رواد، أثر الهجرة على التمايزات في الوضع أو في الفروق والمكانة، الموسيقى والهجرة والشتات الناظوري، مهربي الناظور ومسرح الحدود، أثار العولمة على الثقافة المغربية المعاصرة.

يعمل الباحث عبر مسار هذه الفصول على دعوة القارئ والباحثين إلى التفكير بشكل نقدي في أهم الإشكالات والتحديات التي تطرحها الهجرة والتهريب باعتبارهما ظاهرتين اجتماعيتين في علاقتهما بالمجال والمجتمع والتأثير فيهما. وعناوين هذه الفصول عمل على طرحها في سؤال إشكالي عريض ينظم مسار هذا الكتاب: ماهي الأثار المترتبة على المجتمع الذي يعيش بالتهريب وأجور المهاجرين؟

لمقاربة هذا السؤال، لم يدفع الكاتب إلى النزول للميدان مباشرة، بل انطلق من تراث نظري حول منطقة الريف، ومن أدبيات عدة:

موسوعة ديفيد هارت (David Hart's):"ايت واريغار الريف المغربي Aith Waryaghar of the Moroccan Rif 1976"، رايموند بوسارد (Raymond Bossard's): "الحركات المهاجرة في الريف الشرقي- Mouvements migratoires dans le Rif Oriental 1978 "، لويز لايسوند (Louise Lassonde's): "الهجرة المغربية- L'émigration marocaine 1981"، بشير حمدوش واخرون (Bashir Hamdouch et Als): " هجرة التنمية وهجرة التخلف Migration de développement, migration de sous-développement 1979 "، وأحد أبناء الناظور عالم الاجتماع قيس مرزوق واريشي (Kais Marzouk Ouariachi) "الريف الشرقية- Le Rif oriental 1980"، إضافة إلى هذه الأدبيات شكل استقراره مع زوجته في الناظور عامي 1986 و1987 أساسا لفهم التأثير الدراماتيكي للتهريب والهجرة على الناظور.

1- العمل في الخارج والحلم بالمنزل

يقدم في هذا الفصل موضوع تأثير الهجرة والتهريب على الحياة الحضرية بمدينة الناظور، باعتماده على سرد للنقاش الذي دار بين الباحث وبين القنصل الأمريكي المستقر بمدينة طنجة الذي زاره في مدينة الناظور، وكذا استثماره لقصة أحد المهاجرين (حدو)، الذي حددت أسئلته في: من يهاجر؟ ومن لا يهاجر؟ ما هو تأثير الأجور العائدة إلى الوطن على الأسعار المحلية والصناعة والبناء والزراعة؟ وأهمها التأثير الثقافي للهجرة، على سبيل المثال هناك الكثير من التوتر الخفي في مدينة الناظور بين أسر المهاجرين من البلاد والعائلات الأكبر سنا والأكثر شهرة، إذ يقول:" لا تستخدم العائلات القديمة الهجرة بقدر ما استخدمتها كوسيلة للمضي قدما، فهي تعتمد على علاقاتها وشبكاتها وعادة ما تدبر الأمور هنا باعتماد صنف

السيد ونوع من العلاقة الزبونية بين الافراد. ولكن الثروة الجديدة القادمة ترتبط بالعائلات التي لديها رجال يعملون في الخارج، كل هذا بدأ يزعج نظام الوضع هنا مرة اخرى".[1]

كما جاء في حديثه مع الوكيل القنصلي سردا للمراحل المختلفة من تاريخ الهجرة من الريف، بدءا من كيف كانت هجرة الريف بشكل أساسي إلى الجزائر خلال معظم فترة الحماية الإسبانية، وأصبحت عملية الهجرة أكثر تعقيدا بعد استقلال المغرب عام 1956، وانفتاح أوروبا على الهجرة المغربية في أوائل الستينات إذ "كانت هناك حاجة إلى جوازات السفر، عقود العمل، وفي بعض الأحيان الشهادات الصحية. أصبحت الأمور صعبة حقًا مع توقيف المجتمع الأوروبي للهجرة الداخلية في 1973-1974. لكن المهاجرين استمروا في إيجاد طرق للالتفاف حول الحظر. وقد تمكن العديد منهم من المرور على أساس ثغرات لم شمل الأسرة. وآخرون تجاوزوا فترة تأشيراتهم السياحية ومن ثم أصبحوا منظمين بوساطة أرباب عملهم الجدد. بالعودة إلى المغرب، ارتفعت أسعار الأوراق اللازمة لاستلام جواز السفر وكذلك سعر جواز السفر بشكل مطرد. مع استمرار زيادة عدد العمال المغاربة طوال السبعينيات، ازدادت حدة التحريض داخل المفوضية الأوروبية ووضعت عقبات جديدة في طريق المهاجرين. كما تم تطوير خطط تحفيزية تهدف إلى جذب المغاربة للوطن. أخيرًا، مارست دول الاتحاد الأوروبي ضغوطًا على الرباط لتقييد من خرج. أثبتت هذه الطريقة الأخيرة أنها الأكثر نجاحًا".[2]

وفي خضم هذا الحوار، تطرق الباحث إلى اشكالية بناء المنزل في البلد الأصل الذي بات يراود كل مهاجر، على الرغم من أن بناءه يستغرق عشرين عاما، ويستغله المهاجر شهرا واحدا في السنة، هذا الهوس شكل طفرة هائلة في البناء حدثت بفضل

[1]- David McMurray, In and Out of morocco -Smuggling and Migration in a Frontier Boomtown, University of Minnesota Press, Minneapolis — London, 2001, p5

[2]- Ibid. p.6

الهجرة والأجور التي ينفقها المهاجرون على المنازل في المدينة، " علينا أن نفهم أن لهؤلاء الرجال المهاجرين في أوروبا، أهم شيء في العالم هو بناء منزل جديد لعائلاتهم، إنهم يبخلون ويدخرون كل ما في وسعهم حتى يتمكنوا من البدء في بناء منازلهم الجديدة في الناظور أو في الريف حول الناظور".[1] لكن لسوء الأمر بعد البناء يكون مصير هذا المنزل هو البيع او الاستئجار او الغلق.

قصة حدو The Story of Haddou

كان حدو المهاجر الغائب، قد أمضى معظم سنوات بلوغه في شقق بغرفة واحدة في فرنسا وألمانيا حيث وفر ماله، وانتظر حتى يتمكن من العودة إلى الناظور كل عام والاستمتاع بدفء عائلته ومسكنها " في أواخر الستينات، بحلول عام 1975، كان حدو قد ادخر مرة اخرى ما يكفي لبدء بناء منزل، لم تعد أرضه قائمة على أطراف المدينة. لقد نما الناظور كثيرا في هذه الفترة بسبب نقل المهاجرين لعائلاتهم من الريف إلى المدينة، لدرجة أن حدو بدأ الآن في بناء منزله في أحد أجمل شوارع الناظور[2]."

كان هدف حدو هو إكمال بناء منزله في أقرب وقت ممكن بهدف انتقال أسرته من الريف إلى المدينة لضمان مستقبل أبنائه، من خلال تدريسهم، لأنه نشأ في الريف دون تعليم، ولم يكن أن يحدث ذلك لأبنائه، لهذا ترك زوجته التي توسلت إليه بعدم الهجرة، وكان الاتصال بها يتم عن طريق المهاجرين العائدين للناظور، بتحويل الرسائل والأموال إلى أسرته بالمغرب، وكان خياره الثاني هو ترتيب وقت مكالمة هاتفية من هاتف عمومي، إلى أن جاء أول تغيير في وسائل الاتصال مع انتشار جهاز التسجيل، وخاصة مسجل القرص المضغوط.

[1] David McMurray. Op.cit. p10

[2] David McMurray. Op.cit. p25

وكان أهم ما يشغل حدو وباقي المهاجرين هو بقاء زوجاتهم في المنزل أثناء غيابهم، إذ كان القلق بشأن رفاهية وإخلاص النساء في الوطن يشغل جزءا كبيرا من وقت المهاجر، لهذا كان المهاجر يراقب ويدير أنشطة عائلته بأكملها على بعد آلاف الأميال، إذ حول حدو الهاتف إلى أداة للرقابة.

حاول حدو فرض إرادته على أسرته، إلا أن هذه الأخيرة وجدت طريقا لتخريب سلطته أثناء غيابه، إذ أن زوجته كانت دائما تتقاسم الراتب الشهري المرسل مع والدتها التي كانت تأتي كل أسبوعين من القرية لزيارتها، تبقى لبضعة أيام ثم تعود إلى منزلها مع القليل من المال وبعض الشاي والسكر واللحوم، أما أبناؤه فقد بالغوا في حجم مصاريف مدرستهم وملابسهم بانتظام، في بعض الأحيان كانوا يصرفون الأموال المخصصة للفواتير في المقاهي وعلى أشكال الترفيه الأخرى.

وكان هدف حدو من هجرته هو ألا يضطر أي من أسرته لمغادرة المنزل بقوله: " لقد عملت بجد طوال حياتي حتى لا يضطر أطفالي إلى ذلك، لقد بنيت هذا المنزل حتى نتمكن جميعا من أن نكون معا. لم أرغب أبدا في شيء أكثر من أن أعيش في سن الشيخوخة حول أطفالي وأطفالهم. ألوم نفسي، لم أحضر هنا لتربية الأولاد بشكل جيد، لا يمكنني التعويض في شهر واحد عن أحد عشر شهرا من الغياب. أولادي لا يحترمونني".[1]

من خلال هذه الأحداث التي يرويها تبين أن المهاجر يقبل على فعل الهجرة لتغيير وضعه الاقتصادي، المادي، فبعد الهجرة يحقق المهاجر رأسمالا ماديا، في مقابل ذلك ونظرا لبعده يفقد رأسماله الاجتماعي، أي شبكة معارفه التي أصبحت ضعيفة، ما لا يساعده على دمج أبنائه في مجتمعهم الأصلي على مستوى الوظائف، لأن المنافسة الاجتماعية كانت قوية، ما دفعه إلى أخذ زوجته معه إلى أوروبا والتفكير في تهجير أبنائه كذلك ما وفر له شعورا بالاستقرار في بلد المهجر. وما يقلق حدو

[1] David McMurray. Op.cit. pp 31-32

والمهاجرين هو إعادة الجثة للوطن بعد الموت، لأنه لا يفضل أن يدفن في مقبرة غير إسلامية.

وبالتالي كان الوطن الخيالي للمهاجر أبويا وسلطويا ورعويا، وهكذا فإن الخلافات بين الزوج والزوجة والأب والأطفال حرضت رؤية الوطن الشاعري للرجل المهيمن على رؤية النساء والشباب التابعين. بالنسبة للزوجة والأولاد فإن الحياة التي يتخيلها رب الأسرة المهاجر تحتوي على ازدواجية المواقف لدى أسرته ، على سبيل المثال، عادة ما تحارب النساء الناشطات رغبة المهاجرين الذكور في العيش في الريف، على العكس من ذلك كانت رغبتهن في المنزل والكهرباء والمياه، والحمامات العامة في المدينة، كانت رغبتهن في الانعتاق من سجن الريف او البادية نحو الحرية والمتعة في حياة الفتاة الصغيرة من حضور المدارس المختلطة وإكمال الدراسة، او التسوق في الأسواق الكبيرة الموجودة فقط في المدينة، وهذا كله كان سببا في التوتر الأسري في ريف و ومدينة الناظور. وبه فالهجرة أسهمت في انفتاح المجتمع الناظوري وفي تحرر المرأة نسبيا وتجاوز التعامل التقليدي معها.

2- مهاجرون بيادق ومهاجرون رواد

لم يكن تغلغل الهجرة في الحياة اليومية في الناظور واضحا خلال عقد الثمانينات لم يكن في أي مكان أكثر من ذلك المزيج من القيم والمعتقدات والفطرة السليمة التي ينطوي عليها الحديث عن الهجرة. شاركت جميع الأعمار وكلا الجنسين في التبشير بالأصدقاء والأقارب أو الأعداء والجيران الذين غادروا أو عادوا، وتشعبت المواضيع، من ذهب؟ وأين وكيف وصلوا إلى ما فعلوه ومدى نجاحهم في ذلك. " قدمت بعض القيل والقال معلومات مهمة للشباب الذين كانوا يفكرون في الهجرة. لقد جمعوا الحكايات عن الزيجات في الخارج، على سبيل المثال، وبدأوا في الموازنة بين إيجابيات وسلبيات مثل هذا الترتيب. أو ناقشوا فيما بينهم مزايا العمل والعيش في النرويج مقابل ألمانيا، أو الدراسة في إسبانيا مقابل فرنسا. قد يدور موضوع المحادثة

أيضًا حول كيفية إكمال ملف جواز السفر، بالإضافة إلى مدى سهولة استخدامه في "الأيام الخوالي" في الستينيات".[1]

شكل هذا النقاش الذي أصبح موضوعا اساسيا يناقشه الشباب والعائلات كذلك، شكل حافزا للشباب بمدينة الناظور، من خلاله استطاعوا جمع أكبر قدر من المعلومات حول طرق الهجرة إلى الضفة الأخرى، ثم وثائق ملف الهجرة، وكذا تداولهم لقصص المهاجرين الذين نجحوا في الهجرة والذين فشلوا بسبب القيود أو التدخل المغربي الأوروبي، هذا النقاش العام حول الهجرة الذي أصبح هاجسا ليس فرديا فقط بل اجتماعيا معبرا عن الوجدان الجمعي للمجتمع الناظوري، يحيلنا على مفهوم الضمير الجمعي عند إيميل دوركهايم: " " إن العلائق التعاونية لا تشتمل على مؤيدات أخرى، والحق أن من طبيعة الأعمال الخاصة أن تتملص من تأثير الوجدان الجمعي، ذلك أنه لكي يكون الأمر موضوع اهتمام جمعي، فإن الشرط الأول هو أن يكون ذا صفة عامة، أي يكون ماثلا في كل وجدان، وأن تستطيع كل الوجدانات تصوره من وجهة نظر واحدة،[2] او الذاكرة الجمعية عند تلميذه موريس هالفاكس (Maurice Halbwachs) من خلال كتابه: "المورفولوجيا الاجتماعية: " ما يربط الأفراد هو أنهم جميعًا يشعرون بأنهم أعضاء في نفس المجموعة ، وأنهم يشاركون في الأفكار والمشاعر الخاصة بالكل الذي يجدون أنفسهم فيه، بمجرد دخولهم فعليًا في فئة المهاجرين .وهكذا يمكن للمرء أن يصبح مهاجرًا قبل مغادرته بوقت طويل، بمجرد أن يكون الشخص قد سجل في مكاتب شركات النقل التي تتعامل بشكل خاص مع المهاجرين، وأن المرء قد قام بالاستعدادات، وأن المرء يتخيل مقدمًا رفقاء السفر والمصير."[3]

[1] David McMurray. Op.cit. p 47

[2] إميل دوركهايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة حافظ الجمالي، مجموعة الروائع الإنسانية -الأونسكو السلسلة العربية، بيروت، 1982، ص148

[3] Maurice Halbwachs, Morphologie sociale, Librairie Armand Colin, Paris: publié en 1970. P64-65

كما تطرق الباحث إلى مسألة الشبكات الاجتماعية كوسيلة أساسية في المساعدة على الإقدام على فعل الهجرة،" يتطلب تجميع الوثائق اللازمة لجواز السفر والتأشيرة وجود ثلاثة أشياء أساسية: دعم الأسرة، والعلاقات في أوروبا، ومعرفة شخص ما في السلطة".[1] ، إذ توفر لهم هذه الشبكات وعلى رأسها الأسرة بالخصوص الموارد المادية والروابط الاجتماعية لشراء جواز السفر والتذاكر، إذ كانت تكلفة جواز السفر في الثمانينات تتراوح بين 5000 و7000 درهما، وهي تكلفة بعيدة عن أبناء الفقراء، ما كان يضطرهم إلى الاستعانة بمهرب ومغادرتهم بدون جواز سفر، ما كان يزعج حراس السفن بمدينة مليلية، كما تحايل المهاجر من خلال إقراضه لجواز سفر الأب أو الأخ الأكبر ثم لصق صورته الخاصة عليه والإبحار من خلاله.

وروايات المهاجرين التي قدمها الباحث من خلال تحليل مضمونها كشفت عن مدى مساعدة المناقشات اليومية في إعداد المهاجرين في المستقبل للنجاح. إذ عمل فهم العموم على تشكيل علاقة معينة بالعالم الرسمي للحدود والبيروقراطيين، لقد كانت بمثابة ترسانة ثقافية شعبية للمعرفة التخريبية التي ساعدت على التعامل مع الدولة وعملائها.

هذه الروايات أهم ما يمكن الوقوف عنده فيها هو ما يسمى في ادبيات علم الاجتماع الرأس المال الاجتماعي الذي ساعد هؤلاء المهاجرون، هذا المفهوم الذي ظهر بشكل فعلي في اعمال بيير بورديو (PIERRE Bourdieu) ثم تطور في أعمال جيمس كولمان (JAMES Coleman)، وروبرت بوتنام (ROBERT Putnam)، ورونالد بيرت (RONALD Pert). إذ يعرفه بورديو بأنه: "مجموعة الموارد الممكنة التي تتوافر للشخص بفضل حيازة شبكة من العلاقات الاجتماعية مع أفراد المجتمع، حيث

[1] David McMurray. Op.cit. p 48

تنطوي هذه العلاقات على منظومة من القيم تأتى في مقدمتها مشاعر الاحترام والامتنان والتعاون والثقة المتبادلة".[1]

ومن أهم السير الذاتية التي اعتمدها الباحث نجد قصتي (فتوش وكريم)، فتوش التي كانت موظفة استقبال في مختبر التحليلات الطبية لشقيقها، سافرت إلى بلجيكا وألمانيا لزيارة أعمامها، والتقت برجل مغربي في مقهى بألمانيا طلب منها الزواج، ووافقت على ذلك بداعي" لا يمكنني البقاء هنا في الناظور إلى الأبد، مجرد الاستيقاظ كل صباح والمشي إلى العمل، والسير إلى المنزل بعد العمل، هذه لا حياة علاوة على ذلك، إذا تزوجت شخصا من هناك، يمكنني الحصول على إقامة دائمة في أوروبا"[2]. كان سبب هجرتها هو مكانة أبيها في المدينة الذي كان ضابطا في الجيش، أصله من قبيلة (إبطالسن) قبيلة مستقرة بمدينة الدريوش، لهذا استغل منصبه لبيع جوازات السفر وعقود العمل.

أما كريم كان عمره ثلاثة وعشرين عاما، كان قد درس بعدة جامعات مغربية فاس، الرباط، وجدة، وبدا وحده غير متأكد من اتجاهه، حصل على التأشيرة الإسبانية، لأن القنصل الإسباني متزوج من امرأة من بلدته لها صلة قرابة بعائلته.

محمد من امستردام وعملية احتياله جواز السفر MUHAMMAD FROM AMSTERDAM AND THE PASSPORT SCAM

كان محمد مستقرا مع والده في أمستردام إلا أن أخلاقه بدأت تسوء وقرر أبوه إرجاعه لمدينة الناظور وتسجيله بإحدى المدارس العمومية، غير أن محمد استعار جواز سفر صديق له عائد من هولاندا، وبعد ذلك مباشرة اتجه صوب مدينة وجدة واشترى تذكرة طائرة إلى هولاندا، بمجرد وصوله إلى أمستردام، اتصل ببعض

[1] هانى خميس، رأس المال الاجتماعي، سلسلة مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، مصر، شتنبر 2008، ص8

[2] David McMurray. Op.cit. p 50

المنظمات الهولاندية الصديقة للمهاجرين، التي ساعدته في الاختباء من والده ومن الشرطة الهولاندية لمدة سنتين كاملتين حتى أصبح مستقلا.

قصة رونالد ريجان THE STORY OF RONALD REAGAN

"يفتخر العديد من الرجال والأرامل الفقراء للغاية بمعاشاتهم التقاعدية الصغيرة التي تبعث على الشفقة من الجيش الإسباني من العمل في الجزائر. تحميهم المقابض من أن يُنظر إليهم، على الأقل بأنفسهم، على أنهم فاشلون وأغبياء. والبعض الآخر، بالطبع، لا يضعون مثل هذه القيمة الرمزية في معاش تقاعدي لا قيمة له. وقد عانى غالبية هؤلاء الأشخاص إما من إصابات أثناء العمل وعادوا إلى منازلهم؛ تم خداعهم من المعاشات أو التصاريح أو تعويضات العمال لأنهم وقعوا على وثائق لم يفهموها؛ أو عادوا بعد أن عملوا بجد لوقت قصير جدًا واحتاجوا إلى الراحة، فوجدوا أن الأمر لا يستحق الانفصال عن عائلاتهم".[1]

ومن بين هؤلاء نجد رونالد ريجان، الذي كان يبلغ من العمر سبعين عاما، الذي يشتغل حارسا ليليا في فندق صغير، مقابل القليل من الطعام وبعض السجائر. كان قد سجل في الجيش الإسباني خلال حملات التجنيد المبكرة من المغرب في بداية الحرب الأهلية الإسبانية، أصيب اثناء أحد المعارك، ما جعله غير قادر على القتال أو العمل، لذا أرسلوه إلى المنزل بمعاش تقاعدي زهيد.

قصة (ابن سايد) عامل المنجم البلجيكي THE STORY OF SAID'S COYUSIN, THE BELGIAN MINER

عمل تحت الأرض في المنجم ببلجيكا لمدة سنتين ثم سنتين فوق سطح الأرض، إلى أن مرض وأجرى عملية جراحية لم تنجح وأصبح طريح الفراش، وجاء عامل اجتماعي لزيارته في المستشفى، دفعه إلى توقيع بعض الأوراق للحصول على معاش

[1] David McMurray. Op.cit. p 59

التقاعد، وعندما خرج من المستشفى اكتشف أنه وقع على تنازله عن المعاش التقاعدي وعاد إلى منزله بالناظور خائب الأمل وطريح الفراش.

بعد الوقوف على هذه القصص ومحاولة فهمها وتحليلها تحليلا سوسيولوجيا، نجد أن فعل الهجرة لم يكن مغامرة او تجربة تعليمية، كان من المفترض أن يزيد من رفاهية المهاجر وعائلته في الوطن. لذلك أدى فعل الهجرة هذا بعدد من " المهاجرين المطرودين او المهربين الذين عادوا إلى المغرب ليرووا حكاياتهم عن الويل وإلى قيام العديد من المغاربة المتعلمين في المناطق الحضرية بالنظر إلى المهاجرين على أنهم بيادق في لعبة أوروبية وحشية لم يكن المهاجرون الفقراء يعرفون قواعدها. نشرت الصحف المغربية مقالات حول الانتهاكات التي يتعرض لها المهاجرون -سواء في الخارج أو بعد عودتهم. تحسر المراسلون على حقيقة أن مواطنيهم الساذجين وقعوا ضحية للحيوانات المفترسة على جانبي البحر الابيض المتوسط".[1]

بمعنى أن الهجرة ليست دائما سبيلا لزيادة الرفاهية والسعادة وتحقيق الاستقرار المادي والمعنوي، إذ قد تكون تكاليفها باهظة على المستويين النفسي والجسدي بالخصوص، "قد تطيح بمكاسب عدة أجيال، عندئذ لن تكون الهجرة استثمارا جيدا بل خطأ يرتكبه المهاجر".[2]

3- تأثير الهجرة على التمايز في المكانة الاجتماعية

أحدث فعل الهجرة حركية اجتماعية داخل السلم الاجتماعي بالمجتمع الناظوري، من خلال إحداث فروق في التسلسل الهرمي الاجتماعي في الناظور منذ ثمانينات القرن الماضي تتمثل في ناحيتين، " فمن ناحية عزز المهاجرون النظام المهيمن بالالتزام بأولوياته. لقد رفع المهاجرون الرهان ببساطة عن طريق زيادة

[1] David McMurray. Op.cit. p 63

[2]- بول كولبير، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا؟، ترجمة مصطفى ناصر، عالم المعرفة، عدد 439، الكويت، 2016، ص180.

إنفاقهم على السلع الاستهلاكية وإدخال منتجات جديدة ليتم استيعابها في المخطط. من ناحية أخرى، زعزع المهاجرون استقرار نظام المكانة عن طريق فك الارتباط الحضري للأثرياء والمتعلمين الذين كانت لهم مكانة أعلى في الناظور".[1]

لقد ظهر المهاجرون كنخبة اجتماعية جديدة على عكس النخبة التقليدية، غالبا ما يشكلون تركيبة يصعب استيعابها من الأميين والأثرياء الريفيين، بعبارة اخرى بدأت الأسر المهاجرة في اختراق وإعادة تشكيل المكانة الهرمية للأفراد بالمجتمع الناظوري، وهذا ما سبق لعالم الاجتماع الحضري الأمريكي روني ديشاك (René Duchac) أن ناقشه بقوله: " يظهر التنقل المكاني كمؤشر للحراك الاجتماعي: إذا ترك شخص ما عائلته عند تغيير مكان إقامته ويتحرك صعودًا أو هبوطًا في السلم الاجتماعي. وبالمثل، تتغير حالة المجموعة، للأفضل أو للأسوأ،"[2]هذا التغيير السريع، يرجع إلى فعل الهجرة الذي ساهم في ارتفاع الدخل والانتقال من القرى إلى المدينة، إضافة إلى ظهور ازدواجية ثقافية في المجتمع الناظوري تتأرجح بين الثقافة الأصل والثقافة المستوردة هذه الثنائية التي لخصتها نظرية المجتمعات المزدوجة أو الثنائية الاجتماعية ومن أهم روادها نجد الهولندي جوليوس هيرمان بويك (Herman Boeke Julius) 1884-1956، من خلال دراسته الموسومة ب: الاقتصاد والسياسات الاقتصادية بالمجتمعات الثنائية، "اعتبر أن مجتمعات الدول النامية تتصف بحالة من الازدواج الاجتماعي، هي السبب الرئيسي في تخلفها حيث يوجد داخل تلك المجتمعات قطاعان متنافران هما القطاع التقليدي ويمثل النظام الأصيل في المجتمع والقطاع الرأسمالي المتطور ويمثل النظام الحديث المستورد، يحدث بين القطاعين صراع حيث يصر الأول على اتباع الأنظمة المتخلفة بينما الثاني يصر على الحداثة، يؤدي ذلك الصراع في النهاية إلى تشتت جهود التنمية وتواصل

[1] David McMurray. Op.cit. p 64

[2] René DUCHAC, la sociologie des migrations aux états-unis, library of congres catalog card number : 73-81815, printed in France, 1974, P 70

التخلف "[1]. تظهر علاماتها في ذاك الصراع بين العادات والتقاليد والقيم المتوارثة والقيم الجديدة الدخيلة، التي جلبها المهاجرون، مما زاد في فرص الحصول على تعليم أفضل للأشخاص من مناطق وقبائل مختلفة وخاصة الإناث منهم، وظهور مزيج من الزخارف المحلية والأجنبية على حد سواء على جدران المنازل بمدينة الناظور. وفي نفس السياق يقول الباحث الفرنسي رايموند بوسارد (Raymond BOSSARD)" لقد زادت جودة المنازل بشكل كبير، وتغير مظهرها علاوة على ذلك، فإن الأموال التي يرسلها المهاجرون تسمح لأفراد أسرهم بعدم قبول أي وظيفة. الوظائف ذات الرواتب المنخفضة للغاية لم تعد تجد المتقدمين لها. وينطبق هذا أيضًا على مدينة الناظور والمنطقة المجاورة حيث يلعب التهريب من مليلية نفس الدور. وهو أكثر ربحية وأقل تعباً من عمل العامل."[2]

استمرت الناظور في التحول في الهيمنة من الرموز الداخلية إلى الرموز الخارجية، على مستوى وسائل التمييز (الاحترام، المكانة، وأنماط العيش)، التي تميز التسلسل الهرمي الاجتماعي (الطبقة، الطائفة) بأنظمة الإشارة الخارجية للمكانة الاجتماعية، تستوعب هذه الأنظمة لأحدث معايير التمييز الاجتماعي الداخلي للمجتمع الناظوري، على سبيل المثال (اللغة، اللكنة، اللباس، الموسيقى) لصالح رموز أكثر عالمية ومعترف بها عالميا على أساس العلاقات الخارجية، " فالتمتع بالذوق الجيد مقابل الذوق السيئ في مسائل ديكور المنزل ، واختيار السيارات، والملابس ، وما إلى ذلك ، يعتمد على قدرة المقيم في الناظور على تمييز ما يعتبر راقيًا وما يعتبر ريفيا (عروبي) ثم عدم الخلط بين الاثنين. الأهم في الناظور في الثمانينيات كان

[1]- البطراوي تامر، أبحاث في الاقتصاد السياسي، النظرية الاقتصادية الكلية عرض ومناقشة، دار بيبول– الأزاريطة – الإسكندرية– جمهورية مصر العربية، ط الأولى، 2017، ص 295

[2] Raymond BOSSARD : mouvements migratoires dans le rif oriental : le travail en europe- aspect contemporain majeur des migrations dans la province de nador, thése pour le doctorat de 3° cycle, giographie rurale, universite paul Valery arts et letters, langues et sciences humaines-montpellier, 1978.pp 141-147.

الصراع بين المهاجرين وغير المهاجرين لتحديد ماهية تلك العلامات المميزة ثم تنظيمها في شكل مهيمن، أي رموز / أنظمة الإشارات الشرعية".[1]

يعتبر هذا التنافس في المكانة بين المهاجرين وغير المهاجرين التأثير الأكثر إثارة للاهتمام الذي أحدثه المهاجرون على المجتمع الناظوري، هذا التنافس الذي يظهر بين الفئة الاجتماعية التي لم تهاجر وتمتلك رأسمالا ثقافيا أكبر ورأسمالا اقتصاديا أقل، والفئة الاجتماعية المهاجرة التي لديها رأسمالا اقتصاديا أكبر، ولكنها تفتقر إلى الرأسمال الثقافي.

في سياق الحديث عن الرأسمال الثقافي للمهاجرين نجد اختلافا بين طرح الباحث ماكموراي وطرح روبرت بارك (Robert PARK)، فالأول يؤكد على افتقار المهاجر للرأسمال الثقافي لبلده الأصل، في حين نجد بارك " يشير إلى التغييرات النوعية (الفكرية أو العاطفية) للأفراد أو السكان المتنقلين. حول هذه النقطة، يرى أن تنقل السكان هو بلا منازع عامل مهم للغاية في تطورهم الفكري."[2]

تزعج الأسر المهاجرة التسلسلات الهرمية الطبقية والمركزية الموجودة بالفعل بعدة طرق: فهي تزيد في تضخيم تكاليف إعادة إنتاج نمط حياة يتناسب مع المكانة الاجتماعية الأعلى، يغيرون مزيج السلع التي تعتبر جديرة بهذا الوضع، يغيرون العلاقات الاجتماعية بين الطبقات والفئات الاجتماعية، ويغيرون في كيفية العلاقات بين الجنسين والأجيال في المقابل يسعى غير المهاجرين إلى الهيمنة رمزيا على المهاجرين الذين يعانون من وصمة العار المتمثلة في كونهم من الأثرياء الجدد، لكن غير متعلمين، فاقدين للغتهم الأم الأمازيغية والعربية الفصيحة، والطلاقة في اللهجة الأمازيغية والعربية، لأن أغلب المؤسسات الإدارية من بنوك ومحاكم وشرطة كانت

[1] David McMurray. Op.cit. p 65.

[2] René DUCHAC, la sociologie des migrations aux états-unis, library of congres catalog card number : 73-81815, printed in France, 1974, P-81.

فيها المحادثات عادة باللغة العربية، ناهيك عن انفصامهم على مستوى هويتهم الدينية واغتراب ابنائهم عن دين أجدادهم.

1.3. وضع المرأة في المجتمع الناظوري

زاد فعل الهجرة من التركيز على سلوك النساء في الوطن، بصفتهن حاملات لشرف العائلة وفق تحديدات الضمير الجمعي للمجتمع الناظوري، وقضايا المرأة اكتست أهمية مضاعفة بسبب غياب أزواجهن المغتربين في بلدان المهجر، مما دفع الغالبية العظمى من الرجال إلى عزل النساء بشكل رضائي أو قسري، وعدم السماح لهن بالحرية الكاملة في التنقل في الأماكن العامة، وذلك راجع لأمرين يحددهما الباحث في الثقافة الإسلامية من جهة وما خلفته مرحلة الحماية، إذ يقول: " عزل المرأة يعتبر ثابتة ثقافية عربية إسلامية، هذه الممارسة تنقلت فعليا تاريخيا وإقليميا، على سبيل المثال يذكر قيس مرزوق الورياشي في كتابه: (الريف الشرقية) 1976، ص78، أن توغل الإسبان في الريف خلال السنوات التي سبقت الحماية (1912) هدد الاستقرار المحلي، أدت هذه التطورات إلى قلق كبير على أمن النساء المحليات، ردًّا على ذلك خلال فترة الحماية، تم إنشاء نوع من التزمت الجنسي، بحبس الإناث كشكل من أشكال المقاومة السلبية التي كانت قائمة على العقاب الجماعي الصارم لسوء السلوك الجنسي والتركيز الاجتماعي الأكبر على الحاجة إلى دعم النقاء الأخلاقي للمرأة".[1]

لكن على الرغم من هذا التزمت كانت بعض الفتيات يسمح لهن بالتنزه مع صديقاتهن الإسبانيات، فشعر رجال الريف بالحاجة إلى عزل نساء الريف تماما، وتم تفسير حرية بعض نساء المدينة، على أنها تهديدا لمكانة الرجل الاجتماعية، لكن مع حلول الثمانينات " بدأت بنات المهاجرين الذين نشؤوا في اوروبا وبنات البيروقراطيين

[1] David McMurray. Op.cit. p 70

العرب المقيمين في الناظور في استعادة الشوارع، ما مثل الموجة الأولى من ذوبان الجليد في علاقات النوع".[1]

بمعنى أن الهجرة حملت معها ثقافة جديدة للبلد الأصل، أدت إلى تحولات عميقة في الحياة الجنسية، أعادة تحديد مجالات النساء ومجالات الرجال باختراق النساء للمجال التقليدي للرجال من خلال خروجهن للشارع، وهذا ما عبرت عنه عالمة الاجتماع المغربية فاطمة المرنيسي بقولها: "إن المرأة دائما دخيلة في مكان يمتلكه الرجال بما أنها تعرف كعدو، وليس لها الحق في استعمال المكان المخصص للجنس الآخر، والواقع أن مجرد وجودها في مكان لا يجب أن تكون فيه، يشكل عملا هجوميا بما أنها تزعزع النظام الاجتماعي، وتقلق راحة فكر الرجل بدفعه إلى اقتراف الزنى."[2]

2.3. توظيف الخادمة والتنافسية في استهلاك التجهيزات المنزلية

في سبعينات القرن الماضي كانت المنازل التي تتوفر على خادمة وغسالة الملابس، تعود فقط لكبار البيروقراطيين، ومع ذلك منذ الثمانينات عمل المهاجرون أيضا على شراء الغسالات وتوظيف خادمات في المنازل، والسبب في انفتاح الناظوريين على الأجهزة الموفرة للعمالة والخادمات هو التميز والظهور، ويرجع قرار توظيف الخادمة إلى المرأة، إذ " تقبل المرأة في المنزل الخادمة أو ترفضها، حتى لو كان الزوج وظفها. في مدينة جديدة مثل الناظور، المعيار الأول الذي تبحث عنه المرأة في الخادمة هو المنطقة القبلية الأصلية. يساعد أصل إقليمي مشترك على ضمان التوافق مع توفير العلاقات الأسرية للتبعية، أو على الأقل الألفة، التي تسمح للعائلة

[1] David McMurray. Op.cit. p 71

[2] فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005، ص159.

بالعثور على خادمات مؤهلات من البلدات. إذا كان الجميع يعرف عائلة أي شخص آخر، فإن المخاوف بشأن السرقة أو الهجر أو المرض أو أي شيء أخر ستخفف".[1]

أصبحت الخادمات تحت سيطرة المسنات في المنزل، وسبب هذه الضرورة قيام البيروقراطيون بتحويل هذه السلع الاستهلاكية إلى سلع ذات مكانة عالية، إذ تمتعت النساء الثريات بالقدرة على التخلي على الكثير من الطقوس اليومية، كالطهي والتنظيف، مع ظهور المجمد (frigos) أصبح يسمح بشراء الخضار الموسمية والأسماك واللحوم وتجميدها.

اعتبر عدد غرف النوم في المنزل الناظوري مؤشرا على الثروة، وكانت طاولة المكياج علامة اختيارية للثروة، وكان الصالون الرئيسي للمنزل أكبر او أصغر اعتمادا على ثروة الأسرة، وكانت غرف استقبال الضيوف تتميز بين المنقوشة وغير المنقوشة، "أما في أفقر الأسر حتى غرف الضيوف كانت غائبة، يجلس الجميع على حصائر قش أو جلود غنم... نفس الشيء ينطبق على المصابيح، كان لدى العائلات الأكثر ثراء ثريات دائمة معلقة من رصائع منحوتة من الجبس، وكانت العائلات الفقيرة تستأجر أو تستعير الثريات في المناسبات الكبيرة".[2] أما سخان الماء الذي يتم تغذيته بالغاز كان شائعا في أوروبا، شاع انتشاره في منازل الناظوريين بسبب المهاجرين، كان الغرض منه هو تسخين المياه لغسل الأواني أو الاستحمام، إذ أصبح يمثل ثمرة التحول عن الاستحمام الجماعي في الحمامات العامة. ومن ناحية أخرى ظل الفرن رفاهية مخصصة للنساء الثريات، يعوضهن عن إرسال الخبز والحلويات إلى فرن الحي، والمهاجرون وافقوا على شراء فرن داخلي للحد من ظهور النساء في الأماكن العامة، أي كان طريقة لتقييد نشاط نسائي آخر بخصوصية المنزل.

[1] David McMurray. Op.cit. p73

[2] David McMurray. Op.cit. p75

أما على مستوى تحليل الباحث للصور المعلقة على الجدران في منازل الناظوريين، توصل إلى أن غزو الغربيين للعالم العربي، خلق إحساسا بالدونية الثقافية والاغتراب في السكان الذين تم احتلالهم، إذ المستعمر استعمر النفس قبل المكان و " خلق تمايزا في المواقف بين كبار السن الذين عاشوا خلال غزو الغرب والأجيال الشابة التي نشأت بعد الاستقلال، تعيش هذه الأخيرة في منازل مزيفة ومزينة بفن الهروب (على سبيل المثال، غناء إسباني، شالهات على الطراز السويسري، صور بعض الفنانين وعلامات العواصم الأوروبية إلى جانب صور الدوران حول الكعبة في مكة، او الساعات المكية، أو الآيات القرآنية المؤطرة)".[1]

كان الطعام والموسيقى والرقص في بيئة الناظور بمثابة علامات للتمييز الطبقي إلى حد كبير من إتقان أي فن، إذ يقول الباحث: " إحدى الطرق التي اكتسبت بها النساء رأس المال الرمزي ونقلته كانت عن طريق الطعام، على وجه التحديد، عن طريق الترفيه. كان هذا صحيحًا أيضًا بالنسبة للرجال أيضًا، أي أن الرجال الذين استطاعت زوجاتهم إعداد وجبة لضيوف من الذكور غير معلنين في أي لحظة، حققوا سمعتهم كرؤساء لأسر مدارة بشكل جيد".[2]

ولكن في حالة الموسيقى والرقص، تعلمت النساء في وقت مبكر من حياتهن الرقص والغناء ولعب مختلف الطبول والدفوف من أجل الترفيه عن أنفسهن في الحفلات داخل المنزل، اكتسبن سمعة طيبة كأداء جيد مع معرفة واسعة بذخيرة الإيقاعات الشائعة في المنطقة، نادرا ما حقق الرجال مثل هذه الخبرة، و " الشيء المثير للاهتمام حول المرأة والموسيقى هو أن التمييز (أي أن تكون راقصة جيدة) لم يترجم إلى هيبة للعائلة. لم تكن الكفاءة مرتبطة بأي فئة بقدر ما كانت مرتبطة بالنوع والمنطقة. وهكذا اعتبرت نساء بني شيكار (Beni Chikar) وبني سيدل (Beni Sidel)

[1] David McMurray. Op.cit. pp 80-81

[2] David McMurray. Op.cit. p82

من قبل النساء الأخريات راقصات ومغنيات أكثر حيوية مقارنة بالنساء من قبائل الريف مثل بني توزين (BeniTuzin) وتمسمان (Timsaman) واريشك (Warichek)".[1]

يعتقد المهاجرون، حسب الباحث -وارتباطا بالتوثرات المحيطة برموز الإشارات الخاصة بالمكانة الاجتماعية، والكيفية التي أبرزت بها العلامات أو مظاهر التمييز، الصراع بين الفئة المهاجرة وغير المهاجرة في الناظور-ان أولئك الذين لم يهاجروا يمتلكون مستوى أقل من المعرفة على عكس المهاجرين بدعوى اكتسابهم لمعارف وخبرات تتفوق على غير المهاجرين من خلال نقلهم لأدوات وأجهزة تقنية تشكل رمزا للتفوق التكنولوجي الغربي، وهذا ما أشار إليه "الهولاندي يوليوس هيرمان بويك (Julius Herman Boeke) 1884 – 1956 بدراسته "الاقتصاد والسياسات الاقتصادية بالمجتمعات الثنائية Economico Policy of Dual (Economics and Societies)، والتي اعتبرت أن مجتمعات الدول النامية تتصف بحالة من الازدواج الاجتماعي هي السبب الرئيسي في تخلفها ، حيث يوجد داخل تلك المجتمعات قطاعان متنافران هما القطاع التقليدي ويمثل النظام الأصيل في المجتمع والقطاع الرأسمالي المتطور ويمثل النظام الحديث المستورد ، يحدث بين القطاعين صراع حيث يصر الأول على اتباع الأنظمة المتخلفة بينما الثاني يصر على الحداثة ، يؤدي ذلك الصراع في النهاية إلى تشتيت جهود التنمية وتواصل التخلف"[2]

لهذا عمل المهاجرون على إزاحة وتشويه سمعة من يمتلك الرأسمال الثقافي بشكل صريح من خلال منح مكانة أكبر لأي شخص قادر على تجميع ممتلكات مادية ثمينة او ثروة، أي بعدما كان الرأسمال الرمزي والمادي غير منفصلين، إذ عاش الجميع بنظام رمزي مشترك، أصبح ممزقا الآن بآثار الهجرة، هذه الأخيرة التي غيرت نمط الحياة التقليدي إلى نمط حياة عصري منفتح على الغرب، إذ لم تَعُد "المكانة مرادفة للتعليم كما كان في زمن الاستقلال، وبعد ذلك كانت المكانة لخريجي المدارس

[1] David McMurray. Op.cit. p83

[2] البطراوي تامر، أبحاث في الاقتصاد السياسي، النظرية الاقتصادية الكلية عرض ومناقشة، مرجع سابق، ص 295.

الدينية في الثمانينات، إذ سقطت مكانة الفقيه الذي كان مسؤولا عن المسجد أو تعليم القرآن للأطفال وانخفض وضعه بشكل كبير من قبل سكان المدينة، أما عون السلطة (المقدم- أدنى مستوى ممثل للسلطة الإقليمية) كان عضوا محترما في المجتمع المحلي الريفي أما في المدينة كان ينظر إليه بدناءة، ضعيف من الإدارة المحلية، وأصبحت المكانة تقاس بما هو مادي وتفوق فيها المهاجرون وإن كانوا غير متعلمين".[1]

أي عملت الهجرة على تغيير معايير القيم الثقافية بالمجتمع الناظوري، بعدما كان هذا المجتمع يعلي من قيم رمزية كالتعلم والتوظيف والقيم التقليدية أصبح يعطي قيمة أعلى لمن يمتلك الرأسمال المادي والراحة المادية وهذا يؤكد ما جاء به أنتوني غدنز (Anthony Giddens) في كتابه (علم الاجتماع): "في هذا العصر الحافل بالتغيرات وبانتقال الناس والأفكار والسلع والمعلومات في أرجاء المعمورة، فليس من المستغرب أن يواجه مجتمع ما صراعا بين القيم الثقافية التي يعتنقها مختلف الأفراد والجماعات فيه."[2]

على ضوء هذه الازدواجية الثقافية والتمييز بين التقليدي والحداثي، أصبحت بعض الأسماء التي كانت تطلق على الأطفال من إناث وذكور تشعرهم بوخز الإذلال، عندما يتم النداء عليهم بالخصوص في الفصول الدراسية، " تضمنت الأسماء التي أثارت ضحكات أطفال المدينة، للأولاد: موحند، حدو، أما البنات يعانين أكثر، إذا تم تسميتهن: ميمونة (Mimouna)، ميمونة (Mimount)، ثميمونة (THmimount)، لويزة (Louiza) ، حادة (Hadda)."[3]

[1] David McMurray. Op.cit. pp 89-90.

[2] أنتوني غدنز-كارين بيردسال، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005، ص 83

[3] David McMurray. Op.cit. pp 90.

كما أظهرت فتيات المدينة تقاليدهن الحضرية لبعضهن البعض من خلال التحدث باللغة العربية المصرية، او يتخلل حديثهن كلمات مستعارة من الفرنسية والإسبانية كعلامة على تعلمهن وتطورهن، إضافة إلى حديثهن عن اتباع نظام غذائي، نظام الحمية. أما الرجال الناظوريون فتنافسوا بينهم حول امتلاك أحدث طرازات سيارة المرسيدس (Mercedes)، وهي سيارة كانت مرتبطة فقط بالجنرالات والدبلوماسيين في بقية البلاد.

بمعنى أنه مع نهاية الثمانينات أصبحت الهيمنة في المكانة للفئة المهاجرة التي لعبت دور الفاعل في تغيير النسق حسب تالكوت بارسنز (Talcott Parsons)إذ يقول: "التوازن هو أعلى صورة من صور التكامل والنظام داخل النسق...واهتزاز النسق الاجتماعي ذاته هو من خلال إرادة الفاعل في تغير النسق"[1]، إذ ضخم مهاجرو الناظور تكاليف إعادة إنتاج نمط حياة يتناسب مع مكانة اجتماعية أعلى بعيدا عن متناول التجار الصغار والمتعلمين والمنافسين الذين شكلوا البرجوازية الصغيرة. ما يشكل تحولا اجتماعيا حسب ستيفن كاستلز وهو "تحول جذري في طريقة تنظيم المجتمع والتي تتجاوز عمليات التغيير العادي التي هي في تطور دائم، إذ ينشأ هذا التغير عندما تحدث تحولات أساسية في علاقات القوة السائدة، والهجرة ليست فقط نتيجة للتحول الاجتماعي ولكنها في حد ذاتها شكل من أشكال التحول الاجتماعي الذي أثار ردود فعل على المجتمعات المعنية."[2]

خاتمة

تغيرت الرؤية حول ظاهرة الهجرة في القرن العشرين، من تلك النظرة التي كانت تعتبرها مشكلة اجتماعية وظاهرة مرضية، تبحث عن سبل الحد منها، إلى نظرة

[1] زايد أحمد، "علم الاجتماع، النظريات الكلاسيكية والنقدية"، دار الكتب المصرية، 1984، ص127.

[2] ستيفن كاستلز ومارك ميللر، عصر الهجرة، ترجمة منى الدروبي، المركز القومي للترجمة، العدد 1993، ط الأولى، 2013، ص 144-149.

جديدة تروم ربطها بالتنمية والتحديث، إذ شكل المهاجر ذلك الجسر الذي أسهم في نقل مجتمعه الأصل من التقليد إلى التحديث، من خلال ما تعلمه في بلدان المهجر على مستوى الخبرات والمعارف من جهة وعلى مستوى ما كسبه من رأسمال مادي من جهة أخرى ساهم به في تنمية مجتمعه.

لهذا انكبت الدراسات السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا على دراسة قضايا الهجرة وربطها بمتغيرات عدة من هوية، وتنمية، وتثاقف وغيرها، ومن أمثلة هذه الدراسات، دراسة الأنثروبولوجي الأمريكي DAVID McMurray، موضوع هذا المقال الذي توقف من خلال مناولته هاته والتي اعتمد فيها الملاحظة بالمشاركة على الأثر الاجتماعي والثقافي الذي أحدثته الهجرة في المجتمع الناظوري، بدأ بإسهام المهاجر في تحسين أوضاع أسرته الاجتماعية والاقتصادية، ما حقق حركية اجتماعية داخل السلم الاجتماعي بالمجتمع الناظوري، وأثر على التسلسل الهرمي التقليدي الذي كانت الهيمنة فيه لمالكي الرأسمال الرمزي من متعلمين وفقهاء وموظفين، وصولا إلى ظهور المهاجرين كنخبة اجتماعية جديدة على عكس النخبة التقليدية، ما أعاد تشكيل الهرمية بالمجتمع الناظوري، انتقلت من هيمنة الرأسمال الرمزي إلى هيمنة الرأسمال المادي. وهذا ما سبق أن أشار إليه المختار الهراس في عمله "القبيلة والسلطة" بقوله: "فسح المجال أمام تزايد الفائض الإنتاجي من شأنه أن يجعل من المعايير الاقتصادية وحدها أساس التراتب الاجتماعي"[1]، لهذا عمدت القبيلة إلى الحيلولة لحصر الفوائض الإنتاجية التي من شأنها تمكين بعض الأفراد من التميز عن بقية أعضاء الجماعة وكسر التراتبية الرمزية داخل الجماعة، لكن هذه التراتبية الرمزية انهارت في المجتمع الناظوري أمام التراكم الرأسمالي الذي حققه المهاجر.

[1] المختار الهراس، القبيلة والسلطة-تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، مطبعة الرسالة، الرباط، ص99.

لائحة المصادر والمراجع

- أنتوني غدنز-كارين بيردسال، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005
- إميل دوركهايم، تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة حافظ الجمالي، مجموعة الروائع الإنسانية -الأونسكو السلسلة العربية، بيروت، 1982.
- بول كولبير، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا؟، ترجمة مصطفى ناصر، عالم المعرفة، عدد 439، الكويت، 2016.
- البطراوي تامر، أبحاث في الاقتصاد السياسي، النظرية الاقتصادية الكلية عرض ومناقشة، دار بيبول – الأزاريطة – الإسكندرية – جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 2017.
- المختار الهراس، القبيلة والسلطة-تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، مطبعة الرسالة، الرباط.
- فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، ط4، 2005.
- ستيفن كاستلز ومارك ميللر، عصر الهجرة، ترجمة منى الدروبي، المركز القومي للترجمة، العدد 1993، ط الأولى، 2013.
- زايد أحمد، "علم الاجتماع، النظريات الكلاسيكية والنقدية"، دار الكتب المصرية، 1984.
- هاني خميس، رأس المال الاجتماعي، سلسلة مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، مصر، شتنبر 2008.
- David McMurray, In and Out of Rocco -Smuggling and Migration in a Frontier Boomtown، University of Minnesota Press، Minneapolis - London, 2001.

- Maurice Halbwachs، Morphologie sociale، Librairie Armand Colin, Paris : publié en 1970.
- René DUCHAC، la sociologie des migrations aux états-unis، library of congres catalog card number: 73-81815, printed in France, 1974,
- Raymond BOSSARD : mouvements migratoires dans le rif oriental : le travail en Europe- aspect contemporain majeur des migrations dans la province de Nador, thèse pour le doctorat de 3° cycle, géographie rurale, université Paul Valery arts et lettres, langues et sciences humaines-Montpellier, 1978.

الهجرة الدولية والنوع الاجتماعي

الوافي مراد
طالب باحث بسلك الدكتوراه
جامعة محمد الأول وجدة
وجدة - المغرب

ملخص:

تعالج هذه الورقة مدى حضور النوع الاجتماعي في مسارات الهجرة الدولية، وذلك عبر الانطلاق من رصد تاريخانية هذا الحضور، مرورا بتبيان بعض أسباب الخفاء النظري المتواصل، مع جرد بعض الأدبيات المعاصرة المهتمة بعلاقة الطرفين، ومن ثم تسليط الضوء على أثر المؤسسات الاجتماعية في تنشيطها لهذه العملية الدولية. كما تهم هذه الورقة في بعد ثان فتح أفق مستقبلية للبحث في علاقة الهجرة الدولية بالنوع الاجتماعي، عبر الدعوة لتغيير زاوية الرؤية تجاهها، والتخلص من النظرة التقليدية، بأخرى بديلة ترى فيها فاعلا اقتصاديا قادرا على الرفع من جودة التنمية، على الرغم من الصعوبات والعراقيل التي تعترضها.

كلمات مفتاحية: الهجرة الدولية ـ النوع الاجتماعي ـ الخفاء ـ التنمية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

الوافي، مراد. (2024، يوليوز). الهجرة الدولية والنوع الاجتماعي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 184-206.

Abstract:

This paper addresses the extent of the presence of gender in international migration trajectories, by starting from monitoring the history of this presence, through identifying some of the reasons for the continued theoretical invisibility, inventorying some contemporary literature interested in the relationship between the two parties, and then highlighting the impact of social institutions in their activation of this international process. This paper also aims to open a future horizon for research on the relationship between international migration and gender, by calling for a change in the angle of vision towards it, and getting rid of the traditional view of it, with an alternative one that sees it as an economic actor capable of raising the quality of development, despite the difficulties and obstacles it encounters.

Keywords : International migration, gender, invisibility, development.

توطئة

شهدت مسارات الهجرة الدولية زخما جديدا، تمثل في مقارعة النساء للرجال في التحركات الهجروية بوتيرة مرتفعة ومستمرة. فبدأ من ستينيات القرن العشرين صارت هذه الفئة تشكل ما يقرب من نصف إجمالي عدد السكان المهاجرين على المستوى العالمي،[1] وهي أرقام لا تعني قط أن النساء كن غائبات عن مسارات الهجرة الدولية، بقدر ما أنها معطيات كمية تأكد على الحضور القوي لهذه الفئة منذ قدم الظاهرة. إلا أنه حضور لا ينعكس البتة على مستوى الأبحاث الدارسة والمتتبعة لهذا الشأن، والتي ظلت تغيب النوع الاجتماعي عن التحليلات الخاصة بالظاهرة، وهو تغييب لم يول النساء أهميتهن المتزايدة في موجات الهجرة، وحتى تلك الدراسات القليلة منها التي حاولت، فإن مردودية تحليلاتها ظلت ضعيفة.

انتظرت الحقول المعرفية مدة طويلة لتحتضن أخيرا فعل "تأنيث الهجرة" من خلال بعض الدراسات التي سعت لإيلاء النساء أهميتهن البالغة التي يضطلعن بها في مسار الهجرة، لكنها محاولات حملت معها نقصا جديدا تمثل في المكانة الدنيوية التي أعطيت للمرأة[2]، لا بوصفها مهاجرة مستقلة، لكن بالنظر إليها كمهاجرة تابعة، وكشخص خاضع للهجرة، وظهرت فيها النساء كربات بيوت في المجتمعات المضيفة، تعتمدن بالأساس على الرجل كمزود رئيسي بالموارد المطلوبة. واحتكمت في ذلك إلى التمثلات الاجتماعية السائدة التي لم تراع على الإطلاق نشاط النساء المهاجرات خارج المنزل، بل تغاضت عن ذلك لأسباب خفية. ولعل حركية النساء المهاجرات في سويسرا نموذجا من الفترة الممتدة من 1970 إلى غاية 2000 والتي فاق فيها نشاط

[1] Kofman, E., Phizacklea, A., Raghuram, P., & Sales, R. Gender and International Migration in Europe. Routledge,2000, p. 3.

[2] Eleonore Kofman, 'Female "Birds of Passage" a Decade Later: Gender and Immigration in the European Union', International Migration Review, 33.2, 1999, pp. 269–99.

هذه الفئة معدل نشاط النساء السويسريات أنفسهن[1]، دليل على الاحتكام المباشر للتصورات العامية المنتشرة. وفي الأن عينه صار دعوة لضرورة إنتاج وحدات تحليل جديدة. تذهب لاعتبار النساء فاعلات في الهجرة كغيرهن من الأفراد، سواء من حيث صنع القرار، أو اتخاذه، أو حتى المشاركة في العملية.

على هذا الأساس، وبسبب التطورات الدولية التي شهدها العالم في الربع الأخير من القرن العشرين على وجه التحديد، باتت فكرة وجود النساء ضمن مسارات الهجرة الدولية تصنع لنفسها مكانا في قوالب التفكير الأدبي، بحثا عن الاعتراف بهن كمهاجرات، وهو ما تأتى لكن بصورة لازالت ضئيلة متأخرة، تغيب الدور الاقتصادي القوي الذي تلعبه المرأة المهاجرة، بسبب النظرة التي لازالت ترافقها والتي تختزلها في هجرة غير مهمة لا اقتصاديا ولا سياسيا[2]، فتم تصويرهن في معظم الحالات على أنهن تابعات للرجال فقط، لا كمتحركات بنوع من الاستقلالية.

لكن رغم هذه التحليلات المنقوصة، فقد بدأت الخطابات المتكررة حول اكتشاف النساء كفاعلات حقيقيات في مسارات الهجرة الدولية تزداد، وبدأت تسد معها بعض النقص الذي ساد لفترة طويلة. وعليه، همت الدراسات الأولية الهجرة في علاقتها بالنساء، قبل أن يتم نقلها لاحقا لتناقش الهجرة كقضية جنسانية، ببحث ممارسات وتمثلات الأنوثة والذكورة، وعلاقات النساء والرجال. كمنظور لفتت الانتباه إلى المرأة المهاجرة بداية، وإلى الأسرة وأنشطتها في بعد ثان، كما أثار نقاش المرأة كيد عاملة وجعل منه محور أعمال الدراسات المتعلقة بالهجرة والنوع الاجتماعي، وهم أيضا في بعد لاحق التطرق للأوضاع التي تعاني منها النساء المهاجرات في البلدان المستقبلة.

[1] Natalie Benelli and others, 'Migrations: Genre et Frontières-Frontières de Genre', Nouvelles Questions Féministes—Revue Internationale Francophone, Antipodes, 2007, p. 7.

[2] Christine Catarino, Mirjana Morokvasic, and Marie-Antoinette Hily, "Femmes, Genre, Migration et Mobilités", 'Vol. 21-N° 1, 2005.

إلى هنا، وأخذا بعين الاعتبار الخفاء المتواصل الذي لا زال يطال النساء المهاجرات من جهة، وتأكيدا على خصوصية المكانة التي باتت تحتلها هذه الفئة في مسارات الهجرة الدولية من جهة أخرى، يمكننا أن نحصر الأسئلة الأساسية لهذا الموضوع في النقط التالية:

- ما هو السياق التاريخي لحضور المرأة في مسار الهجرة؟
- ما أسباب الخفاء المتواصل للنوع الاجتماعي عن تحليلات الهجرة الدولية؟
- كيف تؤثر المؤسسات الاجتماعية في تنشيط هجرة النساء الدولية؟
- أية نظرة جديدة للمرأة المهاجرة؟ وما دور هذه الفئة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية؟
- هل تضطلع الهجرة النسائية بأي مشاكل وتحديات؟

وسنعتمد لمقاربة موضوعنا المنهج الوصفي التحليلي، على أمل أن يتجاوز بنا الصعوبة المركونة في إنجاز البعد الميداني لموضوع الدراسة المختار. وسنحاول إزاءه تقديم فهم ملائم للظاهرة المدروسة عبر الاجتهاد في وصف المعطيات والمعلومات المتوفرة حولها، سواء تلك المتعلقة بالأدوار الجنسية في سياقات الهجرة الدولية وتأثيرها على العلاقات الأسرية، وبحث دورها في استمرارية غياب بحوث النوع الاجتماعي في علاقته بالهجرة، أو الأخرى المتعلقة بالتحديات التي تواجه هذه الفئة في ظل هيمنة الأدوار الجندرية التقليدية، ولا حتى بالمكانة الجديدة التي من الممكن أن تحضى بها هذه الفئة.

وفي بعد آخر تحليلي، سنحاول تحليل محتوى بعض القراءات منها التي أثارت تحليل علاقة الهجرة بالنوع الاجتماعي، سواء من حيث تجربة الهجرة وتأثرها بالجندر، أو من حيث تأثير هجرة النوع على التحويلات المالية المساهمة في التنمية

الاجتماعية، والاقتصادية، في بلدان الأصل، ولا كذا من حيث بعض العراقيل التي تعترض هذه الفئة.

1) تاريخانية حضور المرأة في مسارات الهجرة الدولية

اعتبرت تحركات الأفراد الباحثين عن سبل عيش وحياة أفضل، أمور قديمة قدم البشرية. وعليه تحرك الأفراد داخل بلدانهم من المناطق الريفية نحو الحضرية، واكتسبوا زخما كبيرا إثر ذلك. ثم انتقلوا لهجرة أكبر عبر الحدود، حتى صار تعداد المهاجرين الدوليين يتجاوز 200 مليون مهاجر دولي يتوزعون في مختلف ربوع العالم. وانطلاقا من الثمانينيات بدأت الموجات تشهد مصاحبة العنصر النسوي في المسارات الدولية، العازبات منهن والمتزوجات، واللواتي في كثير من الأحيان يحظين بتعليم أفضل من الرجال[1]، ويهاجرن من تلقاء أنفسهن بحثا عن تولي وظائف أفضل في بلدان أخرى.

تعود بنا موجات حركات النساء في تاريخها الطويل إلى رحلات الأمريكيات السود اللواتي فررن من العبودية وأشكال العنصرية وانتقلنا صوب دول عديدة، قبل أن يعود بهن الحال للاستقرار في بعض الولايات الأمريكية، لكن ولاحقا بدأت الظاهرة تشتد ضمن هذه الفئة، بحيث صارت الأرقام تتباين بين المناطق الجغرافية. فمنذ سنة 1990 ازدادت موجات النساء المهاجرات بكل نطاق العالم، ماعدا منطقتي شرقي أسيا والمحيط الهادئ، في حين ارتفعت في أوروبا وأسيا الوسطى بشكل كبير، وصلت به إلى نسبة 48٪ من إجمالي تعداد المهاجرين الدوليين عام 2017 [2]. واستمر اشتداد هذه التنقلات في مرحلة لاحقة بارتفاع نسبي ملحوظ. بحيث حمل

[1] Mary Kawar, Gender and Migration: Why Are Women More Vulnerable, Femmes et Mouvement: Genre, Migrations et Nouvelle Division International Du Travail, 71, 2004, p. 73.

[2] Tuba Bircan and Sinem Yilmaz, A Critique of Gender-blind Migration Theories and Data Sources, International Migration, 61.4, 2023, p. 176.

التقرير الأممي للهجرة الدولية زيادة نسبة 5 ملايين مهاجرة عبر العالم وصارت نسبة المهاجرات الدوليات تقارب سقف النصف من التعداد الكلي للمهاجرين الدوليين.

وما ينبغي أن نؤكد عليه هنا أن هذا الارتفاع يعزى في الغالب للطلب المتزايد على اليد العاملة النسائية، وأن الانخفاض الذي تعيشه موجات هذه الفئة، يرد بدوره إلى الزيادة في الطلب على القطاعات التي تهيمن عليها الفئة الذكورية. بالتالي فمن الطبيعي ألا تتمتع المرأة في هذه الحالة بنفس الفرص لامتهان كل الأعمال، وهو مايفسر التباين الضئيل في التركيبة الجنسانية للهجرة الدولية، التي يظهر أنها لا تتحكم فيها الأوساط الاجتماعية للبلد المرسل فقط، بقدر ما تتحكم فيها أيضا حتى سياسات السوق الاقتصادية الدولية.

وفق كل ماسبق، يمكن التأكيد على أن حضور المرأة في تاريخ الهجرات الدولية هو حضور قوي ، وأن النساء المهاجرات شكلن على الدوام مسارا من مسارات الهجرة الدولية التي لاتنقطع، سواء وهن بصحبة الكفيل، أو لحالهن مستقلات في طريق الهجرة، لكن وعلى الرغم من ذلك لازلنا نلحظ أن البيانات المتعقلة بالهجرة الدولية وإن أثبتت الأرقام، فهي لم تثبت أسباب الفروقات بين الجنسين.

وفق هذا، انتقلت النقاشات لتساءل الزيادة المطلقة في نسب المهاجرات الدوليات، التي ارتفعت في المرحلة المعاصرة كميا، وغيبت كيفيا في البحوثات المرتبطة بتحليل الهجرة الدولية كما أشرنا، وبحثت أيضا الاختلافات الكبيرة التي تكون من وراء نسب التدفقات الهجروية المتباينة، مع التأكيد على أن هذه الحصص المتساوية نسبيا لا ينبغي لها أن تخفي التباينات الشاسعة النطاق، في ظروف التنقل، والوصول، والفرص المتاحة فيما بين الأطراف المهاجرين. وانطلاقا منه بدأت تتغير وجهات نظر المتتبعين لشأن الهجرة الدولية إزاء هذه الفئة.

يكفي أن نشير إلى أن الأدبيات السابقة،[1] قد أثارت نقط هجرة الجنسين ما بين أسباب اقتصادية واجتماعية من قبيل الاختلافات على مستوى الذخل بين بلد المنشأ وبلد الاستقبال، وارتفاع معدل البطالة، ومحددات أخرى كشبكات الهجرة، وسياسات الدول، ولا حتى العوامل الدينية والطبيعية، لكن ما أعيب عنها هو تجاهلها للديناميات الجنسية وارتكازها على الطابع التقليدي لهجرة المرأة الذي يغلب حضور الوكيل فيها، في إقصاء واضح لاستقلاليتها وحريتها الحركية الممكنة. والتاريخ كما أكدنا في الأسطر السابقة، خير شاهد على حركية النساء الدوليات منذ القدم والتي وإن تعرضت للمضايقة في أوقات كثيرة إلا أنها استطاعت أن ترسم لنفسها مسارا خاصا ضمن مسارات الهجرة الدولية.

2) النوع الاجتماعي في دراسات الهجرة: خفاء متواصل

افترضت عديد النظريات المفسرة للظاهرة الهجروية تزعم الرجال لموجات الهجرة الدولية منذ أزل بعيد[2]، واعتبرت في الاتجاه المحادي أن النساء لعبن في الظاهرة دور المعالات من طرف رجالهن، وأن حركتهن كانت تأتي وراء الزوج، أو الأخ، أو الأب، وعليه صورت الهجرة على أنها ظاهرة ذكورية بامتياز، في حين أن النساء كن دوما حاضرات ضمن تدفقاتها ولو بمثل مازعموا، أي كبنات وزوجات.

أحدثت هذه الرؤى تغييبا مباشرا للنوع الاجتماعي من خانة تحليلات الهجرة، فعلى الرغم مما بذلته جهود الحركات النسائية من ستينيات إلى ثمانينيات القرن العشرين، في سبيل تسليط الضوء على التقسيم الجنسي للعمل، الذي يتيح علاقات غير متكافئة البتة في الوصول إلى الموارد التي تميز الأفراد عن بعضهم البعض، إلا أنه لا يزال قائما في مسار الهجرة، بحيث أن النظرة لازالت هي نفسها تجاه النساء ولم

[1] Nicolas Péridy, Un Modèle Généralisé Des Déterminants Des Migrations Internationales 1: Application Aux Migrations Des Pays Méditerranéens Vers l'ue, Revue Économique, 61.6, 2010, pp. 981–1010.

[2] Monica Boyd, Women, Gender, and Migration Trends in a Global World, in The Palgrave Handbook of Gender and Migration, ed. by Claudia Mora and Nicola Piper, Springer International Publishing, 2021, p. 23.

تتغير قط. وعلى الرغم أيضا من الاعتبارات المعاصرة التي تذهب لحد التأكيد على أن تأنيث موجات الهجرة يشكل في المرحلة أحد الاتجاهات الكبرى للعولمة،[1] وكذا تواجد أخرى تذهب لحد الإقرار بأن هجرة النساء ستكون أكثر استقلالية وأقل عائلية[2]. إلا أنه ورغم ذلك، وأمام كل هذه المتغيرات الدولية الجديدة التي لم تسلم منها ظاهرة الهجرة، يمكن أن نلحظ ببساطة أن التأنيث المتحدث عنه هنا يهم أرقام حضور النساء، وبالتالي ليس ببعيد عن التأنيث المتحدث عنه في الماضي، ولايقدم أي جديد لعلاقة النوع الاجتماعي بظاهرة الهجرة الدولية، بقدر ما أنه يبعث في تكريس الهوة الكائنة بين المتغيرين معا. والحال أن إحداث تغيير في علاقة متغيري الهجرة بالنوع الاجتماعي، يحتم بالأساس القضاء مع تلك التصورات التقليدية السائدة التي لم تسمح بتقدم أبحاث الهجرة الدولية.

بالتالي ظلت تيمة النوع الاجتماعي في علاقتها بالهجرة مخفية لفترات طوال بشيء مزدوج، كما تقر بذلك "ميرجانا موروكفاسيتش" Mirjana Morokvasic[3] بتعبيرها على أن " لا البحوث المتعلقة بالهجرة، ولا تلك المتعقلة بالنوع الاجتماعي، قد أفلحت في أن تثير تقاطع الهجرة والنوع الذي امتد لحقب زمنية كبيرة، واتجه كل طرف في حاله دون أن يعرف كل منهما الأخر". والواقع أن أقدمية واستمرارية الوجود النسائي في الهجرات الدولية يحتم علينا مراقبتها، وتتبعها بغرض التعرف على أنماطها المتغيرة، والتي لاتقتصر البتة على نوع واحد. فصحيح أنا ما زلنا نرى في المرحلة هجرة النساء كفرد من الأسرة في التجمعات، لكن هذا لا يعني على المطلق بأن هذا النوع لوحده هو الشائع والمسيطر، بل إن أنواع أخرى تحاصرنا مطالبة إيانا بالتحليل والتتبع.

[1] Stephen Castles and M. Miller, The Age of Migration. Basingstoke & New York, Palgrave Macmillan, 2003.

[2] Paola Tabet, La Grande Arnaque: Sexualité Des Femmes et Échange Économico-Sexuel', La Grande Arnaque, 2005, pp. 1–211.

[3] Mirjana Morokvasic, L'(in) Visibilité Continue, Cahiers Du Genre, Vol. 2, 2011, p. 26.

طبيعي إذن، أن تكون النساء في حالات عديدة مبادرات في عملية الهجرة، فعلى سبيل المثال يكفي أن نستحضر نموذج النساء المغربيات اللواتي يعملن في الحقول الموسمية الخاصة بإنتاج الفراولة بإسبانيا، التي يفضل أصحابها أمهات الأسر المغربية شريطة أن يكون باقي أفراد عائلتها بالبلد،[1] وهو نموذج يكفي لأن نتبين عليه أن النساء اتخذن لأنفسهن استقلالية، ومبادرة ولو نسبية عن وسطهن الاجتماعي، وصرن يشكلن زاده الاقتصادي لاحقا. لكن من الغير المقبول في هذا الاتجاه، أن يتم النظر إلى هذه الهجرة على أنها هجرة يد عاملة فقط، نظير حاجة السوق العالمية لها، فهي وحتى إن تم إسقاطها على النساء القادمات من بلدان العالم النامية، إلا أنه لا يمكن أن تقاس بنفس القدر على هجرة النساء اللواتي ينطلقن من بلدان تنعم على الأقل برخاء أفضل، وسبل عيش أحسن، كما هو الحال بالنسبة لهجرة الشابات الإسبانيات اللواتي يتحركن بمفردهن[2] باتجاه فرنسا.

تستمد أسباب هذا الغياب المتواصل بالأساس من الصورة التي قدمتها الأبحاث الأولية على المهاجرين وعائلاتهم، والتي ذهبت غالبيتها لافتراض أن المهاجرين رجال. فلم تميز إحصائيا بينهم وبين النساء، ولا الأطفال، كما اعتبرت أن دوافع الهجرة واحدة، وأن علاقات المهاجرين بشبكاتهم الاجتماعية، وبهوياتهم الوطنية هي نفسها لا اختلافات بينها.[3] قس على ذلك، دور التمثلات الاجتماعية التي تتيح في كثير من الأحيان، هيمنة ذكورية بالغة النطاق في موجات الهجرة التي تصدرها بعض البلدان المحافظة، وبالتالي يكون الحضور النسائي فيها أقل وضوحا وكثافة، لدى غيره من جنسيات البلدان الأخرى. ما يؤدي إلى تهميش حالات حضور النساء على نطاق واسع.

[1] Chadia Arab, Les Aït Ayad: La Circulation Migratoire Des Marocains Entre La France, l'Espagne et l'ItaliePU Rennes, 2009).

[2] Morokvasic, L'(in) Visibilité Continue, p. 31.

[3] Mirjana Morokvasic, 'Femmes et Genre Dans l'étude Des Migrations: Un Regard Rétrospectif', Les Cahiers Du CEDREF. Centre d'enseignement, d'études et de Recherches Pour Les Études Féministes, 16, 2008, p. 36.

مما سبق، لاينبغي أن يتم النظر لهذه العلاقة على أنها محط اهتمام كبير، كي لايتم الرفع من التوقعات المنتظرة من تحليلاتها. بقدر ما أن الدعوة هنا تحتم علينا ضرورة الانتباه لها كحقيقة من حقائق الهجرة الدولية، التي استطاعت أن تفرض ذاتها منذ أمد بعيد، وتمكنت النساء على إثرها من أن يتخلصن من الخفاء الذي طالهن. والجزء الأخر من الرهان مرتبط بالبحث في تجاربهن الهجروية، بغرض ملئ الثغرات البحثية في هذا الصدد. وهو الجانب الذي لازال يحضر بنقص في المعرفة والتفكير. فرغم ارتفاع أعداد النقاشات والبحوث في هذا الصدد، إلا أنها لم تنجح في توليد معرفة متراكمة قادرة على إحداث تغيير، ما يجعل الحاجة لسد الثغرات الحاصلة في هذا المجال مستمرة.

لعل من أبرز الأدبيات التي سعت لسد هذه الثغرة البحثية طروحات "ساسكيا سين" Saskia Sassen التي عالجت علاقة الهجرة النسائية بتقلبات العولمة، بحيث اعتبرت أن شبكة العولمة سهلت من تنقلات المهاجرين، وهي حركات قد أمست تجارية بالأساس، واتسمت بالطابع الاقتصادي وحضر فيها العنصر النسائي في ثوب الضحية دائما، خصوصا في شق خدمات الاتجار بالنساء المهاجرات من دول العالم الثالث. يتضح أن الاتجاه هنا اتسم بتجاوز الأنظار التقليدية[1]، وألقى الضوء على الظروف الهيكلية المرتبطة بالتدويل الاقتصادي العالمي كنوع معين من الأشكال الحالية للعولمة الاقتصادية.

ثم طروحات "نانا أوشي" Nana Oishi التي انطلقت من معالجة المشاكل المتعددة للهجرة النسائية، التي أعقبتها تحليلات جزئية وافتراضات ضعيفة، وقدمت من خلال مقاربتها بديلا لذلك تذهب فيه لدراسة هجرة اليد العاملة الغير ماهرة، معتبرة أن غالبية النساء المهاجرات يقبعن ضمن هذه الفئة، مستنتجة بأن التحليل

[1] Saskia Sassen, 'Women's Burden: Counter-Geographies of Globalization and the Feminization of Survival', Journal of International Affairs, 2000, pp. 503–24.

صار يستدعي استحضار مختلف المستويات والتي حصرتها في ثلاث مستويات رئيسية (مستوى الأفراد. مستوى المجتمع. مستوى الدولة).

يصبح لزاما إذن بحث أسباب هذا الإخفاء المتواصل، والذي لن يفهم دونما الوقوف على مكانة النساء داخل المؤسسات الاجتماعية سواء في البلد الأصلي أو في البلد المضيف على حد سواء، والذي سيتيح لفت الانتباه إلى مكانة النساء في الهجرة الدولية برؤية جديدة مغايرة كليا، مع تفحص بعض المشاكل التي تعترض عملية هجرة هذه الفئة، مع فتح أفق تفكير للتصدي لها بغرض الاستفادة ما أمكن من محاسنها، ولعل من بين أبرزها التحويلات المالية، التي تعتبر بمثابة رافدة اقتصادية لعديد الدول المصدرة للمهاجرين.

3) التمييز بين الجنسين كمحرك لدينامية الهجرة النسائية

تنطلق الهجرة الدولية من البلد الأصلي، وتأثر فيها كل من علاقات البلد الدولية، بحيث تبرز في مسار هجرة أفراده لمكان وتفضيله للهجرة دون غيره، كما تأثر فيها أيضا المؤسسات الاجتماعية التي تعتبر عنصرا منميا لموجات الهجرة الدولية، بل وفاصلا بشكل لا متساو فيما بين مرتاديها من الأفراد. وكذا فاصلا في التحليلات المعالجة للظاهرة، والتي فسرت في الغالب تنامي موجات الهجرة النسائية بأنها نتاج ثانوي لهجرة الذكور، ولم تنظر لإمكانية تأثير المؤسسات الاجتماعية في عمليات الهجرة الدولية، بترخيصها لمن يهاجر، ومنعها لأصناف أخرى.

تلعب المؤسسات الاجتماعية في قوالب الهجرة الدولية دورا لايستهان به، فهي تحضر في مسار الهجرة برمته، بحيث تبدأ مع المهاجر من بلده الأصلي، وتصادفه أيضا في بلد الاستقبال. بالتالي فدورها الهجروي لاينبغي أن يخفى عن قوالب التحليل، فبقدر ما أنها قادرة على منع البعض من الوصول إلى الموارد اللازمة لتحقيق الهجرة، فهي تتيح للأطراف الأخرى إمكانية ذلك. مثال ذلك ترخيصها لهجرة الذكور ومنعها لهجرة النساء، بحكم الموقف الثقافي الذي تستند فيه إلى الأعراف والتقاليد.

وهو توزيع لامتكافئ يستبطن تمييزا واضحا مابين الرجال والنساء في مسارات الهجرة، ويشتد وطأة في مجتمعات الاستقبال التي تسطر مجتمعاتها قوانين خاصة، وسلوكيات محددة، تلائم كل جنس على حدة.

على هذا الأساس، ليس من الغريب إذن أن تتباين أسباب ودوافع الهجرة، بحيث يشكل هذا التمييز القائم على أساس الجنس سببا رئيسيا في عديد موجات الهجرة النسائية، فطالما يقيد وصول المرأة إلى بعض المناصب المستحسنة نسبيا في وسطها الاجتماعي الأصلي،[1] إلا ويدفعها في اتجاه مقابل إلى التفكير في الهجرة بغرض تغيير الوسط وتغيير المكانة. ومن ثم فدراسة دور المؤسسات الاجتماعية في تحركات الهجرة النسائية، تعني بالأساس النظر في اختلافات هجرة الرجال مقارنة بالنساء والتي ترسخها أوجه عدم المساواة في كل من بلد المنشأ وبلد المقصد، وتشكل إثر ذلك عوامل طرد وجذب للمهاجرات الدوليات، كما أن التركيز على هذا العنصر يتيح إمكانية النظر في الهجرة النسائية من زاوية تنموية قوية.

مع استمرار التدفقات الهجروية النسائية يوما بعد يوم، ومع بداية تزايد الاهتمام العلمي بحركية هذه الفئة، بات بالإمكان النظر في العوامل المجتمعية كعوامل أساسية في هجرة النساء، بما في ذلك القيم الثقافية والمعايير الاجتماعية التي تحدد نوع المهاجر وإذ كانت المرأة ستهاجر وكيف ستفعل،[2] وحتى مع من ستهاجر، أي أن عدم المساواة بين الرجال والنساء بسبب الجنس يؤثر بطريقة أو بأخرى في موجات الهجرة. وخلاصة القول فإن هذا التمييز بين الجنسين، والذي يحضر في المؤسسات الاجتماعية بالبلد المصدر،، والبلد المضيف على حد سواء، هو تمييز لايرفع من تعداد المهاجرات الباحثات عن موطن جديد فقط، بقدر ما أنه يرفع

[1] Saw Ai Brenda Yeoh, Lan Anh Hoang, and Choy Fong Theodora Lam, Effects of International Migration on Families Left Behind, 2010.

[2] Elizabeth M. Grieco and Monica Boyd, Women and Migration: Incorporating Gender into International Migration Theory, Center for the Study of Population, Florida State University, 1998, p. 107.

أيضا من المشاكل التي تطرحها هجرة هذه الفئة، التي تصبح معترضة من قبل حواجز اجتماعية جديدة في البلد المضيف تعيق اندماجها.

يظهر إذن أن الهجرة الدولية في عموميتها ليست في جوهرها حركية أفراد فقط. بل هي وعاء خصب لتبادل المعايير الاجتماعية أيضا، خاصة تلك التي تتسم بالإيجابية من قبيل تعزيز المهاجرين للفعل الديمقراطي في بلدانهم، أو في جلب فكر استثماري من البلدان التي هاجروا إليها. كما أنها فيما يخص جانب الهجرة النسائي تلعب دورا كبيرا في تمكين النساء على مستويات عدة، منها ماهو سياسي، بحيث يساهم الشتات في نشر قيم المساواة بين الجنسين، حالما يبدأ المهاجرون يدركون حقيقة أن الأوضاع السياسية للمرأة في البلد المضيف، أحسن بكثير من تلك الأوضاع والظروف التي تعيشها النساء في البلدان الأصلية. وعلى هذا الأساس نلحظ أن الهجرة صوب الدول التي تشهد تمكينا قويا للنساء في مناصب القرار، تزيد من الرغبة في التمكين السياسي للمرأة في بلد المنشأ.

4) أوجه جديدة للهجرة النسائية : قوة اقتصادية

هيمن التردد منذ فترة طويلة على مجريات بحوث النوع الاجتماعي والهجرة الدولية، في مختلف سراديب البحث في علاقة المتغيرين معا، وتأثرت به جدلية الاعتراف بالنساء المتنقلات كفاعلات في موازين القوى، بل حتى أن حضور المرأة في سوق العمل تعرض لزحزحة إزاء هذا الجدل. ذلك أن المرأة المهاجرة صارت تجد نفسها في مواجهة عديد الصعاب، وهو ما يؤكده تاريخ هجرة النساء، الذي يؤكد على أنه لطالما كانت النساء الأجنبيات المهاجرات الأكثر تعرضا للاستغلال،[1] والذي يصل بهن إلى حد جعلهن ضحايا.

[1] Annie Phizacklea, 'Gender and Transnational Labour Migration', in Ethnicity, Gender and Social Change, ed. by Rohit Barot, Harriet Bradley, and Steve Fenton, Palgrave Macmillan UK, 1999, p. 30.

اللافت للنظر أن تاريخ هجرة النساء اصطدم على الدوام بإشكالية سوق العمل الدولية، وهو ما توضحه الاتجاهات الأولية في تحليل علاقة النساء بالهجرة منذ مطلع الثمانينيات، التي ذهبت للفت النظر في وضعية النساء المهاجرات كقوى عاملة بأسواق العمل، عبر تسليط الضوء على مساهماتها في هذا الاتجاه وانخراطها في أعمال وقطاعات عديدة، من قبيل قطاع التصنيع، وقطاع الصحة، أو حتى كعاملات منزليات. بالتالي فما يلاحظ أن الأعمال المنزلية، وأعمال الرعاية، تستقطب النساء المهاجرات أكثر من أي قطاع أخر.[1] وعلى الرغم من تعقد وصعوبة هذه القطاعات بالنسبة للفئة المهاجرة النسائية، إلا أنها تمنحها استقرارا ماديا، يوازيه استقرار اجتماعي، يسمح لها بتحقيق اندماج اقتصادي، تعمل من خلاله هذه الفئة على تأكيد حضورها في بلدانها الأصلية، ما يجعل الحديث يشتد حول البعد الاقتصادي القوي لهذه الفئة، فكيف ذلك ؟

يمكننا أن ننظر، إلى أن الفعل الهجروي يساعد من زاوية معينة على تحسين الوضع المادي للمهاجرين وذويهم. ذلك أن عملية الانتقال هذه تتيح للمهاجرين تحقيق دخل أعلى من جهة، وتسمح بالتأثير على بلدان المنشأ عبر التحويلات المالية المهمة التي تتم عبر خلق سيلان تدفقي للتحويلات في شكل التجارة والاستثمار الأجنبي المباشر.[2] ورغم توليفة الاتجاهين الماكرو اقتصادي، والاتجاه الميكرو اقتصادي، اللذين أضفيا الشيء الكثير في فهم الأبعاد الاقتصادية لفعل الهجرة الدولية، إلا أنهما بدورهما لم يتمكنا من إثارة الانتباه إلى الحضور الاقتصادي للنساء المهاجرات ومدى تأثيرهن في الرفع من اقتصاديات بلدانهم الرئيسية.

[1] Kofman, Eleonore, and Parvati Raghuram, Gendered Migrations and Global Social Reproduction. Springer, Palgrave Macmillan UK, 2015.

[2] Zsoka Koczan and others, The Impact of International Migration on Inclusive Growth: A Review, International Monetary Fund, 2021, P. 4

تضطلع النساء بدور كبير في التحويلات المالية المرسلة إلى بلدانهن الوطنية، ذلك أن هذه الفئة ترسل حصة أكبر من أرباحها إلى الوطن،[1] وفي الاتجاه الأخر تشكل النساء أيضا الفئة الكبرى المتلقية لهذه التحويلات، ثم إن هذه الفئة وفي حالة هجرتها الدولية نجدها تتجه لتحمل معيشة أسرها في دولتها الأصلية، وخصوصا النساء المهاجرات الأصغر سنا اللواتي يخصصن كامل نتاج عملهم لأطفالهم اللذين ظلوا ورائهم من قبيل المهاجرات الفيليبينيات والسيريلانكيات.[2] يتضح إذن، أن فهم علاقة متغيري النوع والتحويلات المالية في خصوصيتها بالهجرة الدولية، لا يمكن فهمها إلا انطلاقا من فهم طبيعة البعد الاجتماعي للمهاجرة، وذلك عبر معرفة كيف يؤثر الوسط الاجتماعي العائلي للمهاجرة في تحويلاتها المالية، باعتبار الوسط الأسري وسطا مليئا بالتعقيدات الاجتماعية المتناقضة، والتي تنتظم على قواعد أساسية عدة لعل من أبرزها، الجنس.

لا جدال أن الرفع من الذخل الاقتصادي يحفز النساء على الهجرة، ولا جدال أيضا أن هجرة النساء تتيح رفعا من وتيرة التحويلات المالية المرسلة، والتي تتجه في الغالب كما أشرنا على شاكلة مساعدات عائلية، وتشكل معها مصدرا هاما للذخل لعديد الأسر، ومعها أصبحت إيرادات المهاجرين التي يقدمونها لبلدانهم الوطنية أكبر بكثير مما تحققه اقتصاديات كبرى الدول، ولعل بلوغ التحويلات المالية المرسلة للدول النامية لنسبة 90 مليون دولار أمريكي سنويا خير دليل على القوة الاقتصادية التي تكنها هذه الفئة، والتي يصعب من خلالها الفصل بين الأطراف الفاعلة من ضمنها، حتى يستحيل معها النظر إلى من يرسل أكثر؟ الرجال أم النساء. إلا أن ما لاشك فيه أن المهاجرات يدفعن بتحويلات مهمة، يمكن اعتبارها أكثر من تلك التي

[1] Ninna Nyberg Sørensen, Migrant Remittances, Development and Gender, 2005.

[2] Ninna Sorensen, Globalización, Género y Migración Transnacional, Migración y Desarrollo. Córdoba, Publicaciones CSIC, 2005. P. 21.

يرسلها الرجال، خصوصا إذا ما أخذنا في عين الاعتبار عديد المتغيرات، من بينها استقلالية النساء العازبات اللواتي يهاجرن أكثر.

تلعب الاتصالات الأسرية والالتزامات الاجتماعية أحد الأسباب الكبرى في نسبة التحويلات المالية التي ترسلها النساء المهاجرات[1]، والتي تشكل جزءا كبيرا من ذخلها، وهي نسبة بقدر ما تحضر لدى المهاجرات الداخليات، فهي تصل بالحد قدره أو أكثر لدى المهاجرات الدوليات، رغما عن القدرة التعلمية التي تضطلع بها هذه الفئة أي أنه من الممكن أن يكون الذخل الخاص بها ضعيفا، إلا أن بعض الدراسات أثبت عكس ذلك، وأكدت على أن النساء ترسلن نسبة 25% أكثر من المهاجرين الذكور،[2] وخصوصا النساء المتزوجات أو المهاجرات العازبات.

لا مناص من الإقرار بأن الهجرة الدولية تساهم في جلب عديد المنافع للبلدان المضيفة، ولا هروب أيضا من الإقرار بأن النساء المهاجرات يسهمن في الرفع من جودة هذه المنافع،[3] ويسهمن بطريقة أو بأخرى في تدفق بعض الإيجابيات على الاقتصادات الدولية لبلدانهم الثانية، كما يفعلن أيضا في بلدانهم الأصلية عبر خارطة التحويلات المالية التي أشرنا إليها سلفا. ذلك أن هذه الفئة تسهم في هذا الجانب بشكل قوي وتملئ سوق العمل الثانوية التي يتجنبها المواطنون الأصليون في غالبية الأحيان، بالتالي فالهجرة المتحدث عنها والتي تروم تحقيق الفعل التنموي، لا تؤدي لخفض الأجور، أو لفقد الوظائف،[4] كما ادعى البعض في أكثر من مناسبة.

ما نريد التأكيد عليه هنا، أن حركة النساء المهاجرات صارت ذات بعد اقتصادي وجب أن يتم لفت النظر إليه، لا لإسهامهن في الرفع من الناتج الوطني

[1] Sara R. Curran and Abigail C. Saguy, Migration and Cultural Change: A Role for Gender and Social Networks?, Journal of International Women's Studies,Vol 2.3, 2001, p. 62.

[2] David L. Collinson, Identities and Insecurities: Selves at Work, Organization, Vol 10.3, 2003, p. 533.

[3] Dean Yang, Migrant Remittances, Journal of Economic Perspectives, Vol 25.3, 2011, pp. 129–152.

[4] Amelie F. Constant, Do Migrants Take the Jobs of Native Workers? IZA World of Labor, 2014.

العام لاقتصاديات بلدانهن، لكن نظير ما يتحنه ورائهن رفقة المهاجرين الذكور أيضا، من فرص عمل تشغلها الفئة الغير مهاجرة ، وتستفيد من منافعها، أي أن فرص العمل تزداد كلما خرجت فئة مهاجرة معينة، ونتيجة لهذا يستفيد الاقتصاد الوطني من الطرفين، أي من الفئة المهاجرة، ومن الفئة التي ظلت في حدود التراب الوطني. قس على ذلك أيضا العودة المحتملة للمهاجرين، سواء المشكلين لليد العاملة الدولية والمستجيبين لنداء أسواق العمل الدولية، أو بالنسبة للفئة التي تتمتع بمستويات معرفية كبيرة، أي أنهم كلهم مرشحين للعودة وحاملين لتجارب حياتية معينة وخبرات ومهارات، يمكن استثمارها فيما تبقى من فترات حياتهم في مشاريع تنموية ببلدانهم الوطنية، وحتى إن لم تكن أفكار، فسيكون هناك حتما رأسمال مادي لا بأس به.

إذن فالعودة النهائية لهذه الفئة المهاجرة، تسهم حتما في رسم بعض خيوط الفعل التنموي، وهو أيضا الحديث الذي يمكن أن ينزل على المهاجرين المتنقلين ذهابا وإيابا أي في شكل (هجرة دائرية)، واللذين يمكنون البلدان المرسلة والمستقبلة من اقتسام بعض الفوائد.[1] وهي فوائد تبرز في شاكلة (التفضيلات) أيضا التي تصبح البلدان المستقبلة للمهاجرين تستوردها اقتصاديا بشكل كبير على غرار المأكولات، والمنتجات الثقافية.

5) مشاكل وتحديات الهجرة النسائية

حال الحديث عن انقطاع الروابط الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة، يجادل "الان تورين" Alain Touraine بأن المجموعات الاجتماعية صارت تبدو كلها في أزمة، نظير ذخولها في متاهات وفراغات،[2] تضرب بنتائجها السلبية أكثر ما تضرب الفئات الأضعف، والأشد تبعية، والتي تمسي نظير هذا التهميش تشعر بفقدان الذات. ولعل أكثر من يشعرن بفقدان معنى ذواتهن هن النساء إلى جانب العمال

[1] Amelie F. Constant, Olga Nottmeyer, and Klaus F. Zimmermann, The Economics of Circular Migration, in International Handbook on the Economics of Migration, Edward Elgar Publishing, 2013, p 63.

[2] Alain Touraine, Un Nouveau Paradigme: Pour Comprendre Le Monde d'aujourd'hui, Fayard, 2005, P. 128.

والمهاجرين. وهي فئة شكلت على الدوام فئة تتحدد بدونيتها، ووصل معها درجة لم يعد بالإمكان فيها التستر عن تواتر العنف ضد النساء وارتفاع خطورته. سيما أن هذه الفئة لم تعد هي نفسها بالطريقة التي عهد إليها بها، بل صارت لها أدوار عدة متغيرة أدت لظهور ثقافة أنثوية جديدة،[1] وهي ثقافة ذات ميزات حسنة لها من القدرة ما يكفي في نظر الان تورين Alain Touraine لتحويل المجتمع لمكان أكثر إنصاف وعدل. ومن ثم لا تصبح المرأة في أي وضعية كانت ضحية سلبية للنظام، بل تصبح عاملة فاعلة، قادرة على تشكيل مصيرها الخاص. لكن هل يصح هذا الإسقاط على النساء المهاجرات في عالم اليوم، لاسيما ونحن نعاين تحول الهجرة النسائية إلى هجرة ذات أبعاد مغايرة ؟

رويدا رويدا، تم الانتقال من نهج بحث النساء المهاجرات إلى نهج جديد، سعى إلى موضعة النوع الاجتماعي كنظام اجتماعي في سياق عمليات الهجرة لكل من النساء والرجال،[2] وهو اتجاه بدأ بتسليط الضوء على الطرق التي تنظم بها بناءات الذكورة والأنوثة على فعل الهجرة ونتائجه، ولعل أهمها النتائج الاقتصادية التي صارت تتوخى من النساء المهاجرات النجاح في هذا الدور أيضا، إلا أن قيام فاعل اجتماعي ضمن أي مجال كان، لايمكن له أن لايضطلع بأي مشاكل، ولعل أهم ما يختلج مسار النساء المهاجرات نجد النظرة الدنيوية التي تختزلها في كونها امرأة، وتزداد حدة باعتبارها مهاجرة، من جنسية وثقافة أخرى، مايجعل من عملية اندماج هذه الفئة واستقرارها غير ثابتة، بل ومعرضة لتقلبات عديدة. ثم إن هكذا نظرة تزيد من شساعة العلاقات الاجتماعية التي من الممكن أن تخلقها النساء،[3] وتمكنها من الولوج لسوق الشغل وبالتالي تحقيق استقرار اقتصادي، وعليه تبقى المعاملة التي يسير بها

[1] Alain Touraine, Le Monde Des Femmes, Fayard, 2006.

[2] Pierrette Hondagneu-Sotelo, Introduction: Gender and Contemporary U.S. Immigration, American Behavioral Scientist, 42.4, 1999, pp. 565–576.

[3] David Cox, Lloyd Owen, and Cliff Picton, Asian Women Migrant Workers: Maximising the Benefits of Their Experiences, Regional Social Development Centre, Graduate School of Social Work, 1994.

المواطن الأصلي علاقاته مع الجالية المهاجرة مختلفة فيما بين المهاجرين باختلاف جنسهم. أي أن التعامل مع الرجل في قطاع الخدمات، وقطاع الصحة، وقطاع التعليم، وغيره... لاتحضر فيه نفس التصرفات والتفاعلات التي تعقد بوجود عاملة امرأة، وهو ما يفسر ارتفاع حالات التحرش في صفوف المهاجرات، ومعها أرقام الاغتصاب، والاستغلال والاعتداء الجنسي.

إلى جانب هذا، نجد أن مشاكل النساء المهاجرات يمكن تجسيدها كلية في غيابها الغير مفهوم ضمن قوالب السياسات العمومية سواء الدولية، أو الوطنية، المدبرة لإشكالية حركية هذه الفئة وهجرتها، والتي يبرز أن اهتمامها يشوبه الضعف نظير عدم مراعاته للنوع الاجتماعي في العوارض القانونية التي يسنها، والتي تقتصر فقط على بعض النقط الغير كفيلة بالإجابة عن إمكانية تحقيق الاندماج من عدمه. كما هو الحال بالنسبة للسياسة الكندية التي يتسم نهجها بإقصاء واضح للنوع الاجتماعي من ضمن عمليات طلب اللجوء للأراضي الكندية. فالتدفقات الجديدة للهجرة المكسيكية نحو كندا أبانت على حد تعبير مونيكا بويد Monica Boyd عن " بداية الاتجاه ومن جديد نحو منظورات لاتراعي الفوارق الجنسية بين المهاجرين على الإطلاق "،[1] وذلك على الرغم من المشاكل والصعوبات التي تواجه فئة النساء ومطالبهن العادلة والمشروعة التي لازالت تواجه باللامبالاة، في حين أن وسائل الإعلام غالبا ما تصور فئة النساء المكسيكيات المهاجرات على أنها فئة متجانسة مندمجة في الحياة الاجتماعية. بالتالي يمكن القول، أن استمرارية اللامراعاة للفوارق الجنسية في تدبير مسألة الهجرة، وما يتبعها من اندماج، ثم تنمية، تظل عملية خطرة تعرض مطالب هذه الفئة للتهميش ولخطر استحالة الاستفادة من تجاربهن.

[1] Monica Boyd and Joanne Nowak, A Gender-Blind Approach in Canadian Refugee Processes. Mexican Female Claimants in the New Refugee Narrative, Gender, Migration and Categorisation: Making Distinctions between Migrants in Western Countries, 2010, pp. 105–125.

خاتمة

حري بنا أن نؤكد في الأخير، على أنه وفي ظل عالم معولم ينكر الوضوحيات وينبذها، فإن الحديث عن المهاجرين بوصفهم عملاء للعولمة يصعب حصره في اتجاه واحد. فكونهم حركيون ويد عاملة قوية تخفض الأجور، وتنشط في سوق الأعمال الثانوية، أمر صحيح، وكونهم أيضا ذوي طبيعة تكميلية إنتاجية، يخلقون المنافسة ويرفعون من الذخل، ومستهلكون للخذمات بوفرة، هو أمر صحيح أيضا. بالتالي ففي الوقت الذي لم يعد بالإمكان وقف سيولة الحركية هذه، وما يترتب عنها من مشاكل، فإنه صار من الجلي والواضح التعامل معها على أنها واقع اجتماعي، وجب بحث فرص استغلاله على أكمل وجه، وذلك عبر توجيه عوائده أيا كانت (بشرية. مادية)، بغرض استثمارها على نحو أفضل خذمة للتنمية، ولعلها اتجاهات لا يمكن أن تستقيم دونما نبذ الفوارق المصطنعة ثقافيا وبصورة اجتماعية أكثر حول المهاجرين.

يبرز المهاجرون الدوليون بالتالي على اختلاف أجناسهم الوطنية، في المرحلة الأنية بشكل متحيز جزئي، والاختلاف هنا ليس اختلاف أصل، وهوية وطنية، بقدر ما أنه ينم عن اختلاف بيولوجي يفرق الذكور عن الإناث، وترفع من حدته أليات التغييب المتعددة (الإعلام . النقاشات العمومية . الطروحات السياسية...) والتي تسهم في إخفاء عديد المهاجرات، وأنشطتهن الاقتصادية، على الرغم من أن العنف المتفشي حول هذه الفئة صار من الصعب إخفاؤه أكثر، نظير دأبه على التكرر، وإعادة إنتاج نفسه، بصور جديدة ولعل انتشار صراعات الحجاب الإسلامي والتعدد الزوجي لا للحصر، خيرا دليل على بداية نقل النقاش من ضحايا متخفيات إلى ضحايا بارزات في الفضاءات العمومية.

لائحة المصادر والمراجع

Arab, Chadia, Les Aït Ayad: La Circulation Migratoire Des Marocains Entre La France, l'Espagne et l'Italie, PU Rennes, 2009.

Benelli, Natalie, Janine Dahinden, Magaly Hanselmann, Karine Lempen, and Magdalena Rosende, Migrations: Genre et Frontières-Frontières de Genre, Nouvelles Questions Féministes–Revue Internationale Francophone, Antipodes, 2007.

Bircan, Tuba, and Sinem Yilmaz, A Critique of Gender‐blind Migration Theories and Data Sources, International Migration, Vol. 61.4 , 2023, pp. 170–185.

Boyd, Monica, Women, Gender, and Migration Trends in a Global World, in The Palgrave Handbook of Gender and Migration, ed. by Claudia Mora and Nicola Piper, Springer International Publishing, 2021, pp. 19–36.

Boyd, Monica, and Joanne Nowak, A Gender-Blind Approach in Canadian Refugee Processes. Mexican Female Claimants in the New Refugee Narrative, Gender, Migration and Categorisation: Making Distinctions between Migrants in Western Countries, 2010 (1945), pp. 105–125.

Castles, Stephen, and M. Miller, The Age of Migration. Basingstoke & New York, Palgrave Macmillan, 2003.

Catarino, Christine, Mirjana Morokvasic, and Marie-Antoinette Hily, Femmes, Genre, Migration et Mobilités. Vol. 21-N° 1, 2005.

Collinson, David L., Identities and Insecurities: Selves at Work, Organization, Vol. 10.3, 2003, pp. 527–547.

Constant, Amelie F., Do Migrants Take the Jobs of Native Workers?, IZA World of Labor, 2014.

Constant, Amelie F., Olga Nottmeyer, and Klaus F. Zimmermann, The Economics of Circular Migration, in International Handbook on the Economics of Migration,

Edward Elgar Publishing, 2013, pp. 55–74 .

Cox, David, Lloyd Owen, and Cliff Picton, Asian Women Migrant Workers: Maximising the Benefits of Their Experiences, Regional Social Development Centre, Graduate School of Social Work, La Trobe, 1994.

Curran, Sara R., and Abigail C. Saguy, Migration and Cultural Change: A Role for Gender and Social Networks?, Journal of International Women's Studies, Vol.2.3 , 2001, pp. 54–77.

Grieco, Elizabeth M., and Monica Boyd, Women and Migration: Incorporating Gender into International Migration Theory, Center for the Study of Population, Florida State University, 1998.

Hondagneu-Sotelo, Pierrette, Introduction: Gender and Contemporary U.S. Immigration, American Behavioral Scientist, Vol. 42.4, 1999, pp. 565–576.

Kawar, Mary, Gender and Migration: Why Are Women More Vulnerable, Femmes et Mouvement: Genre, Migrations et Nouvelle Division International Du Travail, Vol. 71,2004.

Koczan, Zsoka, Giovanni Peri, Magali Pinat, and Dmitriy Rozhkov, The Impact of International Migration on Inclusive Growth: A Review, 2021.

Kofman, E., Phizacklea, A., Raghuram, P., & Sales, R. Gender and International Migration in Europe. Routledge, 2000.

Kofman, Eleonore, Female "Birds of Passage" a Decade Later: Gender and Immigration in the European Union, International Migration Review, Vol. 33.2, 1999, pp. 269–299.

Kofman, Eleonore, and Parvati Raghuram, Gendered Migrations and Global Social Reproduction, Palgrave Macmillan UK, 2015.

Morokvasic, Mirjana, Femmes et Genre Dans l'étude Des Migrations: Un Regard Rétrospectif, Les Cahiers Du CEDREF. Centre d'enseignement, d'études et de Recherches Pour Les Études Féministes, Vol. 16, 2008, pp. 33–56.

Morokvasic, Mirjana, L'(in) Visibilité Continue, Cahiers Du Genre, Vol. 2, 2011, pp. 25–47

Péridy, Nicolas, Un Modèle Généralisé Des Déterminants Des Migrations Internationales 1: Application Aux Migrations Des Pays Méditerranéens Vers l'ue, Revue Économique, Vol. 61.6, 2010, pp. 981–1010

Phizacklea, Annie, Gender and Transnational Labour Migration, in Ethnicity, Gender and Social Change, ed. by Rohit Barot, Harriet Bradley, and Steve Fenton, Palgrave Macmillan UK, 1999, pp. 29–44.

Sassen, Saskia, Women's Burden: Counter-Geographies of Globalization and the Feminization of Survival, Journal of International Affairs, 2000, pp. 503–524.

Sorensen, Ninna, Globalización, Género y Migración Transnacional, Migración y Desarrollo. Córdoba, Publicaciones CSIC, 2005.

Sørensen, Ninna Nyberg, Migrant Remittances, Development and Gender, 2005.

Tabet, Paola, La Grande Arnaque: Sexualité Des Femmes et Échange Économico-Sexuel, La Grande Arnaque, 2005, pp. 1–211

Touraine, Alain, Le Monde Des Femmes , Fayard, 2006.

Touraine, Alain, Un Nouveau Paradigme: Pour Comprendre Le Monde d'aujourd'hui , Fayard, 2005.

Yang, Dean, Migrant Remittances, Journal of Economic Perspectives, Vol. 25.3, 2011, pp. 129–152.

Yeoh, Saw Ai Brenda, Lan Anh Hoang, and Choy Fong Theodora Lam, Effects of International Migration on Families Left Behind, 2010.

بلاغة الإقناع في الخطاب السياسي في نقائض جرير والفرزدق خطاب الخلافة الأموية نموذجا

د. الحسين بلا
باحث في وحدة النص الأدبي العربي القديم
الأكاديمية الجهوية لتربية والتكوين لجهة سوس ماسة المغرب

ملخص:

شغلت بلاغة فن الشعر النقاد والبلاغيين عبر مر الأزمان، من بلاغيي اليونان، والعرب القدماء، إضافة إلى المعاصرين، على اختلاف مدارسهم ومنطلقاتهم النظرية، وقد تطورت نظرية البلاغة في العصر الحديث مستفيدة من البلاغة القديمة، وتأتي هذه الدراسة لتسلك هذا السبيل ولكن برؤية تستفيد من البلاغتين القديمة، والجديدة، وستعنى بشكل رئيسي بدراسة بلاغية حجاجية لخطاب لم ينل حظه من البحث، وهو خطاب النقائض الذي تزاوج بلاغته في الآن نفسه بين الرؤية الجمالية والحجاجية، ونقصد هنا نقائض الفحول المشهورين في فترة الخلافة الأموية، وكان لظروف هذا الخطاب الأثر الكبير في أسسه البلاغية، وخاصة البعد السياسي المتمثل في الصراع على الخلافة، لذلك فهذه الدراسة ستتناول بلاغة الخطاب السياسي في نقائض فحلين كبيرين، وهما الفرزدق وجرير، وخاصة خطاب الخلافة.

كلمات مفتاحية: النقائض ـ الخلافة ـ بلاغة ـ رموز ـ حجج.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بلا، الحسين. (2024، يوليوز). بلاغة الإقناع في الخطاب السياسي في نقائض جرير والفرزدق: خطاب الخلافة الأموية نموذجا. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 207-226.

Abstract:

The rhetoric of the art of poetry has preoccupied critics and rhetoricians throughout the ages, from the rhetoricians of ancient Greece and the Arabs, in addition to the contemporaries, in their different schools and theoretical starting points. The old and the new, and it will be mainly concerned with a rhetorical and argumentative study of a discourse that did not receive much research, It is a discourse of contradictions whose eloquence combines at the same time the aesthetic and argumentative vision. Here we mean the contradictions of the famous stallions of the Umayyad Caliphate period. The circumstances of this discourse had a great impact on its rhetorical foundations, especially the political dimension represented by the struggle over the caliphate. Therefore, this study will address the rhetoric of the discourse. Politics in the contradictions of two great stallions, Al-Farazdaq and Jarir, especially the Caliphate speech.

Keywords : Contradictions - Caliphate - Rhetoric - Symbols – argument.

مقدمة

مثلت النقائض الشعرية فنا شعريا، له قواعد وأسس فنية وبلاغية، وقد برز كفن مكتمل البناء نظريا وتطبيقيا في عصر خلفاء بني أمية، على يد شعراء أبرزهم جرير والفرزدق، وقد مزج هذا الفن بين مجموعة من الأغراض الشعرية، منها المدح والهجاء والفخر، وكان في جانب مهم منه شعرا سياسيا، امتزجت فيه روح القبيلة بالولاءات الحزبية التي طبعت هذه المرحلة، ومن هذا المنطلق اهتم هذا المقال بالجانب السياسي المتعلق بالخلافة الأموية، وسعى إلى دراسة بلاغة الإقناع في شعر الخلافة الأموية، بتحليله من أجل معرفة الطرق والآليات التي اعتمدها جرير والفرزدق في صياغة هذا الخطاب، وتناول هذا الجانب، وبناء على ذلك تجلت أهمية هذا المقال في كونه يسعى إلى الإجابة عن أسئلة من قبيل:

ما تجليات خطاب الخلافة الأموية في نقائض جرير والفرزدق؟ وما الوسائل الإقناعية الحجاجية التي استعملها الشاعران في هذا الخطاب؟ وكيف استطاعا إقناع الجمهور بأحقية الأمويين بالخلافة؟

وبذلك فهذا البحث يهدف في عمومه إلى الكشف عن الإقناع والحجاج في خطاب الخلافة عند جرير والفرزدق في نقائضهما، ولهذا فهو يعتمد على التحليل البلاغي طريقا ومنهجا، ومن النظرية الحجاجية أساسا لهذا التحليل.

وسيبدأ هذا البحث بالتعريف بمفهوم النقائض، وتطور هذا الفن في العصر الأموي، والتعريف بالشاعرين، موضوع الدراسة، إضافة إلى ارتباطات البلاغة بالبعدين الجمالي والإقناعي، ثم سيصل بعد ذلك إلى الجانب التطبيقي عبر دراسة الوسائل الإقناعية في خطاب الخلافة عند جرير، ثم الفرزدق.

المحور الأول: فن النقائض في العصر الأموي

أولا. الخصائص الفنية للنقائض الشعرية في العصر الأموي:

تطور فن النقائض في الفترة الأموية فصارت له قواعد محددة لدى شعرائها، فلم تعد مجرد مقطعات سريعة، فالصراع والجدال المشكّل لمفهوم النقائض يفرض على الشاعر اتباع سمت وطريقة البادئ بالمناقضة، لأن ذلك مما يثبت قوة الشاعر ومقدرته الفنية.

كما ابتعدت عن كونها ردّا فطريا خاطفا منقادا بغضب أو عاطفة تُنسي أو تُغيّب الالتزام الفني بل صار صناعة شعرية متأنيّة متعقّلة تتدخل فيها عوامل عقلية وفنيّة، وإن كانت تتحكم في الشاعر العاطفة أثناء التناقض.

وإن مما يميز فن النقائض بشكل أساسي، طولها الذي يرجع إلى طول نفس الشعراء، وعدم بخلهم بما تجود به قرائحهم وعقولهم، من أخيلة وصور فنية قوية، وقد تحولت نقائض هذا العصر إلى مناظرات عقلية وأدبية بإجماع كبار الباحثين [1]، فقد كان كل شاعر من شعراء النقائض " يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلا دليلا، كأننا أصبحنا بإزاء مناظرات شعرية، وهي مناظرات كانت تتخذ سوق المربد مسرحا لها..."[2].

وقد ساعد في ذلك كون هذ العصر "عصر إحياء العصبيات القبلية" مما أتاح للشعراء حرية واسعة للقول، حيث شكلت المادة القبلية، وهي مادة واسعة تضم المثالب والأيام وغير ذلك، مادة أساسية في فن النقائض، لذلك كان مما يميز شاعر

[1]. محمد مصطفى هدارة: الشعر العربي في القرن الأول الهجري، دار المعارف. القاهرة. 1963، ص 419.

[2]. شوقي ضيف: العصر الإسلامي، دار المعارف. القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ص 242.

النقائض اطلاعه الواسع،ومما ترويه كتب الأخبار القديمة أن جريرا لم يُسكت العباس بن يزيد الكندي، إلا حين بحث عن مثالبه وهجا بها[1].

ثانيا. تطورفن النقائض في العصر الأموي:

تطورت النقائض في العصر الأموي على نحو خاص ليس فقط من الناحية الفنية المتعارف عليها، وإنما من حيث الكمّ أيضا، حيث ظهر شعراء كُثر كان أكثرهم ضد جرير، ففاخرهم ونابزهم فلم يصمد منهم سوى ثلاثة، وهم الفرزدق والأخطل والبعيث، وقد ذكر صاحب "الأغاني" بأن جريرا قارع ثمانين شاعرا، وغلبهم جميعا [2]، وقيل غير ذلك [3].

ولعل مسألة عدد الشعراء الذين ناقضوا جريرا توضح خطورة فن النقائض في هذا العصر حيث اتسع مجال القول فيها مقارنة بالجاهلية وصدر الإسلام، وقد أرجع الدكتور شوقي ضيف نمو فن النقائض وتطوره في هذا العصر إلى أسباب مختلفة، منها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو عقلي؛ "أما العوامل الاجتماعية فمردها إلى حاجة المجتمع العربي خاصة في البصرة إلى ضرب من الملاهي يقطع به الناس أوقاتهم الطويلة"[4]؛ وأما العوامل العقلية فمردها "إلى نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة في النِّحل السياسية والعقيدية وفي الفقه وشئون التشريع"[5].

ومن المعروف أن نقائض هذا العصر اشتهرت بين الفحول الثلاثة، جرير والفرزدق والأخطل، وسنقتصر في التعريف على الشاعرين الأولين، فجرير، وهو ابن

[1]. أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني: الأغاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عبّاس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2008، المجلد الثامن، ص 16. 17.

[2]. الأغاني، المجلد الثامن، ص 37.

[3]. نفسه وعينه، ص 8.

[4]. العصر الإسلامي، ص 241.

[5]. نفسه، ص 242.

عطيّة بن حذيفة، وكان يكنى أبا حزرة [1]، شاعر ينتسب إلى فرع من تميم وهو بنى كليب بن يربوع [2]، وكان أشعر أهل عصره، وكان هجاؤه مرّا، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، وبيته هو من بيوتات الشعر في الإسلام، فقد كان هو وأبوه عطية وجدّه الخطفي شعراء وكان بنوه وبنو بنيه شعراء [3].

وكان جرير من فحول شعراء الإسلام، وقد سلكه ابن سلام الجمحي ضمن الطبقة الأولى من شعراء صحبة الفرزدق والأخطل والراعي النميري [4]، ويشبّه من شعراء الجاهلية بالأعشى [5]، وهو في رأي الشاعر بشار ابن برد العقيلي يحسن ضروبا لا يحسنها الفرزدق والأخطل [6]، فقد سلك أساليب من الشعر لم يسلكها الفرزدق، ومما يؤكد هذا الكلام أنه لما ماتت النوار، كانوا ينوحون عليها بشعر جرير [7].

وأما الثاني فهو الفرزدق، هو همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم[8]، الفرزدق لقب غلب عليه، وهو الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت، وقيل غير ذلك[9]، وهو من بيت شريف عرف برجالات كانت لهم درجة عظيمة في الجاهلية، وافتخر بذلك في شعره، فجدّه صعصعة بن ناجية كان من وجوه تميم، وكان عظيم القدر[10]، فقد وفد على رسول

---

[1]. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ج 1، ص 464.

[2]. نفسه وعينها.

[3]. أبو على الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، 1981م، الجزء الثاني، ص 1078.

[4]. محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السفر الثاني، ص 297.

[5]. نفسه وعينه، ص 66. والشعر والشعراء، ج 1، ص 465.

[6]. طبقات فحول الشعراء، السفر الثاني، ص 374.

[7]. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الفاضل، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1995 م، ص 108.

[8]. طبقات فحول الشعراء، السفر الثاني، ص 298.

[9]. الشعر والشعراء، ج 1، ص 472. الأغاني، المجلد الحادي والعشرون، ص 193.

[10]. الشعر والشعراء، ج 1، ص 471.

الله في وفد من تميم، وكان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية، فاستحسن النبي عمله [1]، وأوصاه النبي بأمه وأبيه وأخيه وأخته وإمائه [2].

المحور الثاني: بلاغة الشعر بين الوظيفة الجمالية والإقناعية

البلاغة في اللغة، من بلغ: بَلَغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وصَلَ وانْتَهَى [3]، وسمّيت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه [4].

وأما ارتباط البلاغة بالشعر ليس أمرا جديدا بل هو قديم، بل إن الربط بين البلاغة والخطاب أمر ليس بالجديد فقد تناولت البلاغة أنواعا مختلفة منها الشعرية[5]، وبما أن البلاغة بحث في سمات الكلام البليغ المؤثر، ومنه الشعري، فقد ارتبطت بالحجاج والحجة، وقد اهتم البلاغيون العرب بالأساليب التي تمكن من إصابة المعنى، وحسن الإيجاز[6]، وعندما سئل ابن المقفع عن معنى البلاغة أجاب بأن البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في الاحتجاج[7].

تؤكد تعريفات النقاد والبلاغيين للشعر على أنه تعبير فني قائم على الانزياح في اللغة، وعلى التصوير والتنظيم والأسلوب، ورغم خاصيته الجمالية المحققة

---

[1]. الأغاني، المجلد الحادي والعشرون، ص 195.

[2]. نفسه، وعينه، ص 196.

[3]. ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، نسخة مذيَّلة بحواشي الشيخ اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ج 8، ص 419.

[4]. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، 1952م، ص 6.

[5]. محمد مشبال: بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، دار العين للنشر، الإسكندرية، 2013م، ص 7.

[6]. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج 1، ص 242.

[7]. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، شرح عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، 1998م، ص 116.

لبعده الإمتاعي فإنه ذو حمولة إقناعية [1]، وفي تراثنا البلاغي تحدث حازم القرطاجني بتأثير من بلاغة أرسطو عن المراوحة والمزاوجة بين المعاني التخييلية والإقناعية أو الحجاجية في القصيدة الشعرية الواحدة، ومن خلال مقارنته بين معاني الشعر والخطابة، يعتبر حازم أن أساس الشعر هو النوع الأول من المعاني، وأما النوع الثاني فهو سائغ ومقبول فيه، والعكس بالنسبة للخطابة، والسبب في ذلك أن الغرض من الفنين واحد "وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه" [2]، فإعمال الحيلة بتقليب المعاني والتفنن في القول بتدقيق النظر فيهما، والتأثير في المتلقي حاضران ضمن ملابسات إنشاء القوْل الشعري.

وهذه المراوحة بين التخييل والإقناع أو الخطابية من الأشياء التي بلاغة الشعر وقوته، فالنفس "تُحِب الافتنان في مذاهب الكلام، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض، لتجدد نشاطها بتجدد الكلام عليها... فوَجب أن يكون الشعر المُراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه " [3].

والنقائض كغيره من النصوص الشعرية يمتزج فيها البعدان الجمالي والإقناعي، لأن المحدد الرئيس للنقيضة هو إقناع الشاعر خصمه، وإفحامه، والرد عليه متوسلا في بلوغ ذلك بطرائق أسلوبية وحجاجية مختلفة [4].

[1]. عادل عبد اللطيف: الحجاج في الخطاب مقاربات تطبيقية، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، الطبعة الأولى، 2017م، ص 49.

[2]. أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م، ص 361.

[3]. نفسه وعينها.

[4]. عبد القادر بقشى، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، طبعة 2007م، ص 73.

المحور الثالث: بلاغة الإقناع في خطاب الخلافة في نقائض جرير والفرزدق

أولا. بلاغة الإقناع في خطاب الخلافة عند جرير:

مما يلاحظ في البداية أن خطاب الخلافة عند جرير خطاب سياسي يتجه إلى الخلافة بشكل غير مباشر، فهو يتناوله في سياق فخره بتفوق جماعته على الخصوم، فهو يخاطب الفرزدق بأنهم [1]:

فَخَروا عليكَ بكلّ سامِ مُعلِم فافخرْ بصاحِبِ كلبتين وكيـــــرِ

فالشاعر يقابل بين طرفين، أو جانبين، وهي مقابلة قائمة على التناقض، والذي يؤدي إلى حدوث المسافة والتباعد بين المتناقضين، فشتان ما بين صاحب المقام العالي والنسب الشريف، وبين صاحب الكلبتين والكير، وهو الحدّاد، وهذه المقابلة تعتمد الجانب القيمي الاجتماعي، وهو مصدر لحجج المتكلم، فهو يخلق وضعيتان اجتماعيتان، الأولى ترمز للرفعة، والثانية للوضاعة.

ويستمر الشاعر باعتماد تقنية سرد الوقائع لتقوية التناقض، ويستخدم شواهد لتقوية تصديق المخاطبين لفكرة أفضلية قومه على غيرهم، فالخلفاء والأمراء المتتابعين من قومه، ويصدر هذه الحجة بـ"كم" الخبرية التكثيرية، فقومه [2]:

كـم أنجبوا بخليفةٍ وخليفةٍ وأميـرِ صائِفَتَين وابـنِ أميـــــرِ

وهو يحقق التفاوت والتناقض عن طريق استخدام الشاهد، الذي يتميز في الثقافة العربية بسلطة حجاجية، فكثرة الخلفاء، ومنهم الوليد وسليمان ابني عبد الملك، شاهد يعزز المقابلة، ويقوي فخره بقومه.

---

[1] . أبو عبيد الله اليزيدي، (رواية) عن أبي سعيد السّكري عن ابن حبيب عن أبي عبيدة: شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق وتقديم الدكتور محمد إبراهيم حُوّر والدكتور وليد محمد خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الثانية، 1998م، ج 3، ص 1030.

[2] . شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 3، ص 1030.

ويحاول جرير الوصول إلى الاعتراف للأمويين بالخلافة، والقدرة على قهر المتمردين، عن طريق مدح قادتهم والإشادة بأفعالهم، فيقوم بعملية انتقاء لمعطيات جاهزة عن الشخصيات السياسية بما يلائم محاجته، ويزكي ويحقق غايته، فالأحقية بالحكم، وعظمة الخلافة، لا تتأتى إلا بقدرة قادتها ورجالها على توفير الأمن للناس، وحفظهم لوحدة الأمة، وفي هذه الحالة يتأثر وجدان المخاطبين، فتتكون لديهم قناعات سياسية تتوافق مع مقصدية الشاعر.

فجرير يوظف الترابط القائم بين العمل والشخص، فالأعمال تجلو جوهر الشخص وتفسره [1]، فالحَجَّاج مثلا قضى على ثورة الخُبيبانِ، وهما عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب، لذلك فهو يقول[2]:

أرَى الطَّيرَ بالحجَّاجِ تجـرِى أيامِناً لكُمْ يـا أميرَ المؤمنينَ وأسـعُـدا

رجعـتَ لبيتِ الله عـهـدَ نـبـيِّـه وأصلحْت ما كانَ الخُبيبانِ أفسَدا

فهو يذكر الشخوص بأفعالها، بناء على الواقع، وإن كان نسبيا، والارتباط القوي بين الشخص والفعل والواقع، يرفع مصداقية الخطاب، وصحة الموقف، وهذا الارتباط حجة من حجج الاتصال التواجدي، و"يكون بين شخص وبين أعماله وعموما بين الجوهر وتجلياته"[3]، ويسلك الشاعر الطريقة الحجاجية نفسها، حيث يتناول في نقائضه قائدا آخر، وهو والي مكة على عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، خالد بن عبد الله القسري [4]:

لقد كانَ داءٌ بالعـراقِ فـما لَـقُوا طبيباً شَـفى أدواءَهم مثـلَ خـالدِ

[1] . عبد الله الصولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011م، ص 51.

[2] . شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 654.

[3] . علي الشبعان: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى، 2010م، ص 150.

[4] . شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 3، ص 1065.

شَفاهُم بحلمِ خالَطَ الدِينَ والتُقا ورأفةَ مهدِيّ إلى الحق قاصدِ

فإن أميرَ المؤمنينَ حَباكُمُ بمُستبصرٍ في الدين زَين المَساجدِ

وأبْلى أميرَ المؤمنينَ أمانَةً وأبلاهُ صِدقاً في الأمورِ الشدائدِ

فخالد بن عبد الله شخصية قامت بالقضاء على الفتن، كما تتميز بمجموعة من الصفات فهي تمزج بين الحِلم أو العقل مع الدين والتقوى، والرأفة في الحكم بين الناس، ويتبع في ذلك سنة كلّ مهْدي إلى الحق، إضافة إلى كونها شخصية مستبصرة بالدين، وزيَّنَت مسجد الرسول (ﷺ)، وهو أمين وصدوق في التعامل مع الأمور الشداد.

إن ذكر صفات وأفعال الشخصية استراتيجية حجاجية يبتغي من خلالها الشاعر تحقيق نتيجة، فحسن اختيار القادة والولاة يجعل الأمويين مستحقين للخلافة دون غيرهم، لذلك فالشاعر يمزج بين الصفات الأخلاقية والسياسية (والعسكرية)، الدينية والدنيوية، ليحقق جوهر هذه الشخصية، فهي جوانب تحقق الكمال في الشخصية، وكلما كان الاتصال بين الشخصية وما تتميز به قويا، كلما كان الإقناع محتملا.

كما يمدح هلال بن أحوز، متبعا نفس الطريقة، فيذكر قتله لآل المهلب في عهد يزيد بن عبد الملك [1]، حيث يقول [2]:

فلم تُبقِ منهم رايةً يرفعونهَا ولم تُبقِ من آلِ المُهلّبِ عَسكرا

وأطفأتَ نيرانَ النفاقِ وأهلِها وقد سارعوا في فتنةٍ أن تسعّرا

[1] .أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ج 5، ص 189.

[2] .شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 3، ص 1071.

وقد استعمل جرير آلية حجاجية أخرى، وهي الرموز، وهي ذات وظيفة حجاجية من خلال ارتباطها بعناصر ودلالات واقعية، فقد أدرج ألفاظا دينية أو إسلامية عكست احتجاجه للخلافة الأموية، لذلك نجد ألفاظا مستقاة من "الإمارة" أو "الإمامة" أو " الخلافة "، وهي مصطلحات إسلامية دالة على المنزلتين الدينية والدنيوية.

فـ "قيمة الرمز ودلالته تستمدان مما يوجد من ترابط واتصال تزامني بين الرامز والمرموز إليه " [1]، فـ "أمير" و"الإمام" و"الخليفة"، رموز تدل على الدولة والأمة الإسلامية المتلاحمة، واستعمالها يقوي ارتباط نفوس الجمهور بالخلفاء الأمويين، وقد مرت معنا شواهد شعرية دالة على ذلك، إضافة إلى قوله [2]:

ضربتَ بِهِ عَندَ الأمامِ فأرعشتْ يَداكَ وقالُوا مُحدثٌ غيرُ صـــارِمِ

وقوله [3]:

عطاء الذي أعطى الخليفةَ مُلكهُ ويكفـيهِ تزفارَ النفوسِ الحواسِدِ

فالشاعر يصف الممدوح بـ"الإمام"، وهو من الإمامة، وهو لقب مستجلب من الصلاة، وهي عماد الدين في الإسلام، وهي من العبادات الخالصة لله عز وجل، و"الخليفة" من الاستخلاف، وهو سنة من سنن الله في الأرض، ولا ينالها إلا الصالح من الخلق، لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... ﴾ [4].

[1] .في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص 53.

[2] .شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 578.

[3] .نفسه، ج 3، ص 1068.

[4] .القرآن الكريم برواية ورش، من الآية 55، سورة النور.

فهذه الصفات تُسبغ على الممدوح، منزلة دينية ثم سياسية، لأن الجانب الديني ملتبس بالجانب السياسي في الثقافة الإسلامية، وهو أمر يخدم احتجاج الشاعر على أحقية بني أمية بالخلافة.

ثانيا. بلاغة الإقناع في خطاب الخلافة عند الفرزدق

في سياق خطابه عن الخلافة الأموية، يستعمل الفرزدق في مدحه لسليمان بن عبد الملك، القيم والإسلامية والإنسانية، التي تجعل صاحبها يمتلك سلطة بين الناس كشخصية مختلفة، لتختص بالمدح والفخر دون غيرها [1]:

جُعلتَ لأهْل الأرْضِ عدلاً ورحمَةً وبُــرءاً لآثار الجُروح الكَوالـم

فهو يستعمل فعل "جُعلت"، الذي يدل على الفعل الرباني، والفرض الإلهي على خلقه، فهذا الفعل ورد في أكثر من أربعين سورة قرآنية، وأكثر من مائة آية [2]، منها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) ﴾[3].

وهو في استعماله هذا يشير إلى اعتقاده السياسي في الخلافة الأموية، ومنها خلافة سليمان بن عبد الملك، بأنها مشيئة من الله تعالى، ومنحة ربانية لا دخل للناس فيها، ومعارضتها معارضة لإرادته تعالى، وطاعتها طاعة للخالق، وفي هذا المعنى تزكية لأحقية الأمويين بالسلطة والحكم، وتأكيدا على أن الخلاقة حقهم الشرعي.

ويستمر الشاعر لتأكيد موقفه، فيختار من الصفات العدل والرحمة وهي من الصفات التي وردت في القرآن الكريم، وهي من أسس تحقيق الدين الإسلامي، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

[1]. شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 518.

[2]. القرآن الكريم برواية ورش، من الآيات والسور: الآيات 22. 30. 126 من سورة البقرة، الآية 41، سورة آل عمران، الآية 45، سورة النساء، الآية 20، سورة المائدة، الآية 97، سورة الأنعام، الآية 5، سورة يونس، الآية 118، سورة هود، الآية 3، سورة الرعد، الآية 72، سورة النحل، الآية 99، سورة الإسراء.

[3]. نفسه، الآية 38. 39، سورة القيامة.

وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [1]، كما أنها من خصائص الأنبياء لقوله تعالى للرسول ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [2].

لذلك يستعمل الشاعر التمثيل من خلال الربط بين الخليفة والرسول ﷺ على أساس التشابه بينهما في مجموعة من الأمور [3]:

كَما بعثَ اللهُ النَّبيَّ مُحمَّــداً على فترَة والنَّاسُ مثلُ البَهائـم

والتمثيل طريقة حجاجية ترتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة [4]، كما أنها تأسيس لعلاقة بين ما يراد الدفاع عنه، ويسمى بالموضوع، وهو خلافة سليمان،وبين عنصر يجري البحث عنه، يسمى بالمثيل، وهو بعث الرسول ﷺ.

والتمثيل يؤسس نوعا من القياس، يؤدي بالمتلقي إلى التسليم والإذعان بالاستنتاج [5]، فصفات التشابه تمثل حججا تقرب بين طرفي التمثيل، وتخلق التأثير المطلوب.

وبهذا القياس يتأكد لدى المتلقي وجود تناسب، أي تشابه في علاقة (أ بـ ب)، و(ج بـ د)، ووظيفة هذه التقنية تفسير علاقة غامضة بعلاقة أخرى مألوفة [6].

ولتأكيد حقهم في الخلافة، يجتهد الفرزدق، فيبحث عن طريقة للربط بين نسب الأمويين ونسب الرسول ﷺ، فيصل إلى التقاء البيتين في شخصية عبد

[1]. القرآن الكريم برواية ورش، الآية 90، سورة النحل.

[2]. نفسه، الآية 107، سورة الأنبياء.

[3]. شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 518.

[4]. عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006 م، ص 97.

[5]. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2015 م، ص 166.

[6]. الحسين بنوهاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2014 م، ص 89. 90.

مناف بن قصي،وهو الجد الثالث للرسول ﷺ، والخامس لسليمان بن عبد الملك، فهذا الأخير من أولاد ونسل بيت النبوة، ولم يغتصب الخلافة من أهلها [1]:

ورثتُمْ قناةَ المُلك غـيـرَ كـلالَة عَن ابْني مَنَاف عَبْد شَمْس وهَاشم

وقد عبر الشاعر عن اتصال وعدم انقطاع نسب الأمويين عن نسب الرسول ﷺ بـ "نفي الكلالة"، وهو حجة واقعية احتاجت من الشاعر بحثا في الأنساب، وهو فضلا عن ذلك شاهد تاريخي، ذو طبيعة اجتماعية، أدمج به الشاعر جزءا وهو بيت "أمية"، في بيت يشمله، وهو "عبد مناف"، وعلاقة الاشتمال والتضمن تجعل صفات العام تنطبق على الأجزاء [2]، لأن الكل أكبر من الجزء، وهذه العلاقة تجعل القول غير قابل للنقاش [3].

ونرى الفرزدق ينهج الطريقة نفسها في نقيضة يمدح فيها الخليفة نفسه، قبل هجائه لخصمه جرير، حيث يقول [4]:

بقَوْم أبوُ العَاصي أبُوهُمْ توارْثَوُا خـلافةَ أُميَّ وخـيْر الخَواتـم

فقوم "أبو العاص بن أمية بن عبد شمس"، ويقصد، بشكل خاص، الخلفاء الأمويين من أبناء مروان بن الحكم، ومنهم سليمان بن عبد الملك بن مروان، ورثوا الخلافة عن الأميّ وخير الخواتم، ويقصد الرسول ﷺ.

وعليه فإن الشاعر أضمر بناءً منطقيا استدلاليا في هذا البيت الشعري:

فإذا كان: الرسول ﷺ خاتمة الأنبياء، من بني عبد شمس.

وكان: أبو العاص من عبد شمس، وهو أحد أجداد الخليفة سليمان.

[1]. شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 518.

[2]. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص 47.

[3]. نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص 67.

[4]. شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 519.

فإنّ: الخليفة سليمان ورث الخلافة عن الرسول ﷺ.

وبالتالي: بنو أمية لهم الأحقية بالخلافة، ولا يجوز منازعتهم فيها.

ويستعمل لذلك علاقة السببية المضمرة، وهي من العلاقات المنطقية المؤدية للإقناع، وعلاقة النسب علاقة قوية، مؤكِّدة للاتصال لارتباطها بالقرابة الدموية، ولكونها علاقة مقدسة لدى العرب، لذلك كانوا حريصين على توثيق الأنساب والحفاظ عليها من العار والضياع.

ويوظف الفرزدق لتأكيد أحقية سليمان بن عيد الملك بالخلافة، تقنية وصف الشخص بأعماله، والتي تعد جزءا أساسيا من جوهر الشخصية، وتشكل هذه الأعمال مقدمات صغرى تؤدي إلى نتيجة معينة، ومن شروط تحقق هذه النتيجة أن يكون الترابط بين الشخص وعمله متحققا، يشهد عليه واقع الشخصية، فالشاعر يخبرنا بأنه سار [1]:

إلى المُؤْمِنِ الفَكاكِ كُلَّ مُقـيَّـدٍ يَداه ومُلقِي الثِّقلَ عـنَّ كُـلِّ غَـارِمِ

بِكفَّينِ بيضَاوَيْـنِ في رَاحتيهـمَا حَيَا كُلِّ شَيءٍ بالغيُـوثِ السَّـواجِـمِ

بِخَيرْ يَدْي مَنْ كـانَ بعدَ مُحـمَّدٍ وجــارَيــهْ والمظلُــومِ للهِ صَـائِـمِ

فالخليفة أياديه على الناس عديدة، لذلك كان خير من جاء بعد محمد ﷺ وجاريه أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، والمظلوم عثمان بن عفان الأموي، الذي قُتل ظُلما، وحجته في ذلك هي القيم التي امتدحت بها العرب قبل الإسلام وبعده، وهي أن الممدوح خيْر من جاء بعد محمد ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان بن عفان، واعتمد في توظيفه للمقدمات الحجاجية، وإيرادها في خطابه بناء تدريجيا عقليا، يصل به إلى نتيجة محددة.

[1]. شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 2، ص 516.

فالشاعر يقْرِن فضل الخليفة سليمان بن عبد الملك بفضل من سبق عليا بن أبي طالب من الخلفاء الراشدين، من جاري ﷺ، والمغدور عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو في ذلك ينساق إلى رواية الأمويين التي شرّعت موقفهم من الخلافة، وهذا الخطاب يرفع الخليفة الأموي ليعدل به هؤلاء الرجال الذين لا يُنسى فضلهم في تثبيت أركان الخلافة ضد الفتن التي كادت تعصف بالدين الإسلامي (كحروب الردة)، أو الإعلاء بالخلافة الأموية عموما لتعدل الخلافة الراشدة.

فالشاعر استعان لكي يحقق هذه الغاية بشخصيات معروفة من خلال استراتيجية استعمال صفات لازمة ولصيقة بهذه الشخصيات، وبعبارة أخرى فقد وظف الشاعر معرفة مشتركة وعامة لدى الجمهور ليحقق التماهي بينه وبين هذا الأخير، فكلما ضاقت المسافة الفاصلة بين معرفة المتكلم والمخاطب كلما اقترب المتكلم من تحقيق هدفه الإقناعي من الخطاب.

ويستمر الشاعر على هذا النهج، وباستخدام نفس الطرق الإقناعية في مدحه للخليفة هشام بن عبد الملك، حيث يخاطبه قائلا [1]:

أميرَ المؤمنينَ بكم نُعِشنـــا وَجُذّ حِـــبـالُ آصارِ الأثـامِ

فجاءَ بسُنّةِ العُمَرينِ فيـهـا شِفاءٌ للصُدورِ منَ السقـامِ

رَآكَ اللهُ أولى الناسِ طُـــرّاً بِـــأعوادَ الخلافةِ والسـلامِ

فالفرزدق يُعْلي من شأن الخليفة ليكون مُتَقَبلا، فاختياره للخلافة كان خيرا على الناس، فقد أحيا سنّة العُمرين، ولعله يقصد بالعمرين هنا الخليفتين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما، وهي سنة تشفي الصدور من الأمراض القلبية والروحية التي تعتريها، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، فهو ينزع

[1]. شرح نقائض جرير والفرزدق، ج 3، ص 1090.

[2]. القرآن الكريم، من سورة يونس، الآية 57.

لزيادة تأثير خطابه صفةً وُصف بها القرآن، وهي "شفاء الصدور"، ليصف بها للسنة التي جاء بها الخلفية.

ويضيف الشاعر معاني أخرى في محاولة إقناع الجمهور بوجوب طاعة الخلافة، والاعتراف بخلافته، فهي قائمة على اختيار رباني، فقد رآه الله أولى الناس بها، وأحسن الخلق قدرة على توفير الأمن والسلام، وهي غاية الاستخلاف في الأرض.

خاتمة:

ختاما يمكن القول بأن جريرا والفرزدق نوَّعا من التقنيات البلاغية الإقناعية في خطاب الخلافة الأموية، وقد وظفا للدعوة إلى هذه الخلافة، وأحقية الأمويين بها، مجموعة مختلفة من التقنيات الحجاجية، ومن النتائج الخاصة التي تحققت في هذا البحث:

- توظيف الشاعرين لتقنيات منها الشاهد وحجة الشخص وأفعاله، والرموز الإسلامية، والأبنية المنطقية، والاستدلالية، والتماثل أو التناسب، والتقابل، وغير ذلك.

- النقائض نصوص غنية فنيا وبلاغيا، فإقناع الجمهور، والتأثير في المستمعين عقليا وجماليا حاضر بقوة في هذه النصوص الشعرية، وقد سار خطاب الخلافة فيها هذا الاتجاه.

- حاول جرير والفرزدق إثبات أحقية الأمويين بالخلافة، بمجموعة من الطرق، ومنها مدح القادة والولاة، الذين يمثلون واجهة الخلافة الأموية، وتوظيف النصوص القرآنية والدينية، وإن بشكل جزئي، مما جعل هاته الشخصيات تكتسب شرعية دينية.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.

المراجع باللغة العربية:

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.
- ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، نسخة مذيَّلة بحواشي الشيخ اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة.
- أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م.
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الفاضل، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1995 م.
- أبو عبيد الله اليزيدي، (رواية) عن أبي سعيد السّكري عن ابن حبيب عن أبي عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق وتقديم الدكتور محمد إبراهيم حُوّر والدكتور وليد محمد خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الثانية، 1998م.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، شرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، 1998م.
- أبو على الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، 1981م.
- أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني: الأغاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عبَّاس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2008.

- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى، 1952م.
- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.
- الحسين بنوهاشم: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2014 م.
- شوقي ضيف: العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة.
- عادل عبد اللطيف: الحجاج في الخطاب مقاربات تطبيقية، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، الطبعة الأولى، 2017م.
- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006 م.
- علي الشبعان: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى، 2010م.
- عبد القادر بقشى: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية،أفريقيا الشرق، المغرب، طبعة 2007م.
- عبد الله الصولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011م.
- مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2015 م.

- محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
- محمد مشبال: بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، دار العين للنشر، الإسكندرية، 2013م.
- محمد مصطفى هدارة: الشعر العربي في القرن الأول الهجري، دار المعارف، القاهرة، 1963.

الزمن ودلالاته في العربية والفرنسية:
دراسة مقارنة

حسن أجمولة
طالب باحث في سلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة
المغرب

ملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على قدرة العربية على التعبير عن الزمن بمختلف قُسجِهِ من خلال مقارنتها مع اللغة الفرنسية، وأظهرت النتائج أن اللغتين ليس لهما إلا لفظ واحد للدلالة على الزمن اللغوي هو (الزمن Temps)، وقد حاول بعض اللسانيين العرب التمييز بين الزمن الفلسفي والزمن اللغوي، فجعل لفظة (الزمان) للأول و(الزمن) للثاني. كما اقترح بعض اللسانيين الفرنسيين (Tiroir Verbal) بدل(Temps) للإشارة للزمن اللغوي، فاللغتان تشتركان معا في التعبير عنه، لكن لكل لغة نسقها الخاص، فالعربية تكشف عن الزمن صرفيا ونحويا وتترك المجال مفتوحا لمتكلمها للتعبير عن مقصده، فلا تحصره في قالب معين، وبناء عليه، لا يمكن عد صيغ الفعل وحدها معيارا للحكم على زمنيتها من عدمها، فالماضي في العربية ليس على شاكلة واحدة، بل هناك الماضي المطلق والقريب والبعيد والمتجدد وغيرها من الفسح، والحاضر كذلك يتنوع هو الآخر، والمستقبل بحسب ما يتصل بالفعل من لواصق وقرائن ونواسخ، وينبغي استحضار السياق ومقصد المتكلم. يضاف إلى ذلك ما تعبر عنه بعض المشتقّات من دلالات زمنية متعددة، وهذا يعكس انفتاح النسق الزمني للعربية وغناه. وفي مقابل ذلك، تعتمد اللغة الفرنسية عدة وجوه (Modes)، تمثل إطارا لتصنيف الأزمنة، وهي في ذلك تجنح إلى الصيغ الفعلية أكثر.

كلمات مفتاحية: الزمن – الجهة- الصيغ الفعلية- السياق- القرائن.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أجمولة، حسن. (2024، يوليوز). الزمن ودلالاته في العربية والفرنسية: دراسة مقارنة. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 4، السنة الأولى، ص 227-269.

Abstract:

This research sheds light on the ability of the Arabic language to express tense in its various aspects by comparing it with the French language. The results showed that both languages have only one word to indicate linguistic tense, which is "temps". Some Arabic researchers have tried to distinguish between philosophical time and linguistic tense, using the word "azzamaan" for the former and "azzaman" for the latter. Some French linguists have also tried to deal with this situation by suggesting "tiroir verbal" instead of "temps" to refer to linguistic tense.

The understanding of both languages is shared in their expression, but each language has its own structure. Arabic reveals tense in a morphological and syntactic way and leaves room for the speaker to express their purpose without confining it to a specific form. Therefore, the number of verb forms alone cannot be a criterion for judging its temporality. In Arabic, the past is not of one mold; there is the absolute past, the near past, the distant past, the renewed past, and other aspects. The present also varies, and the future depends on the verb's prefixes, indicators, and suffixes, and the context and intention of the speaker should be considered. In addition, some derivatives express multiple temporal meanings, reflecting the openness and richness of Arabic's temporal structure. On the other hand, the French language relies on several moods, serving as a framework for categorizing tenses, leaning more towards verbal forms.

Keywords : Linguistic Tense- Aspect- Verb Forms- Context- Indicators.

مقدمة

يعرف المنهج المقارن المؤسس على تحديد المبادئ الكلية للغات وقيم الوسائط الخاصة بها إقبالا من قبل الباحثين العرب والمغاربة بشكل خاص، نظرا لقيمته النوعية في الحقل اللساني. وعلى النهج نفسه، يأتي هذا البحث، لمحاولة تقريب المتلقي من قدرة العربية على التعبير عن الزمن بمختلف فُسَحه من خلال مقارنتها مع اللغة الفرنسية، ومن ثم دحض ما يذهب إليه بعض المستشرقين، الذين يصفون العربية أنها قاصرة في التعبير الزمني مقارنة مع اللغات الهند أوروبية، وعلى رأسها الفرنسية.

وسيتكفل هذا البحث بمحاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

كيف تعبر اللغة العربية عن الزمن؟ وهل من خلال الصيغ الفعلية فقط أم من خلال السياق والقرائن المختلفة؟ وهل تتحقق من خلال هذه العناصر كلها؟ وهل هي قادرة على التعبير عن أقسام الزمن بشكل تفصيلي ودقيق كما هو مُتصور عن الفرنسية؟ ما أوجه الائتلاف والاختلاف بين اللغتين في هذا الصدد؟

وسأنطلق لمقاربة هذه التساؤلات من فرضية فحواها أن العربية قادرة على التعبير عن الزمن بشكل تفصيلي ودقيق، خلافا للانطباع الذي يبديه البعض في هذا الجانب، فصيغ الفعل المعروفة في العربية (الماضي والمضارع والأمر)، لا تعبر عن الزمن بشكل واضح، لهذا لا ينبغي أن تعتمد وحدها معيارا في الحكم على زمنية العربية من عدمها، بل ينبغي أن ينظر إليها تبعا للسياق الذي ترد فيه ما ترتبط به من لواحق وأدوات، فهذه العناصر كلها ترسم معالم الزمن بكل تفصيلاته ودقائقه، كما أن الزمن في العربية لا يعبر عنه بالفعل وحده، وإنّما يتحقق أيضا ببعض المشتقات، من قبيل اسم الفاعل واسم المفعول.

مدخل مفهومي[1] :

- **مفهوم الزمن (Temps):**

سأركز في حديثي عن مفهوم الزمن على المسائل الآتية:

أولا، لقد تعددت في اللغة الألفاظ الدالة على الزمن، فهو الزمن والزمان والدهر والحين والوقت والأمد والأزل والسرمد، أما في القرآن الكريم فلم ترد كلمة الزمن أو الزمان أو الأزل [2].

وفي القواميس العربية جعل الزمن والزمان دالين على معنى واحد باعتبار ترادفهما "الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزمن والزمان العصر، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة"[3].

هذا من ناحية مادتي الزمن والزمان، أما من ناحية مادتي الزمان والدهر فيلاحظ ترادفهما تارة واختلافهما تارة أخرى كما قال شمر: الدهر والزمان واحد؛ وقال أبو الهيثم أخطأ شمر، الزمان زمان الرطَب والفاكهة، وزمان الحر والبرد، قال ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر قال والدهر لا ينقطع"[4].

وقد ورد في قاموس الأكاديمية الفرنسية" Dictionnaire de l'Académie française": "الزمن هو تتابع اللحظات، التي هي مقياس للمدة، يقال مثلا: حساب الوقت، تمييز الوقت، وقت طويل. وقت قصير... والزمن كذلك مصطلح نحوي

[1] اخترت المقابلات العربية للمصطلحات الآتية: الزمن (Temps)، الجهة (Aspect)، الوجه (Mode) استنادا إلى المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات التابع لمكتب تنسيق التعريب، وذلك للابتعاد عن الاختلاف الحاصل بين الباحثين العرب في استعمال المقابلات الأجنبية.

[2] كمال رشيد: الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، طبعة 2008، ص 12.

[3] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 13، ص 199.

[4] ابن منظور: لسان العرب، ج 13، ص 199.

يعكس مختلف التحديدات التي من خلالها تعبر الأفعال عن أحداث تقع إما في الماضي، الماضي الناقص، المستقبل. . ."[1].

أما اصطلاحا فيعرفه مهدي المخزومي بأنه "صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة، ترتبط ارتباطا كليا بالعلاقات الزمانية عند المتكلم، أو بغيرها من الأحداث التي تقاربها في الموقع"[2].

ويعرفه جون ديبوا (Jean Dubois) وآخرون بأنه""مقولة نحوية ترتبط غالبا بالفعل وتعكس مختلف فسح الزمن الحقيقي أو الطبيعي"[3].

وإن ما نسميه بالزمن في مورفولوجيا لغة ما، لا يدخل في علاقة بسيطة ومباشرة مع ما نسميه بالزمن على المستوى الوجودي (حتى دون أن نفكر في المعاني الفلسفية للمصطلح)؛ يوجد دليل من بين أدلة أخرى، في لغات كثيرة، لمصطلحين مختلفين فيما يخص اللسني والمعيش. ففي الإنجليزية نجد (Tense وTime)، وفي الألمانية هناك: (Tempusو Zeit).[4]

أما العربية والفرنسية فليس لهما إلا لفظ واحد للدلالة على الزمن اللغوي هو (الزمن Temps)، وقد حاول تمام حسان التمييز بين الزمن الفلسفي والزمن اللغوي، فجعل لفظة (الزمان) للأول، و(الزمن) للثاني. وقد اقترح بعض اللسانيين الفرنسيين ومنهم إدوارد بيشون (Edouard Pichon) وجاك داموريت (Jacques Damourette) مصطلح (Tiroir Verbal) بدل (Temps) للإشارة للزمن اللغوي [5].

[1] "Dictionnaire de l'Académie française,5ème Edition, ebook, France, 1798, pp 3163,3167.

[2] مهدي المخزومي: في النحو العربي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط، 1986، ص147.

[3] Jean Dubois et autres : Dictionnaire linguistique : Larousse, Larousse Bordas2002, p480.

[4] تودروف وديكرو: زمن الخطاب، تر: أولحيان محمد، مجلة فكر ونقد العدد 34، ص 31.

[5]Pierre Cabla : Etude théorique et analyse didactique des phénomènes aspectologiques du passé composé et de l'imparfait. P 11 https: //dumas. ccsd. cnrs. fr/dumas-01015780 Submitted on 27 Jun 2014(2024/03/25 :تاريخ الولوج)

ثانيا، لقد حاول كثير من الباحثين المعاصرين عبر بحوثهم تخليص المنهج اللغوي من سيطرة الاتجاه العقلي التحليلي، وأن يفرقوا بين ثلاثة أنواع زمنية: الزمن الفلسفي المنطقي، والزمن التقويمي الفلكي والزمن اللغوي[1].

فالزمن الفلسفي "ليس في جوهره زمنا بل هو النظر في الزمن داخل الوجود المادي أو خارجه، بمعنى الوجود المتصور، وما دام نظرا عقليا فهو محل خلاف، فتارة يكون مثالا ذهنيا تجريديا وتارة يكون حقيقة تكاد تقترب من التشخيص[2] ".

أما الزمن الفلكي فهو "آلة قياس الإنسان الأحداث والخبرات – كما أن المسطرة آلة قياس المسافة أو المكان - ولهذا لابد لنا من تجسيم هذا الزمن أو تأطيره ليكون محسوسا[3]".

وعلى هذا فإن كلا الزمنين الفلسفي والفلكي زمن موضوعي؛ أي مستقل عن خبراتنا الشخصية، غير أن جوهر افتراقهما يكمن في كون ما سمي بـ " الزمن الفلسفي" نظرا في الزمن و"الزمن الفلكي" هو الزمن ذاته، وعلى هذا فإن أبعاد الزمن الفلسفي غير محددة بالوجود المادي، على العكس من الزمن الفلكي، الذي هو سجل طويل يمتد إلى أعماق سحيقة في الوجود[4].

وإذا كان من الطبيعي أن يكون لكل نوع زمني وسائله للنظر في الزمن الفلسفي، والتقويم في الزمن الفلكي، والصيغ في الزمن اللغوي، فإن السؤال الذي ينبري هنا هو: ما الأمور التي تتقاطع فيها هذه الأنواع؟

لقد توفر البحث اللغوي القديم والمعاصر على جانب تطبيقي لالتقاء مفهومي الزمن الفلسفي والزمن اللغوي؛ فقد نظر بعض النحاة إلى أقسام الزمن اللغوي

[1] مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 9.

[2] نفسه، ص 10.

[3] نفسه، صص 10-11.

[4] نفسه، ص11.

وكأنها أقسام الزمن الفلسفي، فنفوا في جانب المنطق وجود الزمن الحاضر[1]، ونفوا في جانب اللغة وجود صيغة لهذا الزمن، غير أن ذلك الملحظ سيمتد بالضرورة إلى نفي صيغتي المستقبل والماضي لأن كليهما غير موجود، ووفق هذا تتنافر طبيعتا الزمن الفلسفي والزمن اللغوي، ومن هذه الزاوية يمكن أن يوجه نقد إلى المباحث التي حاولت أن تجعل الزمن اللغوي ذا طبيعة فلسفية[2].

غير أن التداخل بين مفهومي الزمن الفلسفي والزمن اللغوي يكمن في قضية ما سمي بـ الظروف؛ فقد درس النحاة الزمن والمكان النحويين تحت عنوان واحد في قسم المفعولات – المفعول فيه – لأن لهما وظيفة نحوية واحدة هي وعائية الحدث، والفرق بينهما فرق معجمي ليس غير. وبذلك فإن البحث عن المشترك بين طبيعتي الزمن اللغوي والزمن الفلكي، يبين أنهما ينتميان إلى طبيعة واحدة من حيث إنهما ينطويان على أبعاد مكانية، فكما أن للزمن الفلكي أبعادا، وكما أنه زمن مجسم يقاس بآلات معينة، فكذلك الزمن اللغوي، له أبعاد مكانية من قرب وبعد واستمرار وانقطاع. . .وله آلات قياسه الخاصة به وهي الصيغ والمركبات. وكلا الزمنين يشتركان في الأقسام الزمنية: الماضي والحاضر والمستقبل كما يعنيان بتفريعات هذه الأقسام[3].

- **مفهوم الجهة (Aspect):**

لقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للجهة، وذلك بتعدد التوجهات المعرفية والنظرية والمنهجية المختلفة، ومن بين هذه التعريفات المتعددة نجد برنارد كومري

[1] كما فعل الزجاجي (337هـ) في كتابه " الإيضاح في علل النحو: تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الثالثة 1979، ص52-53.

[2] مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، ص11.

[3] نفسه، ص12.

(Bernard Comrie) الذي يعرف الجهة بما يلي: "الطرق المختلفة للنظر إلى التكوين الزمني الداخلي للوضع"[1].

ويعرف تمام حسان الجهة بقوله: "الجهة (Aspect) تخصيص لدلالة الفعل ونحوه إما من حيث الحدث وإما من حيث الزمن[2].

أما عبد القادر الفاسي الفهري فيعرف الجهة بأنها" مجموع سمات الحدث التي تمكن قياسه ووصفه زمنيا. فهو ممتد (Durative) أو غير ممتد أو لحظي، وهو محدود (Bounded) وغير محدود، وهو تام (Perfective) وغير تام...وقد نفرق بين جهة الوضع أو الحدث التي تدعى (Aktionsart)، وهي لازمة للفعل (قبل تصرفه)، وجهة البناء أو التصرف، وهي ما يدعى عادة بالجهة (Aspect) في دلالتها الضيقة. وهذه الجهة ليست ممعجمة عادة، وإنما يرثها الحمل المتصرف (الفعل أو الصفة)، عندما يدخل التركيب. ومعلوم أن الجهة تختلف عن الزمن من عدة وجوه. فالزمن مثلا، لا يمكن أن يكون ممعجما، وهو إشاري (Deictic)، بخلاف الجهة"[3].

وقد ورد في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات: "الجهة مقولة نحوية تعبر عن التمثيل الذي يعطى لحدث الفعل بخصوص امتداده وتمامه"[4].

ومن خلال هذه المفاهيم المختلفة والمتعددة لمصطلح الجهة يتضح أن هذا الاختلاف كان ناتجا عن تعدد التصورات واختلاف آراء كل باحث من الباحثين، وفي ضوء ما سبق يتم التمييز بين:

---

[1] Bernard **Comrie***: Aspect. An Introduction to the study of verbal aspect and related problems.* Cambridge University Press. 1976, p3

[2] تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1994م. ص25.

[3] عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1989م، ص 80.

[4] مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي –فرنسي –عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ط1، 2002، ص 17.

- **جهة نحوية (جهة البناء)**: تتصل بالتحقيق النحوي لثنائية التمام واللاتمام[1].

- **جهة معجمية (جهة الوضع /نمط الحدث)**: تعنى بالخصائص الداخلية للأوضاع التي تصنف بحسبها الأفعال [2]، وتقسم الأوضاع حسب زينو فندلر (Zeno Vendler) إلى أربعة أقسام[3]:

1) **الحالات** (Etats): تصف أوضاعا تستمر مدة زمنية، ولا تتقيد ببداية أو نهاية. وتدل كذلك على مجموعة من الأحاسيس والمشاعر الثابتة والساكنة والمجردة.

2) **الإنجازات** (Achèvements): كل ما يتعلق بأحداث تم إنجازها فعلا من البداية حتى النهاية.

3) **الإتمامات** (Accomplissements): تعني الأحداث التي تستغرق وقتا معينا، تتقارب فيه نقطتا البداية والنهاية.

4) **الأنشطة** (Activités): كل ما يتعلق بأحداث متكررة دالة على الحركة والنشاط.

- **الزمن وعلاقته بالجهة:**

مما لا شك فيه أن هناك علاقة وثيقة بين الزمن والجهة، فالجهة تبعا لكومري هي الطرق المختلفة للنظر إلى التكوين الزمني الداخلي للوضع، وبهذا تخالف الزمن،

[1] سعاد صابر: الأنماط الجهية في صورة فعل، ضمن كتاب البنى الزمنية وأشكالها، عبد القادر الفاسي وآخرون، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وجمعية اللسانيات بالمغرب، ماي 2000، ص117.

[2] نفسه، ص117.

[3] Zeno Vendler: linguistics in philosophy, Cornell university Press Ithaca and London, printed in the United States of America, Third printing 1974, pp 79-121.

وينظر أيضا إلى:

Pierre Cabla : Etude théorique et analyse didactique des phénomènes aspectologiques du passé composé et de l'imparfait. p 25.

إذ يرتبط هذا الأخير زمن الحدث أو الوضع بزمن آخر خارجي، وهو زمن التلفظ بالجملة، وهذا ما يسميه رايشنباخ بالزمن الإحالي. فإن للحدث بنية داخلية لها على الأقل بداية ووسط ونهاية [1].

ويفرق الفاسي الفهري بين الجهة والزمن. فالجهة هي مجموع سمات الحدث التي تسمح بقياسه ووصفه من الناحية المعجمية. أما الزمن فذو دلالة إشارية أو تعيينية. وفي هذا يقول: "نفرق بين الزمن والجهة. والجهة أساسا مجموع سمات الحدث التي تمكن قياسه ووصفه زمنيا. فهو ممتد (Durative) أو غير ممتد أو لحظي، وهو محدود (Bounded) وغير محدود، وهو تام (Perfective) وغير تام...وقد نفرق بين جهة الوضع أو الحدث التي تدعى (Aktionsart)، وهي لازمة للفعل (قبل تصرفه)، وجهة البناء أو التصرف، وهي ما يدعى عادة بالجهة (Aspect) في دلالتها الضيقة. وهذه الجهة ليست ممعجمة عادة، وإنما يرثها الحمل المتصرف (الفعل أو الصفة)، عندما يدخل التركيب. ومعلوم أن الجهة تختلف عن الزمن من عدة وجوه، فالزمن مثلا، لا يمكن أن يكون معجما، وهو إشاري (Deictic)، بخلاف الجهة"[2].

ويفهم من هذه التحديدات أن الجهة تنظر للحدث أو الوضع من حيث تمامه وعدم تمامه، ومن حيث اكتماله أو العكس بغض النظر عن الزمن الذي يقع فيه سواء كان ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا، في المقابل يعنى الزمن بوقت وقوع هذا الحدث بالضبط.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اختلافا بين الباحثين العرب في استعمال المقابل العربي لمصطلح (Aspect) والجدول أسفله يوضح ذلك:

[1] عبد المجيد جحفة: الحدث في المفعول، ضمن كتاب اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992، ص12.

[2] عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ص 80.

	مقابله العربي	الباحث /المعجم
مصطلح (Aspect)	الجهة	عبد القادر الفاسي الفهري [1] عبد المجيد جحفة[2] عبد الجبار توامة[3] تمام حسان[4] يوسف مالك المطلبي[5] المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات[6] خاليدحسني[7] عبد العزيز العماري[8]
	المظهر	محمد عبد الرحمن الريحاني[9]
	أسلوب الحدث	يوئيل يوسف عزيز[10]
	الهيئة- صورة السيرورة	معجم المصطلحات الألسنية [11] حسن حمزة[12]

- **أنواع الجهة وتصنيفاتها:**

هناك تصنيفات مختلفة للجهة تعكس ما قلته سابقا عن الاختلاف الحاصل بين الباحثين، ومنها:

[1] عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ص80.

[2] عبد المجيد جحفة: الإحالة الزمنية للغة العربية: دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال للنشر، ط1، 2006، ص41.

[3] عبد الجبار توامة: زمن الفعل في اللغة العربية: قرائنه وجهاته –دراسات في النحو العربي، دار المنشورات الجامعية 1994 الجزائر ص74.

[4] تمام حسان: اللغة العربية: معناها ومبناها. ص 257.

[5] مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976، ص97.

[6] مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص: 17.

[7] ينظر، خاليد حسني: الزمان والجهة في العربية والفرنسية: دراسة لسانية مقارنة، منشورات الكلية متعددة التخصصات بالناظور.

[8] عبد العزيز العماري: الزمن والجهة: مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1992، العدد6، ص47.

[9] محمد عبد الرحمن الريحاني: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء، القاهرة، ص244.

[10] يوئيل يوسف عزيز: الزمن والحدث في العربية والأنكليزية، مجلة آداب المستنصرية العدد 8، ص 262.

[11] مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي إنجليزي عربي)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995، ص30.

[12] أندره رومان: المجمل في العربية النظامية، ترجمة حسن حمزة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2007، ص98.

أ) تصنيف كومري (Comrie):

تنقسم الجهة حسب كومري[1] إلى أنواع عدة، فهناك جهة التمام (Perfective) وعدم التمام (Imperfective)، وتنقسم جهة اللاتمام إلى الجهة الاعتيادية (Habitual) مقابل الجهة الاستمرارية (Continuos)، وجهة التدرج (Progressive) مقابل جهة عدم التدرج (non progressive).

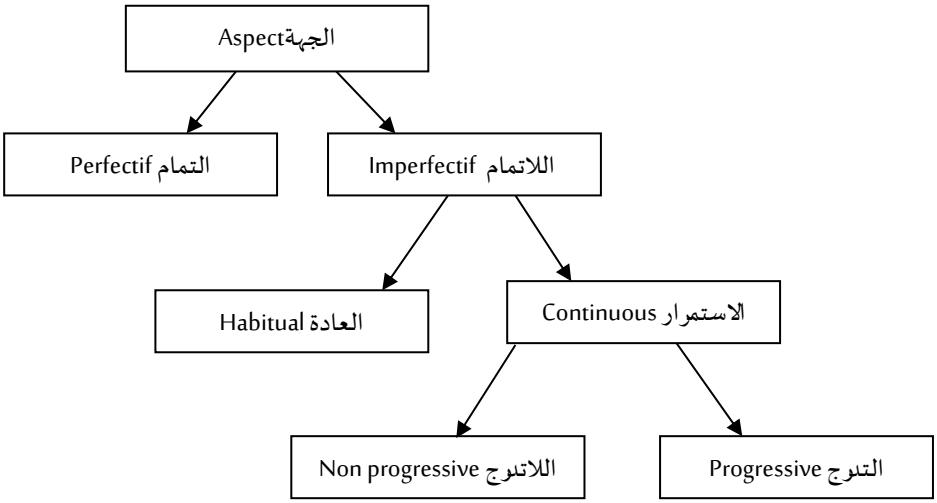

ب) تصنيف أوسوالد ديكرو (Oswald Ducrot) وتزيفان تودوروف (Tzvetan Todorov)[2]:

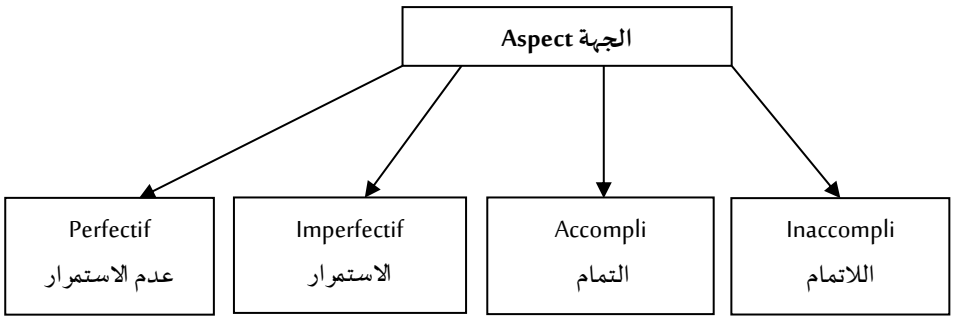

[1] Bernard Comrie: *Aspect. An Introduction to the study of verbal aspect and related problems*. p25.

[2] Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage: édition du Seuil, 1972, pp 390-391.

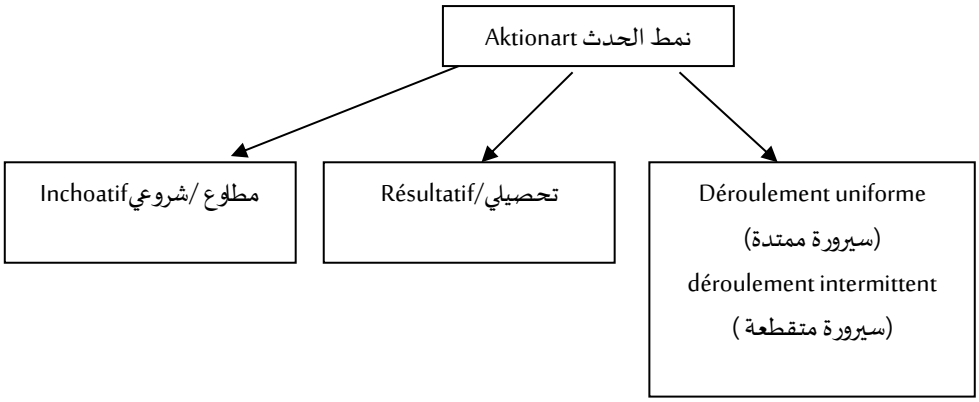

وفي ختام هذا التحديد ارتأيت أن أقف بشكل مقتضب عند مفهوم الوجه (Mode)، بحكم علاقته الوثيقة بمقولتي الزمن والجهة.

- **مفهوم الوجه (Mode):**

يعرفه المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات بأنه: "مقولة نحوية ترتبط بالفعل وتقدم نوعية التواصل الذي يؤسسه المتكلم مع مخاطبه أو موقف هذا المتكلم في خطابه الخاص[1].

هذا المفهوم لم يحظ عربيا بدراسات مستفيضة، ما عدا -فيما أعلم-بعض الجهود لباحثين مغاربة مثل الفاسي الفهري وعبد المجيد جحفة وعبد العزيز العماري.

وينبغي الإشارة إلى أن هناك اختلافا حاصلا بين الباحثين العرب في استعمال المقابل العربي لمصطلح (Mode)، وهو ما بينته في الجدول الآتي:

[1] مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 93.

مقابله العربي		الباحث /المعجم
مصطلح (Mode)	الوجه – الضرب	عبد القادر الفاسي الفهري [1]
	الوجه	المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات [2]
	الصيغة	خاليد حسني [3]
	النمط	عبد العزيز العماري [4]
	وجه-حالة- صيغة الفعل	معجم المصطلحات الألسنية [5]

المبحث الأول: الزمن في اللغة العربية

يعد سيبويه (180هـ) من أوائل من جعلوا الفعل يقترن بالزمن، وهو عنده ما أخذ من لفظ أحداث الأسماء، وقسم هذا الفعل إلى ثلاثة أقسام: الماضي والمضارع والأمر، مؤكدا وظائفه الصرفية التي يمتاز بها، وهي دلالته على الحدث المقترن بزمن ماض، أو حاضر أو مستقبل، فقال في هذا الشأن: "أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمُد، وأما بناء لم يقع فإنه قولك آمرا: اذهب واقتل واضرب، ومخبرا: يَقتل ويذهب ويضرب ويُقتل ويُضرب. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرتَ"[6].

وبهذا يكون سيبويه قد أعطى للفعل ثلاثة معان زمنية هي:

- إفادة ما مضى (الماضي) ؛
- إفادة ما هو كائن لم ينقطع (الحاضر)؛
- إفادة ما يكون ولم يقع (المستقبل).

[1] عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ص 80.

[2] مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 93.

[3] خاليد حسني: الزمان والجهة في العربية والفرنسية: دراسة لسانية مقارنة، ص8.

[4] عبد العزيز العماري: الزمن والجهة، مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد6، 1992، ص47.

[5] مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، ص183.

[6] سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، طبعة 1988، جزء 1، ص12.

ويعزو هذه الاختلافات في إفادة المعاني إلى التناوبات الصيغية، أو (ما أسماه البناء)، وبهذا يعكس التناوب الصيغي تناوبا في المعاني الزمني[1].

ويلاحظ كذلك أن سيبويه يثبت هذا التناوب خاليا من كل الأدوات التي لها إسهام خاص في تحصيل التأويل الزمني، كما أنه يسند لصيغة الأمر زمن المستقبل[2].

وبهذا تكون الصيغ الزمنية عند سيبويه ثلاثا "فعل"، و"يفعل"، و"افعل"، وتقابل كل منها قيمة زمنية، غير أن هذه القيم يتم التعبير عنها بمصطلحات من قبيل "ما مضى"، و"ما يكون" و"ما لم يقع" و"ما هو كائن" و"ما لم ينقطع"، ومصطلحات المضي والكينونة والوقوع والانقطاع غير متجانسة، فمنها ما هو مرتبط بالزمن، ومنها ما هو مرتبط بالحصول، ومنها ما هو مرتبط باستمرار الحدث[3].

وعرف ابن هشام (761هـ) الفعل بأنه "ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة"[4]، مؤكدا بذلك ما قاله الكثير من النحاة في حد الفعل الذي لا ينفصل عند القدماء عن محتواه الزمني، وشكله الصرفي أو صيغته، ومنه فإن النحاة القدماء أكدوا أن هناك ارتباطا قويا بين الصيغة الصرفية والزمن، وقسموا الزمن إلى ماض وحال ومستقبل.

ويظهر أن هذا الموقف من النحاة-أغلبهم[5]- ليس نتيجة للتحليل اللغوي وإنما بتأثير التفكير الفلسفي المنطقي، وقد استغل بعض المستشرقين هذا المأخذ، إذ يقول سبتينو موسكاتي (Moscati Sabatino): "وللغات السامية نظام في تصريف

---

[1] عبد المجيد جحفة: دلالة الزمن في العربية: دراسة النسق الزمني للأفعال، ص 46.

[2] نفسه، ص 46.

[3] عبد المجيد جحفة: دلالة الزمن في العربية: دراسة النسق الزمني للأفعال، ص 47.

[4] ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث، بيروت، ط2001، ص12.

[5] إن بعض النحاة قد تنبهوا للزمن النحوي وخاصة ما يتعلق بالماضي وفسحه الزمنية، ومنهم ابن السيد البطليوسي (521هـ) في كتابه (الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة، بيروت، دط، ص90)، وأبو حيان الأندلسي (740هـ) في كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ج3، ص1859).

الفعل يختلف اختلافا تاما عما في اللغات الهندية الأوربية فليس فيها إطلاقا صيغ أزمنة بالمعنى الصحيح، أي صيغ تدل على حدوث الفعل في الحاضر أو الماضي أو المستقبل فهي لا تميز إلا بين الحالة والحدث؛ أي بين نشاط (مستمر أو اعتيادي) وحدث (تم)."[1].

ويقول وليام رايت (William Wright): "إن النحاة أنفسهم لم يولوا هذه القضية اهتماما، ولم يفردوا مسألة الزمن بالدراسة، بل إنهم أعطوا الأهمية للزمن من خلال تقسيمهم الثلاثي للأفعال "[2].

وقد تنبه جوتهلف براجشراتر (Gotthelf Bergstaisser) لغنى اللغة العربية زمنيا، حيث يقول: "ومما يزيدها تميزا عن سائرها تخصيص معاني أبنية الفعل وتنويعها، وذلك بواسطتين؛ إحداهما: اقترانها بالأدوات، نحو ((قد فعل))، و((قد يفعل))، و((سيفعل)) وفي النفي: ((لا أفعل)) بخلاف ((ما فعل))، و((لن يفعل)) بخلاف ((لا يفعل)) و((ما يفعل))، والأخرى: تقديم فعل (كان)على اختلاف صيغة، نحو ((كان قد فعل)) و((كان يفعل)) و((سيكون قد فعل)) إلى آخر ذلك. فكل هذا ينوع معاني الفعل، تنويعا أكثر بكثير، مما يوجد في أية لغة كانت، من سائر اللغات السامية، قريبا من غنى الفعل اليوناني والغربي، أو بالأحرى؛ أغنى منهما في بعض الأشياء" [3].

المطلب الأول: الفعل في اللغة العربية ودلالاته الزمنية

ينبغي الإقرار بداية أنّ صيغ الفعل في العربيّة (أي الماضي والمضارع والأمر)، وإن بدت ملازمة للحدث والزمن، إلّا أنّها لا تعبر عنه بشكل واضح، لهذا يفرّق اللسانيون المحدثون بين مفهومين في الزمن اللغويّ، هما: الزمن الصرفيّ والزمن النحويّ، قال تمّام حسان مبينا هذا الفرق: "الزمن النحويّ وظيفة في السياق يؤديها

[1] سبتينو موسكاتي: مدخل إلى نحو اللغات السامية، تر: مهدي المخزومي ومحمد المطلبي، بيروت 1980، ص223.

[2] W. Wright: A grammar of the Arabic languge, third Edition libraire of libanan. Berrut, vol. 1. P51.

[3] برجشتراتر: التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1994، صص 89-90.

الفعل أو الصفة أو ما نُقِل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالف، والزمن بهذا المعنى يختلف عمّا يُفْهَم منه في الصرف، إذ هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق"[1] و"زاد تمّام حسّان الأمر وضوحا حين قال: "أمّا في السياق النحويّ فسنرى أن الزمن كما ذكرنا منذ قليل، هو وظيفة في السياق، يؤديها الفعل وغيره من أقسام الكلم التي تنقل إلى معناه"[2].

وبناء عليه؛ فإن للفعل الماضي والمضارع زمنين: زمن صرفي وزمن نحوي. أما الزمن الصرفي فهو الزمن الماضي للفعل الماضي، والزمن الحاضر أو المستقبل للفعل المضارع. فعندما تقول: (كتب) و(يكتب)، فإن الزمن الصرفي للفعل (كتب) هو الماضي، وللفعل (يكتب) هو الحاضر أو المستقبل؛ بالنظر إلى الدلالة الزمنية للفعلين: (كتب) و(يكتب) مجردين من السياق. وأمّا الزمن النحوي للفعل الماضي والمضارع فقد يكون الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وفقا للسياق الذي يرد فيه الفعل.

وفي ضوء ما قلته، سأحاول في المحور الموالي عرض قدرة الفعل في اللغة العربية على التعبير عن الأزمنة المختلفة[3]:

أولا: الفعل ودلالته على زمن الماضي

يدل الفعل في اللغة العربية على المُضي بتحديدات مختلفة، لعل أبرزها:

- **<u>الماضي المطلق /البسيط/العادي:</u>** يعبر عن حدث وقع وانقضى في زمن سابق لزمن التكلم (الآن)، فزمنه عام يستغرق الماضي من دون تحديد على اختلاف

[1] تمام حسان: اللغة العربية: معناها ومبناها، ص240.

[2] نفسه، ص241.

[3] سأقدم هنا إطلالة عامة تستند إلى جهود بعض الباحثين في هذا المجال أذكر منهم تمام حسان وعلي جابر المنصوري وعبد جبار توامة، وأنبه إلى الاختلاف الحاصل بينهم في المصطلحات وفي عدد الأزمنة، وما سأذكره هو من باب الاجتهاد ذلك أن المسألة تحتاج إلى جهد جماعي مشترك بين الباحثين للوصول إلى محددات مشتركة تميط اللثام عن غنى العربية زمنيا ودقتها في ذلك.

فسحه الزمنية[1]، ومثاله: كتب الطالب الدرس، انتهى وقت الحصة، ففعل الكتابة تحقق في الماضي وانتهى فيه ولا نستطيع تحديد فسحته الزمنية من هذا الماضي.

- **الماضي القريب من الحاضر:** يدل على حدث وقع في الزمن الماضي في فترة زمنية تقرب من الحاضر(الآن)، ومثاله: قد أقبل خالد من سفره[2].

- ويقول ابن هشام(721هـ): "وتفيد-يقصد قد- تقريب الماضي من الحال، تقول: قام زيد فيحتمل الماضي والماضي البعيد. فإن قلت: قد قام اختص بالقريب"[3].

- **الماضي البعيد:** يدل على وقوع حدث في زمن ماض بعيد، وهو الأسلوب للحكاية عن أمر حدث حقيقة أو حكما، وذلك في زمن غير قريب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ اٰمَنَتْ**﴾[4]، وقولك: كان أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى البشرية كافة[5].

- **الماضي المتجدد:** يحدث في الماضي، ثم يتجدد وقوعه مرات في الماضي وينقطع، وقد يكون انقطاعه هذا قريبا من الحاضر أو بعيدا عنه[6]، ومثاله: كان الطالب يدرس.

- **الماضي المستمر:** ويكون مع النواسخ الفعلية (ظل –بات – أمسى- أضحى)، متقدمة على الفعل المضارع، وتفيد الماضي المستمر إلى الحاضر، وربما تستمر إلى المستقبل. نحو: أمسى الطالب يدرس، وبات الأسد يزأر، وأصبح الجو ينذر بالعاصفة[7].

---

[1] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الطبعة الأولى، دار العلمية الدولية ودار الثقافة، 2002، ص48.

[2] نفسه، ص48.

[3] ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1996، ج 1، ص196.

[4] سورة يونس، الآية 98.

[5] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص51.

[6] نفسه، ص49.

[7] نفسه، ص51.

- **الماضي المقارب:** ويكون مع النواسخ الفعلية (كاد- أوشك-أكرب)، وقد وضعت هذه النواسخ للدلالة على قرب وقوع الخبر، ولا تدل على الماضي القريب من الحاضر، إنما تدل على أن الحدث قرب وقوعه لكنه لم يحدث سواء كان ذلك الحدث في الماضي البعيد أو القريب[1].

- **الماضي الشروعي:** وصيغته (أخذ يفعل) وأخواتها (أنشأ- طفق-جعل-علق-أخذ)، ويدل على بداية القيام بالفعل[2]، أي أن الحدث بدئ العمل به، ولم يزل زمن عمله مستمرا[3]، ومثاله، قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَٰنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ اِلْجَنَّةِ﴾[4].

ثانيا: الفعل و دلالته على زمن الحاضر

يدل الفعل في اللغة العربية على الحاضر بفسحه المختلفة، ومنها:

- **الحاضر البسيط:** ويكون مع صيغة (يفعل)، حيث يدل على حدث يقع وقت التكلم(الآن) دون أي تحديد، ومن أمثلته:" يدرس الطالب، يفلح المستقيم"[5].

- **الحاضر المتجدد:** يقع مرات في الحاضر، ويتكون من الفعل(يكون)مع صيغة المضارع[6]، كقوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَاَلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَاَلَمُونَ كَمَا تَاَلَمُونَ ﴾[7].

- **الحاضر المقارب:** يدل على أن الحدث قرب على الوقوع لكنه لم يقع، بمعنى أن الحدث في هذه الأفعال لا يتم حدوثه ولا في الحال[8]، ويتكون من الأفعال

[1] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص51.
[2] عبد الجبار توامة: زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، ص82.
[3] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص52.
[4] سورة الأعراف، الآية 21.
[5] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص71.
[6] نفسه، صص 71-72.
[7] سورة النساء الآية 103.
[8] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص75.

الناسخة (يكاد ويوشك) مع صيغة الفعل المضارع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ**﴾[1].

- **الحاضر المتصل بالمستقبل:** وصيغته (ما يزال يفعل) وتكون الأفعال المساعدة الناسخة وما يجري مجراها أساسا لتأليف دلالته في الجمل من خلال السياق، نحو: ما يزال العلم يتوسع[2]،

ثالثا: الفعل ودلالته على زمن المستقبل

يعبر الفعل في اللغة العربية على المستقبل بفسحه المختلفة، ومنها:

- **المستقبل البسيط:** يتحقق مع الفعل المضارع (الصرفي) المجرد والمزيد، الذي يخبر عن حدث سيقع بعد زمن التكلم(الآن) دون تحديده بوقت معين، قد يستغرق المستقبل كله أو جزءا منه، وقد يقصد به المستقبل القريب أو البعيد، ويعود التحديد الزمني الدقيق في جملة المستقبل المطلق إلى الحالية وتقدير السامع أو المتكلم، لأن المتكلم في هذه الجملة لا يركز على المدلول الزمني بقدر ما يركز على أهمية الحدث[3]، كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**﴾[4].

- **المستقبل القريب:** ويتحقق مع حرف السين مقترنا بصيغة المضارع (سيفعل)[5]، فيدل على حدوث حدث في المستقبل القريب من الحاضر (الآن)، ومثل: سيخرج محمد من البيت.

[1] سورة البقرة، الآية 19.

[2] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص 82.

[3] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص 81.

[4] سورة ق، الآية 30.

[5] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص245.

- **المستقبل في الماضي:** وهو إعراب عن المستقبل في زمن ماضي، وصيغته (كان سيفعل، وكان سوف يفعل، وما كان ليفعل)[1]، وقد أشار ابن جني(392هـ) لهذا الزمن بقوله: "على نحو حكاية الحال، في نحو قولك: كان زيد سيقوم أمس، أي كان متوقعا (القيام) فيما مضى، وكذلك قول الطرماح: واستيجاب ما كان في الغد. يكون عذره فيه أنه جاء بلفظ الواجب تحقيقا له، ثقة بوقوعه، أي إن الجميل منكم واقع متى أريد، وواجب متى طلب "[2].

- **المستقبل البعيد:** ويتحقق مع سوف وصيغة المضارع (سوف يفعل)، مثل: سوف يسافر عمر، فالفعل سيحدث في زمن ما بعد المتكلم وليس قريبا منه[3].

- **المستقبل التجددي:** ويتأتى التعبير عنه بواسطة التركيب الآتي (سيكون يفعل)، فيدل على حدوثه في المستقبل، أي للتعبير عن الحدث الذي سيبدأ قبل وقت معين في المستقبل وسيستمر في ذلك الوقت، مثل: في الساعة التاسعة غدا سيكون الطالب يراجع دروسه، هذه الجملة تعبر عن حال الطالب في وقت معين في المستقبل، فيدل هذا التركيب على أن الطالب عازم في الحاضر على إنجاز الحدث في الساعة التاسعة في المستقبل[4].

- **المستقبل المستمر:** ويعبر عنه بواسطة صيغة الفعل المضارع مسبوقة بـ "سيظل وأخواتها (سيبيت-سيمسي- سيضحي- سيصبح)"، فيدل على وقوع الحدث في المستقبل، أي أن صيغته تدل على أن الحدث استمر لفترة في المستقبل قد تقترب أو قد تبتعد[5].

---

[1] عبد الجبار توامة: زمن الفعل في اللغة العربية، ص95.

[2] ابن جني (392 هـ): الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية 1952 ج3، ص332.

[3] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة، ص83.

[4] علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص 116.

[5] نفسه، ص116.

المطلب الثاني: التعبير بغير الفعل عن الزمن

لقد سبقت الإشارة إلى أن الدلالة على الزمن في العربية ليست حكرا على الفعل وحده؛ وإنّما تعبّر عنها بعض المشتقّات أيضا، وتبعا لذلك سأقف في هذا المبحث عند اسمي الفاعل والمفعول ودلالاتهما الزمنية:

أولا، اسم الفاعل ودلالاته الزمنية

يعرف اسم الفاعل بأنه اسم مشتق من فعل قام فعل به على معنى الحدوث.[1]
مثل: كتب – كاتب، جلس – جالس، اجتهد – مُجتهد، استمع – مُستمع.

ويعمل عمل فعله، فهو يرفع الفاعل إذا كان فعله لازما، ويرفع الفاعل وينصب المفعول به إذا كان الفعل متعديا.

ويعمل لازما ومتعديا بأحد شرطين:

1. أن يكون معرفا بأل، سواء اعتمد على نفي أو استفهام، أم لم يعتمد.

نحو: أقبل الحافظ ودّك، والشاكر نعمتك، وحضر المتقن صنعته؛

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَالْمُؤتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]؛

وقوله تعالى: ﴿وَالْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[3].

2. إذا لم يكن معرفا بال عمل بشرطين:

أ. أن يدل على الحال، أو الاستقبال لا للماضي؛

ب. أن يعتمد على استفهام، أو نفي، أو مبتدأ، أو موصوف، أو حال.

---

[1] ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث، بيروت، ط2001، ص202.

[2] سورة النساء الآية 161.

[3] سورة آل عمران الآية 134.

وفيما يتعلق بدلالاته الزمنية فإنه يدل على:

1. المُضي: وذلك نحو قوله تعالى ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ**﴾:[1] أي فطر، فاسم الفاعل يدل على ثبوت الوصف في الزمن الماضي ودوامه فيه بخلاف الفعل الماضي الذي يدل على وقوع الفعل في الزمان الماضي لا على ثبوته ودوامه [2].

2. الحال، وذلك نحو: كلانا ناظر قمرا ومالك واقفا؟[3]، وقوله تعالى: ﴿**فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ**﴾[4] .

3. الاستقبال، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ(29)**﴾.[5]

4. الاستمرار، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَٰلِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ**﴾.[6]

ثانيا، اسم المفعول ودلالاته الزمنية

اسم المفعول" صفة تؤخذ من الفعل المجهول، للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث والتجدد، لا الثبوت والدوام، " كمكتوب وممرور به ومكرم ومنطلَق به"[7].

ويبنى من الثلاثي المجرد على وزن "مفعول "؛ كمنصور ومخذول وموعود. . . ويبنى من غيره على لفظ مضارعه المجهول بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة: "كمعظَّم ومحترَم ومستغفَر.. ومنطلَق به... وهناك ألفاظ تكون بلفظ واحد لاسم

[1] سورة إبراهيم الآية 13.

[2] فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية،2007، ص44.

[3] نفسه، ص45.

[4] سورة المدثر الآية 48.

[5] سورة الحجر الآيتان 28-29.

[6] سورة الأنعام الآية 96.

[7] مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، دار الكوخ للطباعة والنشر، الطبعة الأولى2004، ج 1، ص135.

الفاعل واسم المفعول: كمحتاج ومختار ومعتمد ومحتلّ، والقرينة تعين معناها، ويبنى من الفعل المتعدي بنفسه: كمعلوم ومجهول، أو بغيره: كمرموق به ومشفَق عليه..

وأما فيما يتعلق بالدلالة الزمنية لاسم المفعول، فهو يدل على[1]:

1. **المَضي**: وذلك نحو: هو مقتول أي، قُتل.
2. **الحال**: نحو: أقبل مسرورا، مالك حزينا؟ أنت مغلوب على أمرك.
3. **الاستقبال**: نحو قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ**﴾[2]، أي سيجمع ويشهد مستقبلا.
4. **الاستمرار**: نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (29) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (30) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (31) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (32) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ(33)** ﴾[3]، فالكلمات (مخضود، منضود، ممدود، مسكوب) تدل على استمرارية الحدث وتجدده.
5. **الثبوت**: نحو: مفتول الساعدين، ومدور الوجه، ومقرون الحاجبين.

المبحث الثاني: الزمن في اللغة الفرنسية

يحتاج الفعل عند استعماله إلى تحديد زمن وقوعه بالنسبة إلى لحظة إنشاء الكلام، التي يمثل لها عادة بالآن (Maintenant)، هل هو قبلها فيكون الزمن ماضيا (Passé) أم بعدها فيكون الزمن مستقبلا (Futur)، أم بالتزامن معها فيكون حاضرا (Présent). وفي كل قسم من هذه الأقسام هناك فُسح زمنية مفصِّلة ومدقِّقة،

[1] فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، صص52-53.

[2] سورة هود، الآية 103.

[3] سورة الواقعة، الآيات 29-30-31-32.

ولتحقيق هذه الغاية تعتمد اللغة الفرنسية عدة وجوه (Modes)1، هي إطار لتصنيف الأزمنة،2 تتوزع بين وجوه شخصية وأخرى غير شخصية انطلاقا من معايير شكلية (قدرتها أو عجزها عن امتلاك أشكال شخصية) ومعايير صرفية (قدرتها أو عجزها عن أداء وظيفة "فعل الجملة"). وتتوزع الأفعال في سلاسل3، وذلك على النحو الآتي:

أولا، الوجوه الشخصية (Modes Personnels):

سميت كذلك لأنها تعكس الشخص (المتكلم، المخاطب، الغائب)[4] ، وقابلة للتصريف مع الضمائر الثمانية وهي: ضمير المتكلم المفرد (Je)، وضمير المخاطب المفرد (Tu) ،وضمير الغائب المفرد (Il)،وضمير الغائبة المفرد (Elle)،و ضمير جمع المتكلم (Nous)،و ضمير جمع المخاطبين (Vous)،و ضمير جمع الغائبين (Ils)،و ضمير جمع الغائبات (Elles)، ولا يوجد في الفرنسية مثنى.

[1] لقد تساءل عبد العزيز العماري في مقال له بعنوان الزمن والجهة بمجلة مكناسة العدد 6، ص 50، عن حضور هذا المفهوم في اللغة العربية، الذي سماه نمطا موضحا أن بعض الباحثين في الميدان اللساني العربي يرون أن الجملة المصدرية المصدرة بـ (أن) التي يكون الفعل بعدها مضارعا منصوبا تعبر عن " Subjonctif " وأن الجملة المصدرية بأن تعتبر " Indicatif" لكنه يرى أن هذه المقابلة فيها نوع من التعسف. وقد حاول الفاسي الفهري في كتابه البناء الموازي، (ص 79) تجلية هذا المفهوم في اللغة العربية، مبينا أنه عنصر من العناصر الصرفية التي تلتصق بالفعل العربي، وهي بمثابة الإعراب بالنسبة للاسم، ولذلك حللها النحاة على أنها ضرب من الإعراب، ولم يفردوا لها مقولة نحوية خاصة بها. وقد ذكر الوجوه الآتية:

أ-الوجه البياني أو التعييني (indicatif): توظف له صيغة الماضي.

ب-الوجه الافتراضي (Subjonctif): كما في قولك: أريدك أن تأتي".

ج-الوجه الطلبي (Jussif): في صيغة المضارع كما في قولك: "ليَخرجْ".

د -الوجه الشرطي (Conditionnel): في قولك "إن تدخل القاعة تجد مالا يرضيكَ".

و-الوجه التوكيدي (Energétique): وتعبر عنه نونا التوكيد التي تحمل دائما معنى المستقبل، وعموما هذه مجرد إشارة ذلك أن المسألة ينبغي أن تفرد ببحث مستقل وموسع.

[2] Larousse: Tout sur les verbes française 2006,p 241

[3] Jean Dubois et autres : Dictionnaire linguistique : Larousse, Bordas2002, p307.

[4] Larousse:Tout sur les verbes française op.cit, p241.

وهذه الوجوه هي: الوجه التعييني (mode indicatif)، والوجه الافتراضي (mode subjonctif)/الوجه الشرطي (mode conditionnel)، والوجه الأمري (mode impératif)

ثانيا، الوجوه غير الشخصية (modes impersonnels): مبهمة لا تعكس تلك الشخوص[1]، وغير قابلة للتصنيف، وهي: الوجه المصدري (mode infinitif)، والوجه المشترك لاسمي الفاعل والمفعول (mode participe)، والمصدر الفعلي (Gérondif[2]).

المطلب الأول: الوجوه الشخصية (modes personnels)

أولا: الوجه التعييني (mode indicatif)

وجه زمني وشخصي، وهو الوحيد الذي يعبر عن تحقق الحدث في الحقول الزمنية الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل)، وذلك بفضل أزمنته اللغوية المتعددة[3]، التي تتوزع بين بسيطة (simples) ومركبة (composés):

- **الأزمنة البسيطة (temps simples):** يعبر عنها الفعل فقط (جذر الفعل (radical) متصلا بنهاية (désinence)[4]، ويتم التمييز فيها بين:

1. **الحاضر التعييني (présent de l'indicatif):** الذي يدل على حدث ينتج لحظة التكلم، إذ يعكس الأمور الآتية[5]:

الدلالة على حقيقة عامة (vérité générale)، نحو:

(le sage réfléchit avant de d'agir) يفكر الحكيم قبل أن يتصرف.

---

[1] Larousse:Tout sur les verbes française op.cit, p 241.

[2] مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص62.

[3] Martin Riegel, Jean-Christophe Pellat et René Rioul: Grammaire méthodique du français, Quadrige, France, 1994.p528.

[4] Ibid, p442.

[5] Jean Dubois et René Lagane: Larousse Grammaire, paris 2009, p103.

الدلالة على حدث يتكرر بصورة اعتيادية (habituellement)، نحو:

(le soir, je lis d'ordinaire jusqu'au minuit) عادة ما أقرأ حتى منتصف الليل.

سرد الوقائع والأحداث الماضوية، بمعنى استحضارها من جديد في الحاضر، نحو:

(Elle **se promenait** tranquillement sur la route ; soudain **survient** une voiture)

كان يمشي بهدوء فإذا بسيارة تعترضه.

الدلالة على حدث يقع في مستقبل وشيك (immédiat)، مثل: il arrive dans (instant) يصل للتو.

الدلالة على حدث مستقبلي بعد الأداة الشرطية (si)، بحيث تكون جملة جواب الشرط دالة على المستقبل: (demain ,s'il fait beau ,nous **irons** voir le (lever du soleil

إذا كان الجو مناسبا غدا، سنرى شروق الشمس.

2. الماضي البسيط (passé simple): يستعمل للتعبير عن حدث تام في الماضي، وعليه فهو يقابل الماضي الناقص (imparfait) الذي يتسم بالامتداد والتكرار[1] نحو:

(on **entendait** sans cesse du bruit au grenier, on y **monta**) كنا نسمع جلبة في السطح، فصعدنا. فحدث الصعود هنا منته زمنيا، ويتقابل مع حدث سماع الضوضاء الذي مدته طويلة.

[1] Jean Dubois et René Lagane: Larousse Grammaire, paris 2009, pp104-105.

ويتقابل هذا الزمن كذلك مع الحاضر التعييني (présent de l'indicatif) لأنه يعبر عن حدث تام، ويتضح ذلك من خلال الجملة الآتية:

يعلم الجميع أن كريستوف كولمب اكتشف أمريكا سنة 1492

(Chacun **sait** que Christophe Colombe **découvrit** l'Amérique en 1492)

3. الماضي الناقص (imparfait)[1]: يدل على حدث ماضوي ممتد زمنيا، نحو:

(il **feuilletait** fébrilement son livre) كان يتصفح كتابه بروية

وله دلالات أخرى، من أبرزها:

حدث ماضوي متكرر (imparfait de répétition ou d'habitude)، نحو:

(La semaine, il **rentrait**, prenait son journal et **se mettait** à lit sans dire un mot)

كان يأتي كل أسبوع، كان يأخذ جريدته، وكان يستلقي على سريره دون أن ينبس ببنت شفة.

حدث ماضوي متزامن مع حدث آخر مصرف في الماضي البسيط (passé simple)، وهذا ما يسمى بالماض الناقص الدال على التزامن (imparfait de simultanéité)، ومثاله:

(Elle **dormait** encore profondément quand **sonnèrent** huit heures)

كانت تغط في سبات عميق عندما رن المنبه.

[1] Jean Dubois et René Lagane: Larousse Grammaire, p104.

حدث ينتج بشكل فجائي في الماضي، مثل:

(il s'étendit sur son lit ,cinq minutes après, le téléphone sonnait)

كان يستلقي على سريره، فإذا بالهاتف يرن بعد خمس دقائق.

حكاية في الماضي: ذكر المظاهر الاعتيادية لكائن أو شيء ما، وهذا ما يسمى بالماضي الناقص الدال على الوصف (imparfait de description)، ومثاله:

(ses cheveux **tombaient** sur ses épaules) كان شعره يتساقط على كتفيه.

افتراض مشروط بعد الأداة (si)على أساس أن تكون جملة جواب الشرط متحققة الحدث، نحو: (elle **n'accepterait** pas si je lui offrais mon aide) لم تكن لتقبل لو كنت عرضت عليها المساعدة.

التعبير عن ندم (regret): ومثاله: (ah !s'il se souvenait de tout ce qu'il a appris)

يا ليته كان يتذكر كل ما تعلمه.

التعبير عن طلب، ومثاله: (je **voulais** vous demander votre avis) كنت أود طلب رأيكم.

4. المستقبل البسيط (future simple)[1]:

(Nous **verrons** bientôt revenir les beaux jours) يعبر عن حدث يحصل في المستقبل سنعود قريبا للأيام الجميلة.

ومن أبرز ما يدل عليه كذلك:

[1] Jean Dubois et René Lagane, op.cit, pp 103-104.

الأمر (ordre): خذ هذه الأقراص كل صباح على معدة فارغة.

(vous **prendrez** ces cachets tous les matins à jeun)

التعبير عن طلب ما بأدب: وهذا ما يسمى (futur de politesse)

(je vous **demanderai** de me laisser poursuivre mon exposé)

ألتمس منكم السماح لي بمتابعة عرضي.

حدث ماضوي يعقب حدثا ماضويا آخر، ويظهر ذلك في الوقائع التاريخية:

Montcalm fut vaincu à Québec de là **viendra** la perte de la nouvelle France.

انهزم مونتكام في الكيبك، ومن هناك سيأتي ضياع فرنسا الجديدة.

حقيقة عامة صالحة لكل زمان: (on ne sera jamais assez prudent) لن نكون طاهرين تماما أبدا.

حدث يلي حدثا آخر في المستقبل

(tu **frapperas**, et on **t'ouvrira**) اقرع الباب وسنفتحه لك.

الافتراض (supposition)، نحو:

من قرع الباب؟ ستكون الجارة. (Qui a frappé ?ce **sera** la voisine).

- **الأزمنة المركبة (temps composé):** يعبر عنها الجذر الفعلي(radical verbal) المتصل بلاحقة لاسم المفعول (participe passé)أو المصدر(infinitif)، مسبوقا بفعل مساعد (auxiliaire)[1].

[1] Martin Riegel, Jean-Christophe Pellat et René Rioul: Grammaire méthodique du français,p450.

الماضي المركب (passé composé/indéfini): صيغة فعلية مركبة من فعل مساعد (avoir) أو(être) ومن اسم المفعول (participe passé)، يعبر عن حدث تام وقع في الماضي بالنسبة للوقت الحالي[1]، نحو: "لقد سافرت في الغالب خارج الوطن. (Elle a voyagé souvent à l'étranger)

ومن دلالاته الخاصة[2]:

قد يستعمل للدلالة على المستقبل السابق (futur antérieur) للتعبير حدث سينتهي في المستقبل القريب (futur proche)،ومثال ذلك: (j'ai fini dans cinq minutes)

سأكون قد أنهيت (هذا العمل) في غضون خمس دقائق.

ويستعمل الماضي المركب أحيانا عوض المستقبل السابق (futur antérieur) في الافتراضات المشروطة المحققة بواسطة الأداة (si)... مثال: إذا لم تزل عندك الحمى غدا، أعلمني (si demain la fièvre n'a pas baissé ,rappelez moi)

الماضي السابق (passé antérieur)[3]: صيغة فعلية مكونة من فعل مساعد (être)أو(avoir) -مصرفا في (passé simple)- واسم المفعول (participe passé)، ويدل على أسبقية الحدث في المضي على حدث آخر أنجز بعد، ويقترن خصوصا مع الأدوات الآتية: (QUAND)، (LORSQUE)، (DES QUE)

مثال: (quand elle **eut achevé** son discours ,elle sortit de la salle)

عندما أنهت الخطاب، خرجت من القاعة

ويستعمل أحيانا، للتعبير عن افتراض غير مشروط ينطوي على تتابع سريع لحدثين في الماضي:

[1] Maurice Grivisse et André Groosse ; le bon usage, grammaire francais, Boeck, Paris 2007, p1094.

[2] Jean Dubois et René Lagane, op.cit, p105.

[3] Ibid. pp 105-106.

(il reçut un coup de poing, il **eut** vite **répondu**)

تلقى لكمة فكان رده سريعا، فحدث الإجابة هنا تحقق بعد حدث الاستقبال.

الماضي التام (plus-que parfait)[1]: صيغة فعلية مركبة من فعل مساعد (être) أو (avoir) مصرفا في (l'imparfait) ومن اسم مفعول (participe passé)، ويدل على حدث ينتج قبل حدث آخر، لكنه يختلف عن الماضي السابق (passé antérieur) في كونه يمتد مدة طويلة نسبيا بين الحدثين . نحو:

(il **avait connu** l'aisance ,il était maintenant dans la misère)

كان يعيش في رغد والآن يعيش في بؤس

ويدل أحيانا على حدث اعتيادي أو متكرر ينتج بعد حدث آخر، نحو:

(lorsqu'elle **avait lu** un livre,elle en parlait toujours)

عندما كانت تطالع ذلك الكتاب، كانت دوما تتحدث عنه.

المستقبل السابق (futur antérieur): يعبر عن حدث مستقبلي يُعد مُنجزًا، إما بالنسبة لحدث مستقبلي آخر أو بالنسبة إلى مرجع ينتمي إلى المستقبل، ويتم توضيحه بواسطة ظرف زمني، نحو:

« Je te promets de t'écrire, **dès demain**...dès que tu **seras parti** »

"أعدك بأن أكتب لك، ابتداءً من غدٍ...حالما تغادر"[2].

ومن دلالاته أيضا[3]:

[1] Jean Dubois et René Lagane: Larousse Grammaire, p106.

[2] Maurice Grivisse et André Groosse ; le bon usage,grammaire francais,p1098.

[3] Jean Dubois et René Lagane, op.cit, p106.

التعبير عن افتراض، نحو:

(Elle est en retard : elle **aura eu** un empêchement de dernière minute)

إنها متأخرة، ربما ستكون قد واجهت طارئا في اللحظة الأخيرة.

التعبير عن عدم الرضى: (décidément j'aurai tout vu) **حتما لقد رأيت كل شيء.**

التعبير عن حدث ماضوي سابق لحدث آخر، وهذا يكون في الأحداث التاريخية، ومثاله:

(Les troupes Montcalm étaient dispersées quand il **aura pu** les rassembler, il sera trop tard)

كانت قوات مونتكالم مشتتة عندما يتمكن من تجميعها، سيكون قد فات الأوان.

ثانيا: الوجه الافتراضي (mode subjonctif)

يشير هذا الوجه إلى أن المتكلم (أو الكاتب) لا يتعامل مع الواقع[1]، ويتم التمييز فيه بين أربعة أزمنة:

أ) **زمنان بسيطان:** يتقابلان على مستوى الجهة (Aspect)[2]،وهما:

الحاضر الافتراضي (subjonctif présent): يدل على أن الحدث في طور التحقق ،نحو: (je veux que tu vienne) أريدك أن تأتي.

الماضي الافتراضي (subjonctif passé): يشير إلى أن الحدث تام نحو:

(je n'étais pas sur qu'il **soit venu**) لم أكن متأكدا أنه سيأتي.

[1] Maurice Grivisse et André Groosse ; le bon usage, grammaire francais, p1102.

[2] Martin Riegel, Jean-Christophe Pellat et René Rioul : Grammaire méthodique du français, p571

ب) وزمنان مركبان: يستعملان أكثر في الفرنسية الكلاسيكية.[1]

الماضي الافتراضي الناقص (subjonctif imparfait): ومثاله: (il était nécessaire que tu **vinsses**) كان من الواجب عليه أن يأتي

الماضي الافتراضي التام (subjonctif plus-que parfait):

(elle ne pensait pas que tu **fusses venu**.) ومثاله لم نعتقد أنك كنت ستأتي.

ثالثا: الوجه الأمري (mode impératif)

وجه شخصي غير زمني يستعمل مع المخاطب الجمع(chantons) والمخاطب المفرد(chante)[2]، ويُعنى بالجمل الأمرية (injonctives) والدالة على التمني(optatives)،[3] فيكون إما أمرا في الحاضر أو الماضي[4]:

الأمر في الحاضر (Impératif présent): يدل على أمر أو طلب أو نهي في قد يحمل في الحاضر أو المستقبل، مثل: ناولني قدحا لأشرب (versez-moi à boire)

(Téléphone-moi, mardi **Ne viens pas**) لا تأت يوم الثلاثاء، واتصل بي.

ويدل أيضا على حدث مرتبط تحققه بتحقق حدث آخر، مثل:

(**Accepte** ma proposition et je retire) اقبل مقترحي وحينئذ سأتراجع.

الأمر في الماضي (impératif passé): يدل على أمر أو نهي سيكتمل في المستقبل، نحو:

[1] Martin Riegel, Jean-Christophe Pellat et René Rioul : Grammaire méthodique du français, p571

[2] Martin Riegel, Jean-Christophe Pellat et René Rioul : Grammaire méthodique du français, pp 575-576.

[3] Maurice Grivisse et André Groosse, op.cit,p1102

[4] Jean Dubois et René Lagane, op.cit., p109.

(Soyez levés demain avant huit heure) كن مستيقظا غدا قبل الساعة الثامنة.

رابعا: الوجه الشرطي (mode conditionnel)[1]

يعبر هذا الوجه عموما عن حدث يرتبط تحققه بتحقق شرط معين، فيكون[2]:

شرطا في الحاضر (conditionnel présent):

المكون من جذر الفعل مصرفا في (future simple de l'indicatif)، ونهايات الفعل (terminaisons) مصرفة في (l'imparfait)، وفي هذه الحالة يدل على حدث ممكن التحقق في المستقبل، نحو: (j'irais tout si vous me donniez son adresse (de suite la trouver

لو تمدني بعنوانها، سأعثر عليها بسرعة.

أو حدث مستحيل التحقق في الحاضر، نحو:

(si je ne vous savais pas étourdi , je vous confierais cette lettre)

"لو لم أكن أعرفه حريصا لما أعطيته هذه الرسالة "

أو شرطا في الماضي (conditionnel passé):

فيدل على حدث مستحيل تحققه في الماضي، نحو:

(si j'avais su que vous vous étiez à Lyon ,je **serais** allé vous voir)

[1] من الباحثين من يدرج (mode conditionnel) ضمن (mode indicatif) معتبرا إياه زمنا في حد ذاته، وقد تحدثت عنه مستقلا هنا بعيدا عن هذا الاختلاف، وللاستزادة ينظر:

Jean-Marie Merle. : Le conditionnel : temps ou mode ? Chapitre 1. Etude du conditionnel francais et de ses traductions en anglais, Ophrys, p. 10, https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00672522.

[2] Jean Dubois et René Lagane : Larousse Grammaire, p110.

لو علمت أنكم بمدينة ليون، لكنت قدمت إليكم.

المطلب الثاني: الوجوه غير الشخصية (modes impersonnels):

أولا: الوجه المصدري (mode infinitif)

وجه لا يعكس الزمن و الشخص والعدد[1]، وله دلالتان اسمية (nominal)و فعلية (verbal)، وذلك حسب السياق الذي يرد فيه[2]:

الدلالة اسمية (nominal): ومن ذلك أن يكون مفعولا اسميا (complément de nom):

"je fus retenu par la crainte de le vexer". . . . "vexer" **مفعول اسمي** للاسم" crainte "

"لقد تمالكت نفسي خوفا من إذلاله"

الدلالة الفعلية (verbal)، ومن ذلك أن يكون مصدرا دالا على الأمر أو نهي (infinitif d'ordre):

(**Agiter** le flacon avant de s'en servir ; **Ne pas exposer** à l'humidité)

حرك الزجاجة قبل الاستخدام، ولا تعرضها الرطوبة

وعموما يتم التمييز في هذا الوجه بين[3]:

المصدر في الحاضر (infinitif présent):

يدل على حدث ينتج في الوقت نفسه مع الحدث الذي يعبر عنه الفعل الرئيس في الجملة:

[1] Martin Riegel, Jean-Christophe Pellat et René Rioul : Grammaire méthodique du français, p579.

[2] Jean Dubois et René Lagane : Larousse Grammaire, p112.

[3] Ibid, p112.

(je l'entends **chanter**) أسمع غناءه

المصدر في الماضي (infinitif passé):

يدلّ هذا النوع من المصدر على أسبقية حدث عن الآخر، نحو:

(Après **avoir rangé** ses livres, il se préparer à aller en classe)

بعد **ترتيبه** كتبه، إنه يتهيأ للذهاب للقسم.

ثانيا: الوجه المشترك لاسمي المفعول واسم الفاعل (mode participe) والمصدر الفعلي (gérondif)

الوجه المشترك لاسمي المفعول واسم الفاعل (mode participe): يشترك في الاستعمال بين الفعل والصفة، وينقسم إلى نوعين:

1) اسم الفاعل: participe présent

يتشكل من جذر الفعل (radical) من الضمير الشخصي الأول في حالة الجمع من جذر الفعل المصرف مع (nous) في الوجه التعييني (mode indicatif)، وتضاف له اللاحقة (ant) التي لا تتغير.

Regarder ⟶ nous regardons⟶ regarde +ant

ويستعمل للدلالة على حدث في طور الإنجاز[1]،نحو:

Une meute **hurlant** de fureur s'acharnait sur la bête

كان هذا القطيع من الذئاب العاوية يندفع نحو الوحش بشراسة.

ويستعمل كصفة (adjectif verbal)، ومن ذلك:

Vous avez des enfants très **obéissants**

[1] Jean Dubois et René Lagane: Larousse Grammaire p114.

لديك أطفال مطيعون جدا.

2) اسم المفعول (participe passé)

يتشكل من جذر المصدر (le radical de l'infinitif) وهو ثابت لا يتغير باستثناء بعض الأفعال (être avoir ,s'avoir). يمكن توظيفه بوصفه فعلا، وبوصفه صفة، وغالبًا ما يتبعه مفعول، ويعبّر عن فعل حدث في الماضي أو عن حالة في الحاضر، فأما الفعل فمثاله[1]:

Appliqués à leur travail, ils ne nous avaient pas vus=**étant Appliqués**

كانوا منغمسين في عملهم فلم يرونا.

وأما الصفة الفعلية (adjectif verbale)، نحو[2]: Marie est une élève appliquée (ماري تلميذة مجدة)

المصدر الفعلي: (Gérondif)

يعد وجها من أوجه الفعل، ويتألف من جذر فعلي ولاصقة3 (en)، نحو: (En rentrant)

ويدل على تزامن حدثين (**simultanéité**) : **En rentrant** à la maison, j'ai croisé le concierge

(التقيت بالبواب وأنا أدخل إلى المنزل).

يتضح مما سبق أن الزمن في اللغة الفرنسية يستند أكثر على الصيغ الفعلية (formes verbales)، ومن خلالها يرسم معالم الزمن بفسحه المختلفة، ويتحقق ذلك في إطار وجوه مختلفة، أغناها الوجه التعييني (mode indicatif)، فالوجه

[1] Jean Dubois et René Lagane: Larousse Grammaire, p114.

[2] Ibid, p114.

[3] مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 62.

الافتراضي (subjonctif) ثم الشرطي (conditionnel) وبعده الأمري (impératif)، وهي وجوه شخصية (personnels) ليخبو مع الوجوه غير الشخصية (impersonnels).

الخاتمة

يمكن الوقوف في خاتمة هذا البحث عند النتائج الآتية:

- العربية والفرنسية ليس لهما إلا لفظ واحد للدلالة على الزمن اللغوي هو (الزمن = temps)، وقد حاول بعض الباحثين العرب التمييز بين الزمن الفلسفي والزمن اللغوي، فجعل لفظة (الزمان) للأول، و(الزمن) للثاني. وقد حاول بعض اللسانيين الفرنسيين أيضا معالجة هذا الوضع، فاقترحوا مصطلح (tiroir verbal) بدل(temps) للإشارة للزمن اللغوي.

- هناك علاقة وثيقة بين الزمن والجهة، تجعل البعض أحيانا، لا يفرق بينهما، فالجهة، هي الطرق المختلفة للنظر إلى التكوين الزمني الداخلي للوضع، وبهذا تخالف الزمن، إذ يرتبط هذا الأخير زمن الحدث أو الوضع بزمن آخر خارجي، وهو زمن التلفظ بالجملة، وهذا ما يسميه رايشنباخ بالزمن الإحالي. وأن للحدث بنية داخلية لها على الأقل بداية ووسط ونهاية.

- صيغ الفعل وحدها في العربيّة (أي الماضي والمضارع والأمر)، لا تعبر عن الزمن اللغوي بصورة واضحة، وبناء عليه فهي ليست معيارا للحكم على زمنيتها، فالماضي في العربية ليس على شاكلة واحدة، بل هناك الماضي المطلق والقريب والبعيد والمتجدد وغيرها من الفسح المتنوعة، والحاضر كذلك يتنوع هو الآخر، والمستقبل بحسب ما يتصل بالفعل من لواصق وقرائن ونواسخ، وينبغي استحضار السياق ومقصد المتكلم.

- الدلالة على الزمن في العربية ليست حكرا على الفعل وحده؛ وإنّما تعبر عنها بعض المشتقات أيضا من قبيل اسمي الفاعل والمفعول، وهذا يعكس انفتاح النسق الزمني للعربية وغناه.

- تشترك اللغتان في التعبير عن الزمن بأقسامه الثلاثة، لكن لكل لغة نسقها الخاص فالعربية تكشف عن الزمن صرفيا ونحويا وتترك المجال مفتوحا لمتكلمها للتعبير عن مقصده، فلا تحصره في قالب معين.

- اللغة الفرنسية تعتمد عدة وجوه (Modes) لتصنيف الأزمنة، وهي في ذلك تجنح إلى الصيغ الفعلية أكثر وهذا ما يضطر متكلمها إلى الإلمام بقائمة من القواعد.

- يتسم التعبير الزمني العربي بمرونة عالية، توفر للمتكلم وسائل لغوية مختلفة للتعبير عن الدلالات الزمنية بدقة وتباين في أحوال الخطاب المختلفة، وهذا الأمر يظهر عند عملية الترجمة، ذلك أن ذهن المتكلم العربي يجد نفسه أمام وسائل متعددة للتعبير عن التحديد الزمني المراد تبليغه.

وعموما يظل هذا الجهد ينتظر أبحاثا تتممه إضافة وتعديلا وتصحيحا، على أمل أن يتخذ هذا أرضية للمضي في أبحاث أخرى.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.

المراجع باللغة العربية:

- ابن جني الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية 1952
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث، بيروت، 2001.
- ابن هشام الأنصاري المصري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت 1996.
- أندره رومان: المجمل في العربية النظامية، ترجمة حسن حمزة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2007،
- برجشتراتر: التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط.1994
- تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1994.
- تودروف وديكرو: زمن الخطاب، ترجمة: أولحيان محمد، مجلة فكر ونقد العدد 34.
- خاليد حسني: الزمان والجهة في العربية والفرنسية: دراسة لسانية مقارنة، منشورات الكلية متعددة التخصصات بالناظور.
- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو: تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الثالثة 1979.

- سبتينو موسكاتي: مدخل إلى نحو اللغات السامية، تر: مهدي المخزومي ومحمد المطلبي 1980بيروت،
- سعاد صابر: الأنماط الجهية في صورة فعل، ضمن كتاب البنى الزمنية وأشكالها، عبد القادر الفاسي وآخرون، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وجمعية اللسانيات بالمغرب، 2000.
- سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، طبعة 1988.
- عبد الجبار توامة: زمن الفعل في اللغة العربية: قرائنه وجهاته –دراسات في النحو العربي، دار المنشورات الجامعية الجزائر 1994.
- عبد العزيز العماري: الزمن والجهة: مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1992، العدد6.
- عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 1989.
- عبد المجيد جحفة الإحالة الزمنية للغة العربية: دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال للنشر، ط1، 2006.
- عبد المجيد جحفة: الحدث في المفعول، مقال مستقى من كتاب اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط 1992.
- علي جابر المنصوري: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، دار العلمية الدولية ودار الثقافة، الطبعة الأولى 2002.
- فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان الأردن، الطبعة الثانية، 2007.

- كمال رشيد: الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، طبعة 2008
- مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986
- مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي إنجليزي عربي)، دار الفكر، بيروت، 1995.
- محمد عبد الرحمن الريحاني: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء، القاهرة.
- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، دار الكوخ للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2004.
- مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي –فرنسي –عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ط1، 2002.
- مهدي المخزومي: في النحو العربي، دار الرائد العربي، بيروت، 1986.
- يوئيل يوسف عزيز: الزمن والحدث في العربية والأنكليزية، مجلة آداب المستنصرية العدد 8.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Bernard Comrie: Aspect. An Introduction to the study of verbal aspect and related problems. Cambridge University Press. 1976.
- Dictionnaire de l'Académie française,5ème Edition, ebook France 1798.
- Jean Dubois et autres : Dictionnaire linguistique : Larousse, Larousse Bordas2002.
- Jean Dubois et René Lagane: Larousse Grammaire, paris 2009.
- Jean-Marie Merle. : Le conditionnel : temps ou mode ? Chapitre 1. Etude du conditionnel

francais et de ses traductions en anglais, Ophrys https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00672522.

- Larousse: Tout sur les verbes française 2006.
- Martin Riegel, Jean-Christophe Pellat et René Rioul : Grammaire méthodique du français, Quadrige, France, 1994.
- Maurice Grivisse et André Groosse ; le bon usage,grammaire francais, Boeck,Paris 2007.
- Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage: édition du Seuil,1972.
- Pierre Cabla, Etude théorique et analyse didactique des phénomènes aspectologiques du passé composé et de l'imparfait. https: //dumas. ccsd. cnrs. fr/dumas-01015780
  Submitted on 27 Jun 2014.
- W. Wright: A grammar of the Arabic languge, third Edition libraire of libanan. Berrut,
- Zeno Vendler: linguistics in philosophy, cornell university Press Ithaca and London, printed in the UnitedStates of America, Third printing 1974.

BIBLIOGRAPHIE

Calame-Griaule, G. (1987). Des Cauris au marché. Essai sur des contes africains. Mémoires de la Société des Africanistes, 11, cité par Ahmed Kharbouch, Les modes d'existence du conte populaire : le texte et le vécu, forum d'Imerqan, actes du premier colloque des cultures immatérielles méditerranéennes de Nador- juillet 2007

Coquet, J. (1997). La quête du sens. Paris : Presses Universitaires de France.

Coquet, J.C. (2002). Conte et culture, journée d'étude 15 février, Oujda.

Courtés, J. (1991). Analyse sémiotique du discours, de l'énoncé à l'énonciation. Paris : Hachette.

Greimas. A. (1983), Du sens II, Seuil ; Paris

Greimas, A. Pour une théorie des modalités. In : Langages, 10e année, n°43, 1976. Modalités: logique, linguistique, sémiotique. pp. 90-107; consulté en ligne le 16 mai 2023 https://www.persee.fr/doc/lgge_0458-726x_1976_num_10_43_2322

Greimas, A.J. & Courtes, J. (1971). Dictionnaire raisonné de la théorie du langage. Paris : Classiques Hachette.

Groupe d'Entreverne (1987), Analyse sémiotique des textes, édition Toubkal, Casablanca

Monzani, S. (2017). Pratiques du conte : revue de la littérature. Presses Universitaires de France, 595. Consulté en ligne le 26 août 2017 sur http://www.psycontent.com/PSYE_482_0593.pdf

Van Gennep, A. (1910). La formation des légendes. Paris : Flammarion.

Conclusion :

Cette analyse met en lumière plusieurs aspects essentiels du conte "Buya". D'une part, ce récit explore de manière distincte les parcours de la fille et de la belle-fille, chacun servant à illustrer des valeurs positives telles que la bienveillance et la modestie, tout en décriant les traits négatifs comme la haine et l'arrogance. Ces contrastes structurels permettent au conte d'offrir une réflexion approfondie sur les comportements humains et leurs conséquences morales.

En conclusion, la signification du message véhiculé par le conte dépend étroitement de la manière dont ses programmes narratifs sont articulés. Selon la perspective théorique de Greimas, l'analyse narrative révèle que la succession des phases du schéma narratif canonique (action, manipulation, sanction) est cruciale pour la construction de la signification et la transmission des valeurs morales. En suivant cette structure, le conte devient non seulement une histoire envoûtante mais aussi un véhicule puissant pour enseigner et transmettre des morales essentielles sur la nature humaine.

aux termes établis, ou cognitive, évaluant la vérité d'une affirmation au-delà des apparences.

En attribuant au Sujet la sanction qu'il mérite, le destinateur marque la situation finale du récit.

Dans ce conte, lorsque Buya, la fille aux pierres précieuses éprouve de la bonté, la vieille femme effectue un exercice de reconnaissance, et reconnaît la fille comme une "héroïne". Au niveau pragmatique elle accorde à « Bouya », en conséquence, sa "récompense" (les perles d'or) : « Txancet a nnem a yedji Buya, testahdj tt x nneyyet nni dayem, arbut x uɛrur traḥed ad targḥed…., tarzem txancet nni x uɛrur n Buya, tuf itt tɛemmar s arzeq d lwiz. » (C'est ton sac, tu le mérites par tes bonnes intentions et ta naïveté, lui répondit la femme, porte-le sur ton dos et rentre chez toi…….. sa belle-mère s'étonna en ouvrant le sac et le découvrant plein de biens et de perles)

Par conte, il a décerné à la demi-soeur une sanction négative vue sa méchanceté et son orgueil: «tekkes as yemmas txancet nni taṛẓem itt tuf itt teccur s tɣardmiwin d ifiɣran uca ad tesɣuy, teksi ṭejja yellis uca teqqim tazzel tazzel… zi rexddnit war d tedwil ɣar taddart.» (Arrivée, elle ouvrit la porte, la mère lui arracha le sac, l'ouvrit et le trouva plein d'araignées et de serpents, la mère hurla aussitôt et courait… A partir de ce jour-là, elle ne regagna plus son logis.)

Il s'agit là de deux sanctions, l'une positive pour Bouya, et l'autre négative pour la demi-soeur, le sujet opérateur exerçant ces sanctions a évalué les deux sujets sur la base de l'être et le faire de Bouya, la demi-soeur et la marâtre.

du père commandé par la marâtre. Nous sommes face à deux programmes narratifs dans ce conte :

Un programme narratif de sujet (Bouya)

PN=F [S1 ⟷ S2 ∧ Ov (les perles d'or)]

Un programme narratif de l'anti-sujet (la belle-sœur)

PN=F [S1 ⟷ S2 ∨ Ov (les perles d'or)]

Dans le second programme narratif, la protagoniste subit une transformation marquée, elle s'associe désormais étroitement au trésor, l'objet de valeur passant d'un état de manipulé à l'état du manipulateur. Le conte suppose simplement que Bouya tend vers un état conjonctif, cela veut dire que l'état antérieur de disjonction était déjà présent. Dans l'univers contique il est généralement admis qu'une personne gentille ne peut jouir que d'une vie aisée. Dans ce contexte, il est à signaler que l'héroïne n'était pas à la quête du trésor, ce qu'elle a acquis n'est qu'une récompense de ses conduites en tant que belle-fille maltraitée et non désirée par sa marâtre. Jalouse, cette dernière devient destinateur manipulateur, elle envoie sa fille pour apporter le trésor comme sa demi-sœur.

c- La sanction

Dans le schéma narratif canonique, la sanction se présente comme une phase finale après la performance, où le sujet opérateur, le sujet d'état ou même l'objet en jeu sont évalués. Selon Greimas et Courtès, « une figure discursive, corrélative à la manipulation, qui, inscrite dans le schéma narratif, prend place sur les deux dimensions pragmatique et cognitive.» (Greimas, A.J. et Courtès, J, 1979: 320) elle se divise en deux parties : la sanction cognitive, qui juge ou évalue l'être concerné comme positif ou négatif, et la sanction pragmatique, qui attribue à un destinataire un objet jugé positivement ou négativement.

Le récit de la sanction après la quête du héros se base sur la manipulation et les valeurs, impliquant deux acteurs clés : le destinateur-manipulateur, qui initie l'action récompensée, et le destinateur-judicateur, chargé de délivrer cette sanction. Après avoir triomphé de l'épreuve décisive, le héros reçoit sa rétribution prévue, représentant une compensation juste et préétablie. Le destinateur-judicateur remplit un rôle crucial en évaluant non seulement la conformité de l'action mais aussi sa performance, agissant ainsi en tant que "judicateur". La nature de la sanction dépend de l'appréciation épistémique du destinateur concernant l'action du héros. Elle peut être pragmatique, vérifiant la conformité

Privation :

S ⟹ [(S1 ∧ O) ⟹ (S1 ∨ O)]

La double flèche indique la notation décrivant *le faire* du sujet opérateur (S) sur le sujet d'état (S1), le sujet opérateur qui réalise la transformation sur le sujet d'état. On constate qu'il y a une nette marque de dynamisme, d'action de la part du sujet opérateur ; alors qu'il y a un statisme marqué, ou une passivité dans le rôle du sujet d'état, du sujet qui est en relation directe avec l'objet central de récit.

Tableau n°2 : la performance

Transformation	Sujet opérateur	Conséquence	Catégorie thymique	destinataire
Départ pour puiser de l'eau	La marâtre	Errance	Dysphorie	Bouya
Quête du tamis	Perte du tamis	Parcourir le chemin à la recherche du tamis	Dysphorie	L'héroïne
Rencontre avec le berger	Perte du tamis	Connaitre l'itinéraire du tamis	Euphorie	Bouya
Rencontre avec les femmes	Perte du tamis	Connaitre l'itinéraire du tamis	Euphorie	Bouya
Rencontre avec la vieille femme «friḥa»	Perte du tamis	Obtention des perles d'or	Euphorie	Bouya et son père
Retour avec des perles d'or	La vieille femme	Détention + mort l'ogresse.	Euphorie	Bouya et son père
Départ de la demi-sœur	La mère	Jeter le tamis dans la rivière	Euphorie	La demi-sœur
Rencontre avec le berger	Le jet du tamis dans la rivière	Poursuite du tamis	Euphorie	La demi-sœur
Rencontre avec les femmes	Le tamis	Poursuite du tamis	Euphorie	La demi-sœur
Rencontre avec la vieille femme «friḥa»	l'arrogance	Obtention de serpents et d'insectes	Dysphorie	La mère et sa fille

Ce conte présente le thème de l'errance, comme phénomène de l'initiation de la fille qui conduit à la construction du foyer conjugal, après l'expulsion de la part

- L'actualisé (le pouvoir faire et le savoir-faire) ; épreuve principale

- Le réalisé (le faire ou la transformation). Epreuve glorifiante

Le tableau (Algirdas Greimas, 1976, 91) suivant de Greimas illustre ces propos :

Compétence		**Performance**
Modalités virtualisantes	Modalités actualisantes	Modalités réalisantes
Devoir-faire Vouloir-faire	Pouvoir-faire Savoir-faire	Faire- être

Les actants définis par cette relation sont le sujet et l'objet. De ce postulat sémantique complémentaire les deux dimensions statiques /dynamiques permettent de différencier deux fonctions : L'état et la transformation, et deux formes d'énoncés : l'énoncé d'état et l'énoncé de faire

En sémiotique narrative, chaque récit place le sujet dans une performance qui constitue un exploit en vue d'une finalité précise. La sémiotique relie le sujet actant aux modalités et met en évidence différents rôles actantiels. Initialement, le sujet doit acquérir une compétence spécifique pour devenir un sujet opérateur, étape nécessaire avant de pouvoir mener des actions concrètes. Tant que le sujet virtuel n'a pas maîtrisé ses compétences essentielles, il ne peut pas se concrétiser en tant que sujet opérateur et ses actions restent théoriques. Le programme narratif attribue au sujet divers rôles actantiels, « définis à la fois par la position de l'actant dans l'enchaînement logique de la narration (sa définition syntaxique) et par son investissement modal (sa définition morphologique) rendant aussi possible la réglementation grammaticale de la narrativité.» (Courtès Joseph, 1976 : 13).

La performance narrative atteint son apogée dans une phase décisive, une transformation qui nécessite l'acquisition préalable de compétences spécifiques étant donné que l'objet de valeur n'est pas explicite. Cette compétence représente les conditions essentielles à la réalisation de l'épreuve décisive, reliant sens et signification. La performance se situe entre la manipulation et la sanction, agissant comme « l'opération qui transforme les états, qui fait passer d'un état conjoint à un état disjoint.» (Groupe d'Entreverne, 1987 : 21). Cette définition distingue deux types de performance : la conjonctive et la disjonctive, enrichissant ainsi la complexité du programme narratif :

Acquisition :

$S \Rightarrow [(S1 \vee O) \Rightarrow (S1 \wedge O)]$

assumant le rôle de l'anti-sujet. La manipulation est réalisée par des sujets manipulateurs en tant que destinateur manipulateur qui peuvent devenir manipulé.

Il importe de souligner que dans ce conte, pour l'expulsion, les personnages impliqués dans ce programme sont la belle-mère et le père qui établissent un contrat judiciaire qui se manifeste de manière implicite dans à travers la signification dévoilée. Cette dernière résulte du puisement de l'eau au moyen d'un tamis qui n'est point destiné à cette entreprise, récipient offert à la belle-fille, dans le but l'égarer dans la forêt. Dans ce type de récits initiatiques, l'héroïne au cours de son périple obtient, par sa bonté et sa bonne foi, une voie soit vers la fortune.

b- L'action :

Dans le schéma narratif canonique, l'action occupe une place centrale, étant représentée par un programme narratif. Cette étape est habituellement subdivisée en deux aspects : la compétence et la performance. La compétence acquise par le sujet pour accomplir son faire reste à préciser la compétence qui nécessite l'acquisition des modalités. En effet, La modalisation narrative est un processus en deux phases distinctes : la modalisation du faire et la modalisation de l'être. En reformulant la notion de fonction narrative de Propp en termes d'énoncés narratifs (Greimas, 1983, 50), Greimas a inauguré ce que l'on pourrait appeler « une théorie des modalités »[1] pour la syntaxe narrative. Ainsi, la voie de la modalisation de la syntaxe narrative examine les modalités qui s'appliquent au sujet de faire. Au cours de cette première phase de la modalisation syntaxique c'est-à-dire l'analyse de la compétence modale du sujet. Il est à noter que le sujet à l'origine de la transformation narrative nécessite des conditions préalables pour que cette transformation puisse avoir lieu.

La sémiotique intègre également les divers modes d'existence du sujet agissant, définis en fonction de sa qualification modale, oscillant entre la virtualité et l'activité de compétence d'une part, et la réalité de la performance, d'autre part. Pour caractériser le statut du sujet, Greimas distingue trois modes d'existence distincts : qui s'étendent sur trois épreuves qui sont des étapes formelles du récit sur un axe temporel ;

- Le virtualisé (le vouloir faire et/ou le devoir faire) épreuve qualifiante

[1] GREIMAS. A. Pour une théorie des modalités. In: Langages, 10e année, n°43, 1976. Modalités : logique, linguistique, sémiotique. pp. 90-107; consulté en ligne le 16 mai 2023 https://www.persee.fr/doc/lgge_0458-726x_1976_num_10_43_2322

a- Phase de la manipulation :

Selon Courtès la manipulation ou le faire faire « (terme qui, en sémiotique, est expurgé de toute connotation psychosociologique ou morale, et qui désigne seulement une relation factitive) » (Joseph Courtès, 1991) constitue une opération visant à susciter ce changement en utilisant divers moyens. Afin que l'action puisse se concrétiser, il est impératif que le Sujet soit incité, mobilisé ou contraint à suivre cette progression narrative. Dans la voie de la manipulation, il y a établissement d'un contrat entre destinateur et destinataire présupposé par les trois épreuves (qualifiante, décisive et glorifiante), c'est-à-dire, la préexistence d'un contrat implicite ou explicite, sur lequel le destinateur s'appuie pour déléguer au destinataire les actions requises et pour souscrire à un ensemble de valeurs déterminées.

Tableau n°1 : la manipulation

Modalité de manipulation	Destinateur manipulateur	Destinataire manipulé	Résultat
/Faire croire/ puiser de l'eau dans le tamis	La marâtre jouant le rôle d'anti-destinateur	Buya	Négatif (Perte du tamis et errance de la fille)
/Faire savoir/ l'endroit où se trouve le tamis	La laveuse de linge	Buya	Positif (découvrir l'itinéraire du tamis)
/Faire savoir/ l'endroit où se trouve le tamis	Le berger	Buya	Positif (poursuivre l'itinéraire
Faire manipulateur (phrase prononcée par la fille)	Buya	Tante Friḥa	Positif (accueil chaleureux de la fille)
/Faire croire/ (entrer de la fenêtre, dormir avec les bovins et caprins et manger du pain d'orge.	La femme	La fille (Buya)	Positif entrer par la porte, dormir avec les humains (enfants) et manger du pain de blé avec du beurre frais.

Le conte Buya, qui contient grosso-modo le motif de la belle-fille maltraitée par sa marâtre, est manipulée par sa belle-mère par le faire-croire puiser de l'eau par le biais d'un tamis, chose qui est impossible mais la naïveté de la fille et son innocence manipule la vieille femme dotée du pouvoir-faire, cela règle sa prédestiné qui la fait munir de perles d'or. Nous sommes en face de deux programmes narratifs : celui de Buya en tant que héroïne et celui de la belle-sœur

Analyse sémiotique du conte Buya :

Dans cette étude, nous nous focaliserons sur l'analyse approfondie de la structure narrative du conte "Buya", afin de dévoiler sa signification profonde et de mettre en lumière le programme narratif tel que conceptualisé par Greimas et Courtès. Notre objectif est d'appliquer la méthode de Greimas pour examiner les structures manifestes, en particulier les schémas narratifs et actantiels qui constituent les fondements de la narration. Cette démarche nous permettra d'explorer en détail les différents niveaux d'analyse présents dans le conte étudié. Nous concentrerons notre attention sur les actants impliqués dans l'intrigue narrative et leurs rôles thématiques dans le récit, afin de mieux comprendre comment ces éléments contribuent à la construction narrative et à la transmission des valeurs symboliques et sociales.

Schéma narratif canonique :

L'approche de la logique narrative repose sur le modèle actantiel et le schéma narratif, aussi connu sous le nom de schéma canonique, structuré en boucle avec une phase initiale de contrat ou de manipulation et se terminant par une sanction, souvent partiellement anticipée dès la manipulation. Le schéma narratif est indissociable du schéma actantiel, car ce sont les actants qui jouent des rôles clés dans l'intrigue d'un récit. Ces phases sont décrites selon ce qui relève de l'être et ce qui relève du faire, elles sont représentées dans le tableau suivant (Groupe d'Entreverne, 1987 : 3):

Manipulation	**Compétence**	**Performance**	**Sanction**
Faire-faire	**Etre de faire**	**Faire-être**	**Etre de l'Etre**
Relation destinateurs-sujet opérateur	Relation sujet opérateur - Opération (objets modaux)	Relation Sujet opérateur - états (objets valeurs	Relation destinateur- sujet opérateur Relation destinateur- Sujet d'état

La coexistence de ces composantes sont indispensable pour la constitution du programme narratif qui se concrétise en « suite d'états et des transformations qui s'enchainent sur la base S-O (où O indique l'objet et S indique le sujet.) et de sa transformation. Le programme narratif comporte donc plusieurs transformations articulées et hiérarchisées». (ibid, 16)

- En récompense de sa vertueuse conduite, elle obtient une gratification ;
- Elle retourne chez elle, accompagnée d'innombrables richesses « tarzem txancet nni x uɛrur n Buya, tuf itt tɛemmar s arzeq d lwiz » (sa belle-mère s'étonna en ouvrant le sac et le découvrant plein de biens et de perles.)

Le parcours de la fille dévoyé " (orgueilleuse)"

- Poussée par la jalousie de sa belle-mère, cette dernière partit pour acquérir les mêmes richesses ;
- La jeune fille s'éloigne alors du foyer familial ;
- En route, elle recroise les mêmes individus à qui elle demande le chemin mais par manque de respect ;
- Arrivée près de la maison, elle est accueillie par la même vieille femme qui la soumet à une série d'épreuves (le choix de la nourriture, le choix de lieu pour passer la nuit et la conduite avec le chat Massaud); Elle subit une punition de la part du chat;
- Finalement, elle rentre chez elle, accompagnée de détritus et de déchets « taṛẓem itt tuf itt teccur s tɣardmiwin d ifiɣran » (elle ouvrit le sac et le trouva plein d'araignées et de serpents).

Ses deux parcours annoncent que le conte n'est pas seulement une voix pour la distraction, la détente par les événements fictifs qui la composent mais au contraire, il sert à régler des problèmes, à apaiser les circonstances de la vie et à changer des conduites, il acquiert alors par ce, une fonction éducative car il comporte des enseignements à travers le principe d'opposition.

D'après la sémiotique, le récit est décrit comme une transformation entre deux états successifs et distincts (Joseph Courtès, 1991 : 72). En d'autres termes, il représente le passage d'un état initial à un autre, d'une situation à une autre. La sémiotique définit ainsi l'énoncé élémentaire comme une relation fonctionnelle entre le Sujet (être et principe actif) et l'Objet (position formelle déterminée par l'intersection de toutes ses relations).

successivement une femme qui lui demande de l'aider à laver le linge en échange d'orientations, puis un berger qui veut qu'elle guide son troupeau. Chaque fois, elle présente de l'aide sans hésiter. Elle arriva finalement chez une vieille femme nommée « Tante Friha », Bouya, humble et respectueuse, fut nourrie et logée confortablement grâce à ses modestes demandes, elle reçoit alors de la nourriture. Elle repart le lendemain avec un sac rempli de trésors offert par la vieille femme, qui reconnaît la bonté de Bouya. Plus tard, la belle-mère, envoie sa propre fille à la rivière avec la même quête. Cette fille, arrogante et refusant d'aider les autres, finit par recevoir un sac rempli de serpents et d'araignées au lieu du trésor. Sa méchanceté est ainsi punie. À son retour, le père découvre la vérité grâce aux dires de Bouya. La belle-mère et sa fille sont chassées du foyer, et Bouya et son père vivent désormais heureux avec les trésors apportés.

Présentation du conte « Buya »

Il s'agit d'un conte de sagesse qui transmet un message clair : la bonté engendre la richesse et assure la sécurité matérielle, tandis que la haine entraîne des conséquences néfastes. La logique du récit guide le destin de ceux qui cultivent la bonté, la sagesse et la gentillesse. Il illustre les thèmes de la récompense pour la bonté et de la punition pour la méchanceté, en montrant comment l'héroïne embrasse pleinement les valeurs sociales.

Le dit conte représente une structure limpide ; il correspond à la structure classique du conte T 480 de la classification d'Aarne et Thompson, une configuration narrative qui façonne le conte en deux entités symétriques, tissant les parcours tout à fait opposés des deux protagonistes (la fille et la belle-fille).

En voici, en détails, le parcours de chacune :

Le parcours de la "jeune fille vertueuse (modeste)"

- Sous l'instigation de sa belle-mère, elle partit pour puiser de l'eau ;
- Elle s'éloigne du foyer à la recherche de sa quête;
- Sur chemin, elle croise deux individus à qui elle demande le chemin avec courtoisie ;
- Arrivée près d'une maison, elle est accueillie par une vieille femme qui la soumet à une série d'épreuves (le choix de la nourriture, le choix de lieu pour passer la nuit et la conduite avec le chat Massaud);

Introduction :

Les contes constituent une riche part du patrimoine folklorique des peuples, véhiculant des idéaux de justice et de victoire sur les forces du mal, imprégnés d'humanisme et d'optimisme. À travers leurs multiples formes, ils représentent un véritable chemin initiatique, fondé sur des représentations, des normes et des valeurs ancestrales, mettant en lumière des aspects essentiels de la condition humaine. Simple dans sa narration et souvent anonyme, le conte se distingue par sa diversité formelle tout en préservant son essence, ancré dans la tradition orale de notre héritage littéraire. Il rappelle les veillées d'autrefois et d'autres occasions de rassemblement et de récit, et incarne un univers de valeurs issus de l'imaginaire populaire, transmis de génération en génération pour relier passé, présent et futur. Il donc «bâti sur la continuité et la transmission transgénérationnelle.» (Stefano Monzani, 2005 : 595). Structuré de manière universelle, le conte utilise l'imagination créatrice, intégrant des éléments surnaturels et des héros idéalisés pour explorer les préoccupations philosophiques et existentielles des hommes. Il demeure ainsi «un miroir dans lequel la société s'observe et se voit à la fois telle qu'elle est réellement, avec son décor et ses institutions familières, mais aussi telle qu'elle se souhaite au travers de ses héros idéalisés aux pouvoirs merveilleux.» (G. Calame-Griaule, 1987 : 11). Les auditeurs trouvent dans le conte un refuge, ravivant l'espoir chez ceux qui l'avaient perdu en s'identifiant aux personnages fictifs ayant surmonté de multiples épreuves pour recevoir leur récompense.

Le conte, souvent de courte longueur, présente des faits imaginaires dans plusieurs versions, partageant une structure commune tout en variant dans les détails. Anonyme et enraciné dans la société, il « produit ces ensembles signifiants que nous appelons 'culture' ou 'discours social.» (Coquet Jean Claude, 2002 : 9). Ce trésor décrit la société en exprimant « par des moyens très simples et très frustres les images et les sentiments dont vit l'humanité tout entière » (Van Gennep Arnold, 1910 : 20), reflétant ainsi les croyances, les pensées et la culture.

Résumé du conte :

Le conte de Bouya raconte l'histoire d'une jeune fille vivant avec sa belle-mère et sa demi-sœur, après le départ de son père en pèlerinage. La marâtre favorise sa propre fille en lui donnant toutes les bonnes choses tandis que Bouya reçoit les tâches et les objets usés. Un jour, la belle-mère envoie les deux filles chercher de l'eau à la rivière avec pour récompense de la nourriture pour celle qui reviendra la première (manger dans la louche de son père). Bouya, malgré ses efforts, voit son tamis emporté par la rivière. En cherchant à le récupérer, elle rencontre

Analyse sémiotique d'un conte rifain: «Buya», la fille aux pierres précieuses

Rachid Belhadi

Docteur en linguistique et traduction

Laboratoire Société, Discours et Transdisciplinarité

Faculté Pluridisciplinaire de Nador, MAROC

Résumé

Cette étude se penche sur la manière dont la signification d'un discours contique se construit à travers l'usage de schémas narratifs. En s'appuyant sur les concepts narratifs développées par Algirdas Julien Greimas et les programmes narratifs établis par Joseph Courtés, elle explore comment ces structures influencent la progression du récit et la transformation des personnages. Méthodologiquement, l'analyse repose sur l'identification des actants, des fonctions narratives et des oppositions des parcours. L'analyse du contenu révèle que les personnages principaux, le sujet et l'anti-sujet, subissent des transformations notables au cours de leur parcours, passant d'un état initial de à un état final. Cette évolution est le reflet des schémas narratifs qui façonnent leur cheminement et leurs interactions. Nous appliquons cette approche à l'étude du conte « Buya », en mettant en lumière les parcours contrastés des protagonistes. L'analyse montre que Bouya, la protagoniste, évolue positivement grâce à sa patience et à son respect des valeurs morales, contrairement à sa demi-sœur, dont l'arrogance et l'impolitesse entraînent une fin désastreuse. En examinant ces parcours opposées, l'étude illustre comment les schémas narratifs influencent la construction du sens et la dynamique des personnages dans le récit contique, révélant les valeurs et les leçons morales implicites véhiculées par le récit contique.

Mots-clés : Signification – discours contique – schéma narratif – transformation – parcours opposé.

Citation :

BELHADI, Rachid. (2024, Juillet). Analyse sémiotique d'un conte rifain : «Buya», la fille aux pierres précieuses. Revue de recherche en sciences humaines et cognitives, Tome 1, N° 4, Première Année, P 59-71.

Abstract

This study examines how the meaning of a fairy tale discourse is constructed through the use of narrative schemas. Drawing on the narrative concepts developed by Algirdas Julien Greimas and the narrative programs established by Joseph Courtés, it explores how these structures influence the progression of the story and the transformation of characters. Methodologically, the analysis is based on identifying actants, narrative functions, and oppositions in the characters' journeys. The content analysis reveals that the main characters, the protagonist and the antagonist, undergo notable transformations throughout their journeys, moving from an initial state to a final state. This evolution reflects the narrative schemas that shape their paths and interactions.

We apply this approach to the study of the tale "Buya," highlighting the contrasting journeys of the protagonists. The analysis shows that Bouya, the protagonist, progresses positively due to her patience and adherence to moral values, whereas her half-sister's arrogance and impoliteness lead to a disastrous end. By examining these opposing paths, the study illustrates how narrative schemas influence the construction of meaning and character dynamics in the fairy tale, revealing the implicit values and moral lessons conveyed by the story.

Keywords: Meaning - folk tale discourse- Narrative scheme - transformation - opposite path.

Peraya, D., Peltier, C., (2020). Ingénierie pédagogique : vingt fois sur le métier remettons notre ouvrage..., Distances et médiations des savoirs [En ligne], 29 | 2020, mis en ligne le 15 mars 2020, consulté le 31 mars 2020. URL : http://journals.openedition.org/dms/4817

Trebbi, T., (2009). Le potentiel des TIC pour un nouveau paradigme d'enseignement, Vers la démocratisation de l'accès au savoir, Distances et savoirs 2009/4 (Vol. 7), pp 589-599

Yousfi, I. (2023). De la « pédagogie universitaire » à la « pédagogie universitaire numérique » : enjeux de l'innovation pédagogique, Revue Marocaine spécialisée en Sociologie de l'Education, n 10, pp 247-259.

Develay, M. (2002). Introduction. Dans : Roger Guir éd., Pratiquer les TICE: Former les enseignants et les formateurs à de nouveaux usages (pp. 13-22). Louvain-la-Neuve: De Boeck Supérieur. https://doi.org/10.3917/dbu.guir.2002.01.0013

Develay, M. (2002). Introduction. Dans : Roger Guir éd., Pratiquer les TICE: Former les enseignants et les formateurs à de nouveaux usages (pp. 13-22). Louvain-la-Neuve: De Boeck Supérieur. https://doi.org/10.3917/dbu.guir.2002.01.0013

El Kartouti, S-E., Juidette, S. (2023). L'impact de l'usage des TIC en éducation sur l'amélioration de l'apprentissage des élèves scolarisés, et les conséquences sur l'environnement, SHS Web Conf., 175, 01015. DOI: https://doi.org/10.1051/shsconf/202317501015

Granjon, F., Lelong, B. et Metzger, J.-L. (dir.), (2009). Inégalités numériques. Clivages sociaux et modes d'appropriation des TIC, Paris, Hermès/Lavoisier.

Headley, C., Lejealle, C., (2017). La boite à outils de la stratégie digitale omnicanale, DUNOD

HOLEC, H., (1979). Autonomie et apprentissage des langues étrangères, Paris, Hatier (Conseil de l'Europe. Conseil de la coopération)

Jouët, J., (2000). Retour critique sur la sociologie des usages. Réseaux, 18(100), pp. 487-521

Lameul, G. (2008). Les effets de l'usage des technologies d'information et de communication en formation d'enseignants sur la construction des postures professionnelles. Savoirs, (17), 71-94.

Melin, V. (2019). Rapport au savoir. Dans : Christine Delory-Momberger éd., Vocabulaire des histoires de vie et de la recherche biographique (pp. 130-133). Toulouse: Érès. https://doi.org/10.3917/eres.delor.2019.01.0130

Mucchielli, A. (1995). La notion de paradigme. Dans : ,A. Mucchielli, Psychologie de la communication (pp. 11-14). Paris cedex 14: Presses Universitaires de France.

Nejjari, A. & Bakkali, I. (2017). L'usage des TIC à l'école marocaine : état des lieux et perspectives. Hermès, La Revue, 78, 55-61. https://doi.org/10.3917/herm.078.0055

Paquelin, D. (2014). Internet, nouveau rapport au savoir. Revue Lumen Vitae, LXIX, 9-19. https://doi.org/10.2143/LV.00.0.0000000

Paquette, G., Basque, J., Henri, F. (2022). Apprendre et enseigner sur le Web : quelle ingénierie pédagogique ?, Université TéLUQ

BIBLIOGRAPHIE

Barbot, M-J., Combès, Y. (2006). Penser le changement de paradigme éducatif lié aux TIC. Éducation permanente, 2006, Pédagogie et numérique. Contradictions ? Convergences ?, 4 (169), pp.133-152.⟨hal-01388144⟩

Basque, J., Contamines, J. & Maina, M. (2010). Chapitre 8. Approches de design des environnements d'apprentissage. Dans : Bernadette Charlier éd., Apprendre avec les technologies (pp. 109-119). Paris cedex 14: Presses Universitaires de France. https://doi.org/10.3917/puf.charl.2010.01.0109

Basque, J., Contamines, J. & Maina, M. (2010). Chapitre 8. Approches de design des environnements d'apprentissage. Dans : Bernadette Charlier éd., Apprendre avec les technologies (pp. 109-119). Paris cedex 14: Presses Universitaires de France. https://doi.org/10.3917/puf.charl.2010.01.0109

Bédard, D. (2014). Chapitre 5. Être enseignant ou devenir enseignant dans le supérieur : telle est la question... de posture !. Dans : Geneviève Lameul éd., La pédagogie universitaire à l'heure du numérique: Questionnement et éclairage de la recherche (pp. 97-109). Louvain-la-Neuve: De Boeck Supérieur. https://doi.org/10.3917/dbu.lameul.2014.01.0097

Charlier, B., Deschryver, N., Peraya, D. (2006). Apprendre en présence et à distance. Une définition des dispositifs hybrides, Distances et savoirs, Volume 4, p. 469-496.

Charlier, B., Deschryver, N., Peraya, D. (2006). Apprendre en présence et à distance. Une définition des dispositifs hybrides, Distances et savoirs, Volume 4, p. 469-496.

Denouël, J. (2017). L'école, le numérique et l'autonomie des élèves. Hermès, La Revue, 78, 80-86. https://doi.org/10.3917/herm.078.0080

Depover, C., Karsenti, T., Komis, V. (2007). Enseigner avec les technologies : Favoriser les apprentissages, développer des compétences, Presses universitaires du Québec, Montréal.

Deschryver, N., Lameul, G. (2016). « Vers une opérationnalisation de la notion de posture professionnelle en pédagogie universitaire », Revue internationale de pédagogie de l'enseignement supérieur [En ligne], 32(3) | 2016, URL : http://journals.openedition.org/ripes/1151

Conclusion

La transition vers le nouveau paradigme éducatif du numérique est considérée comme une révolution fondamentale dans le domaine de l'enseignement et de l'apprentissage.

Le numérique modifie aujourd'hui de manière radicale la conception du temps et de l'espace de manière à éliminer les barrières temporelles et géographiques qui entravaient auparavant l'accès libre à l'information et limitaient l'apprentissage. Cette accessibilité a donc modifié le rapport au savoir. Cette omniprésence de l'information et l'élargissement des opportunités d'apprentissage développent l'autonomie de l'apprenant et sa capacité à prendre en charge son apprentissage.

En surcroit, la posture de l'enseignant se voit révolutionnée, étant marqué par le changement de son rôle de transmetteur et seul et unique détenteur du savoir vers un facilitateur. Cet essor a fait apparaitre de nouveaux environnements d'apprentissage numériques et interactifs dont la tâche de conception parait complexe.

Les implications de ces changements sont vastes, touchant non seulement les méthodes d'enseignement et d'apprentissage, mais aussi la conception même de l'éducation dans un monde de plus en plus connecté.

Il est donc primordial d'explorer et à s'adapter à ces nouvelles réalités, afin de tirer pleinement parti des opportunités offertes par le numérique et de son potentiel tout en répondant efficacement aux défis qu'il pose. Une réflexion continue et une adaptation proactive permettront de maximiser les bénéfices de ce nouveau paradigme pour tous les acteurs du secteur éducatif.

etc.) selon un scénario d'apprentissage qui permet de construire des connaissances et de développer des compétences ». (Basque & al, 2010)

Blandin (2006) donne une définition qui revoie à toute sorte d'espace où pourrait se réaliser l'acte d'apprendre :

« Ce sont des termes génériques qui désignent, pour moi, d'une manière très générale, les éléments délimitant les contours et les composants d'une situation, quelle qu'elle soit, au cours de laquelle il est possible « d'apprendre », c'est-à-dire de mettre en œuvre un processus de changement des conduites et (ou) des connaissances ». (Blandin, 2006, cité par Paquette & al, 2022, p 30)

Le contexte actuelle marqué par le numérique a connu une montée en puissance de nouveaux environnements d'apprentissage qualifiés de numériques (ENA). « *Un ENA est un type particulier d'environnement d'apprentissage, à savoir un environnement d'apprentissage faisant largement appel aux technologies numériques* ». (Paquette & al, 2022, p 46) Il s'agit bien d'un produit d'apprentissage « *final* » résultant d'un processus d'ingénierie pédagogique et peut prendre des formes différentes (cours en ligne, cours hybride, tutoriel, jeux sérieux, etc.).

Par ailleurs, l'élargissement des opportunités d'interaction entre les apprenants et les ressources pédagogiques au sein de ces environnements a rendu la tâche de leur conception et leur développement complexe.

Les chercheurs en « *ingénierie pédagogique* » ont travaillé depuis les années 60, pour développer des méthodes leur permettant de concevoir des environnements d'apprentissage instrumentés notamment avec l'avènement des TICE.

Cette activité de conception ou appelée également de design se définie « comme un processus : mis en œuvre afin de résoudre un problème de formation ou d'apprentissage ; réalisé par un ou plusieurs acteurs (concepteurs pédagogiques, spécialistes multimédias, etc.) ; mené de manière explicite ou implicite sur la base de principes ». (Basque, Contamines & Maina, 2010) Ces principes sont rattachés à des stratégies d'enseignement et d'apprentissage.

La question de la conception fait ainsi l'objet d'un changement de paradigme lié aux TIC, notamment en formation des adultes.

l'enseignement, mais également de transformer le processus d'enseignement/apprentissage de manière à faire de l'enseignant un facilitateur d'apprentissage plutôt qu'un transmetteur de connaissances, comme le souligne Michel Develay lorsqu'il a abordé le concept de la médiation pédagogique qui se transforme avec les TICE : « *le modèle de transmission du savoir devient une médiation où se construisent les connaissances dans une négociation collective qui change les rôles de « prof » et d'élève* ». (Develay, 2002, p 22)

Dans l'ouvrage « *La pédagogie universitaire à l'heure du numérique : questionnement et éclairage de la recherche* », Bédard (2014) pense que l'enseignant surtout dans le contexte universitaire est invité à changer de posture en vertu des nouvelles variables à savoir : le numérique, et a donc fait une proposition sur la base des travaux sur le SoTL et de Boyer (1990) qu'il appelle « *la trajectoire de changement pédagogique* » qui porte sur quatre postures, notamment, celle de praticien, praticien réflexif, praticien chercheur et en dernier lieu de la trajectoire celle de chercheur en pédagogie.

L'auteur estime que la posture de praticien étant le point de départ où chaque enseignant-chercheur débute son enseignement semble être insuffisante pour répondre selon lui aux « *transformations pédagogiques qui prennent place dans l'enseignement supérieur* » et que « *tout enseignant- chercheur devrait minimalement se situer dans une posture de praticien réflexif* » (Bédard, 2014, p 101), et se tailler cette trajectoire de changement pour arriver à la position d'expertise, celle de chercheur en pédagogie.

« En liant cette trajectoire de changement au numérique, il s'avère que ce dernier ne se contente pas de conduire l'enseignant à s'approprier des techniques d'enseignement seules, mais à repenser sa pratique et à la mettre au cœur des transformations pédagogiques portées par le numérique de manière qui questionne et qui porte à revoir l'image traditionnelle du professeur et son statut classique d'un simple transmetteur de connaissances par le biais de conférences ». (Yousfi, 2023, p 254)

4- Nouveaux Environnements d'apprentissage

L'environnement d'apprentissage désigne le contexte dans lequel se déroule le processus d'enseignement/apprentissage, il s'agit d' « *un lieu physique (par exemple, une classe) et/ou virtuel (environnement logiciel, cours à distance sur le Web) mettant en interaction des acteurs (apprenants, enseignants, etc.) et des ressources (textes, vidéos, présentations multimédias, outils de collaboration,*

[capables de] favoriser la réussite scolaire et développer l'autonomie » (Denouël, 2017, p 82) et que « *l'appropriation des TIC conduit automatiquement à davantage d'autonomie, de puissances cognitives et d'activités relationnelles* » (Granjon *et al.*, 2009), que Denouël considère *« techno-déterministe »*. La critique de l'auteur se fonde sur les travaux issus de l'approche critique de la sociologie des usages (Jouët, 2000) qui démontrent la « *vacuité* » selon lui de ce genre de propos qui « *ne repose sur rien d'autre qu'une vision fantasmée des technologies* ». (Denouël, 2017, p 83).

Par ailleurs, l'auteur ne nie pas la capacité des TICE à soutenir l'autonomie, cependant, il met le point sur les inégalités numériques, sociales et éducatives susceptibles d'être renforcées par l'usage des TICE, et appelle à les intégrer de manière réfléchie dans les scénarios pédagogiques et en sélectionnant les outils numériques appropriés. Autrement dit, le développement d'autonomie repose sur un enseignement centré sur la pédagogie plutôt que sur la technologie elle-même.

3- Nouvelle posture de l'enseignant

La notion de posture se définit comme « la manifestation (physique ou symbolique) d'un état mental. Façonnée par nos croyances et orientée par nos intentions, elle exerce une influence directrice et dynamique sur nos actions, leur donnant sens et justification » (Lameul, 2008, p 89)

La nouvelle réalité imposée par le numérique surtout dans le milieu universitaire, transformant ainsi l'université d'un environnement de transmission vers un autre de développement de compétences, amène non seulement vers à un changement de posture de l'apprenant, comme nous l'avons déjà souligné lorsque nous avons abordé le point de l'autonomisation, mais aussi de l'enseignant.

En effet, « les pratiques et les postures enseignantes sont tout particulièrement interpelées dans les contextes de changement, d'innovation et de développement professionnel, notamment dans le cadre de l'usage du numérique qui remet en question les structures et l'organisation de l'action humaine » (Deschryver & Lameul, 2016, p 1). L'enseignant est donc amené à réévaluer ses pratiques pédagogiques et ses propres méthodes d'enseignement, en considérant les nouveaux modes d'apprentissage de l'apprenant.

Les TICE ont permis non seulement d'embellir la démarche pédagogique de l'enseignant et d' « *instrumenter* » (Rabardel, 1995) son activité que ce soit dans le contexte d'usage personnel ou pédagogique en terme de conception de

L'intégration des TIC a conduit l'apprenant à adopter une nouvelle posture, celle de la « *co-construction du savoir* » qui s'inscrit dans une action « *d'apprendre à apprendre* » (Nejjari & Bakkali, 2017, p 56), et qui tend à favoriser son autoformation.

La question de l'autoformation a également été attirée par C. Debon (2006) qui selon Barbot et Combès a identifié trois modèles pédagogiques qui montrent comment l'intégration des TIC peut favoriser l'autoformation, et ceci à travers « *l'optimisation de l'activité enseignante par les TIC* », « *l'amplification de l'activité cognitive des apprenants* » et « *la prise en charge de la gestion des projets et des itinéraires de formation des apprenants avec les TIC* » (Barbot & combès, 2006)

Par ailleurs, l'autonomisation de l'apprenant est considérée comme une autre dimension du nouveau rapport au savoir et qui constitue une préoccupation scientifique qui s'est inscrite dans le cadre de l'exploration du potentiel offert par l'usage des technologies pour améliorer l'éducation.

L'autonomie de l'apprenant est considérée comme étant « *sa capacité à prendre en charge une bonne partie de la responsabilité de son apprentissage* » (Peraya & Peltier, 2020), cette définition qui s'inspire de celle de Holec semble être la plus mentionnée dans la recherche, pour cet auteur :

« Dire d'un apprenant qu'il est autonome, c'est donc dire qu'il est capable de prendre en charge son apprentissage, et uniquement cela : toutes les décisions concrètes qu'il prendra concernant son apprentissage peuvent être mises en relation avec cette capacité qu'il possède, mais en doivent être distinguées. » (Holec, 1979, p 4)

Cette capacité semble être favorisée avec l'avènement des TIC comme le pense Trebbi : « *sans doute l'usage des TIC semble privilégier l'autonomie de l'apprenant* » (Trebbi, 2009, p 591). Cette autonomie fait l'objet d'un changement de paradigme éducatif qui se manifeste à travers le passage de la transmission du savoir par l'enseignant vers le développement de compétences et la construction du savoir par l'apprenant, qu'Albero qualifie de « *passage pédagogique du paradigme de l'instruction au paradigme de l'autonomie* » (Albero, 2003, p55, cité par Trebbi, 2009, p 591).

De nombreux travaux ont soutenu les conceptions auxquelles le numérique assure un résultat d'autonomie promis, où il est présenté comme un outil permettant de mettre en œuvre « *des méthodes d'apprentissage innovantes*

2- Nouveau rapport au savoir

Le rapport au savoir se définit comme « un ensemble de relations de sens, et donc de valeur, entre un individu et les processus ou produits du savoir » (Charlot, 1997, p. 93).

La question du rapport au savoir est apparue dans les années 1980-1990 pour interpeler la représentation de la situation d'enseignement/apprentissage qui repose sur la transmission comme le pense Melin : « *l'idée de rapport au savoir remet en question la malléabilité de l'apprenant irréductible à une pure réceptivité et, par conséquent, le mythe pédagogique de la supériorité de l'intelligence et des connaissances des enseignants* » (Melin, 2019, p 130)

Le numérique a profondément remodelé notre société et de manière significative, notre rapport fondamental au savoir et la manière de l'appréhender et d'interagir avec, comme le pense Develay qui a analysé la question de l'intégration des TICE, et sa contribution dans le changement des méthodes d'enseignement et d'apprentissage : « *L'intégration des TICE suppose un changement fondamental de perspectives dans le rapport au savoir et dans les processus de son acquisition* ». (Develay, 2002, p 21)

En effet, les TICE ont ouvert la voie vers un nouveau paradigme en matière d'apprentissage qui a remodelé la transmission et la réception des connaissances. L'introduction des technologies et en particulier l'utilisation qui en est faite peuvent modifier l'expérience d'apprentissage car « *le contexte et l'usage sont des facteurs importants de l'impact des TIC sur l'apprentissage et le développement des connaissances* ». (Depover, Karsenti, Komis, 2007)

Les plateformes d'apprentissage en ligne et les outils de collaboration numérique (ex : Google Drive) permettent désormais aux apprenants d'accéder à des ressources pédagogiques variées, et assurent une personnalisation de l'apprentissage permettant ainsi aux étudiants de suivre des parcours d'apprentissage adaptés à leurs besoins.

Face à ce constat, de nombreux chercheurs ont donc souligné l'importance d'intégrer les TICE pour améliorer l'apprentissage (Elkartouti, Juidette, 2023) et la capacité des cours intégrant les TIC à favoriser encore plus l'apprentissage (Haughey & Anderson, 1999), d'autres pensent que « *les TIC contribuent à l'efficacité de l'apprentissage et offrent ainsi une certaine innovation à la fois technique et pédagogique* » (Charlier, Deschryver et Peraya, 2006)

changement de paradigme sous la présence au monde ou Dasein[1] *au sens philosophique* » (Headley & Lejealle, 2017, p 12).

En effet, nous assistons aujourd'hui à un passage des pratiques vers une « *porosité spatio-temporelle* » comme le pense Jean Paul Moiraud, et le valide Paquelin : « *l'ère numérique débutante permet tout à la fois de transcender le temps et l'espace permettant potentiellement la diffusion et l'appropriation urbi et orbi de la connaissance* » (Paquelin, 2014, p 10), alors qu'elles se référaient au principe de l'unité du temps et de lieu qui nécessite la présence d'une salle de cours, un enseignant, et un emploi du temps.

Les pratiques pédagogiques ont donc évolué, et s'inscrivent dorénavant dans des espaces d'une certaine complexité, qualifiés de virtuels, qui diffèrent des espaces physiques connus comme les amphithéâtres et les salles de cours, comme c'est le cas de la formation à distance qui « *implique, on le sait, une rupture spatio-temporelle entre les apprenants et les enseignants* » (Charlier & al, 2006, p 474).

Le numérique a eu le pouvoir d'instaurer une certaine souplesse grâce à ce dégagement de la contrainte du temps et de l'espace, en assurant une flexibilité temporelle qui permet à l'apprenant de choisir quand et où étudier mais aussi de réduire le temps comme le pense Develay : « *le temps des nouvelles technologies de l'information et des réseaux est un temps qui s'amincit. Il n'est plus nécessaire d'attendre pour disposer de l'information que l'on recherche* » (Develay, 2002, p 16), et une accessibilité mondiale qui lui offre l'opportunité d'accéder à des ressources du monde entier et de communiquer de manière éliminant ainsi les barrières géographiques car « *l'espace des technologies de l'information et des réseaux pourrait permettre des brassages culturels dès lors que les connexions avec l'autre trottoir ou l'autre bout du monde sont facilitées* » (Develay, 2002, p 17).

Cette nouvelle réalité a donc produit un changement majeur dans le rapport au savoir comme l'indique cet auteur : « les TICE sont considérées comme un catalyseur de changements dans la mesure où elles conduisent à aborder différemment le temps, l'espace et le pouvoir mais aussi le rapport au savoir » (Develay, 2002, p 17).

[1] Mot allemand issu de la philosophie de Heidegger qui signifie « être présent », « l'existence humaine conçue comme présence au monde. » Larousse

Dans leur article « *Penser le changement de paradigme éducatif lié aux TIC* », Barbot et Combès (2016) renvoient à une approche interdisciplinaire pour comprendre le changement de paradigme éducatif lié aux TIC. Bien que la nature de ce nouveau paradigme demeure toujours une énigme d'après ces auteurs, ils perçoivent un nombre d'indices de ce changement selon deux visées susceptibles d'être favorisées par les TIC : pédagogique et industrielle.

La visée pédagogique se manifeste au niveau de l'efficience de l'apprentissage et la construction de l'autonomie, que les auteurs essayent d'aborder à travers le questionnement de l'impact des TIC sur les unités de temps, de lieu et de thème ; et industrielle en termes de circulation du savoir, la production du contenu et les formes de médiation. Cette dernière s'inscrit dans le cadre d'une approche économique selon l'analyse des auteurs visant de réduire le coût de l'enseignement à travers l'optimisation des investissements qu'ils soient pédagogiques, humains, financiers ou technologiques.

Le paradigme éducatif du numérique, en plein essor transforme alors radicalement l'éducation, ce qui soulève de nombreux questionnements : **Quelles sont les caractéristiques fondamentales de ce nouveau paradigme éducatif numérique ? Comment ces caractéristiques transforment-elles les pratiques pédagogiques ? Qu'est-ce que le nouveau rapport au savoir et comment est-il transformé dans le cadre de ce paradigme ? Comment la posture des enseignants évolue-t-elle avec le numérique ?**

Cet article se propose donc de décrire et d'analyser les principales caractéristiques du paradigme éducatif numérique et à découvrir et comprendre ses aspects fondamentaux.

En répondant à ces questions, l'article vise à fournir une compréhension claire des transformations apportées par le numérique dans l'éducation et à mettre en lumière les implications de ces changements pour les différents acteurs du domaine éducatif.

1- Nouveau rapport au temps et à l'espace

Le numérique est en train de changer complètement la manière de percevoir le temps et l'espace dans tous les domaines et particulièrement dans les dispositifs de formation, comme le souligne Headley et Lejealle : « *Le digital a transformé le rapport à l'information, au temps et à l'espace, autant dire un complet*

Introduction :

La notion de paradigme s'est imposée en science depuis la publication de l'ouvrage « *The structure of Scientific Revolution » de* Thomas Samuel Kuhn en 1962. Celui-ci la définit comme « *un ensemble d'éléments épistémologiques, théoriques et conceptuels, cohérents, qui servent de cadre de référence à la communauté des chercheurs de telle ou telle branche scientifique* » (Kuhn, 1962, cité par Mucchielli, 1995, p 13)

Cet auteur a déclaré la présence de deux acceptations de ce concept qu'il a énoncé dans sa théorie du paradigme, il stipule donc que :

« Le terme paradigme est utilisé dans deux sens différents. D'une part, il représente tout l'ensemble de croyances, de valeurs reconnues et de techniques qui sont communes aux membres d'un groupe donné. D'autre part, il dénote un élément isolé de cet ensemble : les solutions d'énigmes concrètes qui, employées comme modèles ou exemples, peuvent remplacer les règles explicites en tant que bases de solutions pour les énigmes qui subsistent dans la science normale. » (Kuhn, 1972, p. 207)

Un nouveau paradigme est un nouveau modèle de pensée qui remplace un ancien, et constitue un changement profond dans la vision du monde qui peut influencer par conséquences les modes de penser et d'agir, ainsi que la manière dont les problèmes sont abordés et les solutions trouvées.

En effet, l'intégration des technologies de l'information et de communication a constitué la phase la plus marquante de l'histoire de l'éducation, entrainant ainsi un changement de paradigme qui a modifié profondément la manière de percevoir ce champ disciplinaire et d'appréhender sa réalité, comme le pense Kuhn : « *bien que le monde ne change pas après un changement de paradigme, l'homme de science travaille désormais dans un monde différent* ». (Kuhn, 1962, p 170)

Un changement de paradigme lié au numérique dans le champ éducatif, peut donc être assimilé à de « *véritables petites révolution*s » qui transforment de manière fondamentale les méthodes d'enseignement, et renvoient à l'émergence d'une nouvelle perception du temps et de l'espace, un changement du rapport au savoir amenant à des méthodes pour apprendre autrement notamment avec l'avènement de nouveaux environnements d'apprentissage, et une transformation des rôles de l'apprenant et de l'enseignant.

Le «Paradigme Educatif Du Numérique» : De Quoi Est-il Le Nom?

Ihssane YOUSFI
Docteur en sciences de l'éducation
Université Mohammed V
MAROC

Résumé

Dès son émergence, le numérique s'instaure comme un nouveau paradigme qui a transformé le domaine de l'éducation et qui en a remodelé plusieurs dimensions. Cet article théorique présente les aspects de la transition vers le nouveau paradigme éducatif du numérique et explore ses caractéristiques clés, notamment le nouveau rapport au savoir, au temps et à l'espace, la nouvelle posture des enseignants et des étudiants, ainsi que l'émergence des environnements d'apprentissage numérique. En mettant en lumière ces transformations, l'article souligne l'importance de comprendre ces nouvelles réalités afin de s'y adapter et tirer pleinement profit du potentiel offert par le numérique.

Mots-clés : Numérique, paradigme éducatif, TICE, enseignement, apprentissage.

Citation :

YOUSFI, Ihssane. (2024, Juillet). L Le « Paradigme Educatif Du Numérique » : De Quoi Est-il Le Nom ?. Revue de recherche en sciences humaines et cognitives, Tome 1, N° 4, Première Année, P 46-58.

Abstract

Since its emergence, digital technology has established itself as a new paradigm that has transformed the field of education and reshaped several of its dimensions. This theoretical article presents the aspects of the transition to the new digital educational paradigm and explores its key characteristics, including the new relationship to knowledge, time, and space, the new roles of teachers and students, as well as the emergence of digital learning environments. By highlighting these transformations, the article emphasizes the importance of understanding these new realities in order to adapt to them and fully harness the potential offered by digital technology.

Keywords: Digital technology, educational paradigm, ICT, teaching, learning.

Rapports de l'Office National des Hydrocarbures et des Mines (ONHYM),

Rapport de l'Office des Changes Marocain

Rapport Crédit Agricole du Maroc (GCAM),

Rapport: EnerEvent,

Rapport de British Petroleum (BP)

Rapport CNMD, Maroc 2021

ROUSSELOT Gilles, «le pétrole va-t-il révolutionner le monde», pdf 2004,128p.consulté le 14-3-2023

SALAME GUEX, Françoise, « La politique énergétique de la Banque Mondiale en Afrique : une opportunité pour le secteur privé », revue de politique économique, World Bank Group Infrastructure Strategy, Update FY12-FY15, Décembre 2012, p. 34.

TUAL François, « La planète émiettée », Paris, éd., Arléa, 2002, 156 p.

WIESENFELD, Bernard, « l'Energie en 2050, nouveaux défis et faux espoirs », Paris, éd., EDP Sciences, 2005, 237p.

II- THESES

ATOUK Sara, " Les Energies Renouvelables etles populations rurales pauvres : Le Cas Du Maroc", Universite de Sherbrooke (Canada),Juillet 2013, 112 p.

III - TEXTES JURIDIQUES

Ministère de l'Energie, des Mines de l'Eau et de l'Environnement, - Département de l'Environnement, Les textes juridiques relatifs à l'air.

Ministère de la transition Energétique et du développement durable- Département du développement durable

IV- RAPPORTS

Rapports des Nations Unies

Rapport : Stratégie énergétique du Groupe de la Banque Mondiale synthèse sectorielle

Convention Cadre des NU sur le Réchauffement Climatique.

Rapports CIA World Fact Book on: https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/mo.html

Rapports: HCP: Prospectives Maroc 2030, énergie 2030, quelles options pour le Maroc ? , Rabat, éd., Diwan 3000

Rapport Enerdata : Global Energy Intelligence

Rapports de l'Agence International de l'Energie.

BIBLIOGRAPHIE

I – OUVRAGES

AGOUMI, Ali, « Sécheresse climatique au Maroc durant les dernières décennies », hydroécologie, orgpdf 2008.

BADIE Bertrand et VIDAL Dominique, (sous dir.), « L'Etat du Monde 2012, Nouveaux acteurs, nouvelle donne », Paris, éd., La découverte, 2012, 141p.

BONNEUIL Christophe, FRESSOZ Jean-Baptiste, « L'Evènement Anthropocène, la Terre, l'histoire et nous », Paris, éd. Le Seuil, 2013, 304 p.

CIATTONI Annette et VEYRET Yvette (sous dir.), « Géographie et géopolitique des énergies », Paris, éd., Hatier, Juillet 2011, 223 p.

CHAUPRADE Aymeric, Cahier D'agir N°1: « Chine Energie 2009 - Société De Stratégie », disponible sur le site Dhttp://www.societe-de-strategie.asso.fr/pdf/ca01txt2.pdf, consulté le 21 novembre 2013.

DELBECQUE Eric « La métamorphose du pouvoir », Paris, éd., Vuibert, septembre 2009, 329 p.

DE MONTBRIAL Thierry, « Perspectives », Ramses, 2012, pp 9-10.Ali Agoumi, 2003

DUROUSSET Maurice, « Le marché du pétrole », Paris, éd., Ellipses Marketing, 9 mars 2000, 90p.

Klinger Thibaut, « Géopolitique de l'énergie, constats et enjeux », Paris, éd., Stadyrama, 2008, 128p

MALJEAN-DUBOIS Sandrine et WEMAËR Matthiew, « La diplomatie Climatique , Les enjeux d'un régime international du climat », Paris, éd., A.Pedone, 2010, 378 p.

ORSENA Erik, « L'avenir de l'eau, petit précis de mondialisation II », Paris, éd., Le livre de poche, Avril 2012, pp. 295-297.

oligopolistiques ne compromettent la compétitivité de l'économie ou le pouvoir d'achat des citoyens.

Promouvoir l'énergie durable: Perspectives futures et recommandations

- Définir les besoins spécifiques et sélectifs en énergie dans le monde
- Réduire les émissions de gaz à effet de serre
- Promouvoir les énergies renouvelables et l'efficacité énergétique
- Intégrer les principes de durabilité dans les politiques énergétiques
- Investir dans les énergies propres et les technologies durables
- Adhérer aux accords internationaux sur le climat et les objectifs du DD
- Sensibiliser et éducation à la transition énergétique
- Identifier les principales mesures et actions d'économie d'énergie dans les secteurs considérés les plus énergivores : le transport le bâtiment, l'industrie, l'agriculture et l'éclairage publique.
- Décrire le planning et la faisabilité technique ainsi les ressources humaines et financière nécessaire
- Diluer les défis et les obstacles à la transition énergétique durable
- Enlever les résistances politiques et économiques
- Inciter au changement des comportements et modes de consommation

L'impact de la politique de l'État marocain sur le développement des énergies renouvelables est indéniable, elle l'a placée en tant que major régional au niveau du (MENA) dans la transition énergétique.

Cependant, cette politique présente un certain essoufflement et éprouve des difficultés à s'adapter aux changements du contexte international, en particulier en ce qui concerne les avancées technologiques qui se déploient à une vitesse accélérée dans l'éolien et le pompage avec le photovoltaïque sont des exemples encourageants, et qui renforcent l'engagement du Royaume en faveur des énergies renouvelables

Toutefois, l'absence de suivi, d'agilité et d'adaptabilité en matière de mise en œuvre limite le développement de contenu local, le secteur privé, l'accès tiers au réseau ou l'accompagnement des opportunités d'avenir du secteur[1] (rooftop PV, stockage, hydrogène...).

Les changements technologiques rapides et la complexité du paysage institutionnel, ainsi que la paralysie d'analyse (immobilisme causé par une analyse excessive de certains enjeux énergétiques, qui entrave la prise de décision), empêchent le Maroc de saisir des opportunités.

En revanche, l'expansion des activités de recherches du gaz naturel pourrait transformer complètement le paysage énergétique national. Il pourrait améliorer de manière nette et transparente la compétitivité industrielle, à condition de leur accorder une marge de négociation et de pallier les intermittences des énergies renouvelables, par exemple.

La régulation des prix des hydrocarbures en place avaient donné au Maroc la sécurité de ses approvisionnements en produits finis et garanti un niveau de prix approprié sur le marché national.

Cependant, l'arrêt de la production de pétrole raffiné depuis 2016 et la gestion incertaine des stocks stratégiques de produits pétroliers raffinés représentent une menace pour la sécurité énergétique du pays. Actuellement, alors que les hydrocarbures restent encore la principale source d'énergie du pays, i il est essentiel que l'État conserve des moyens d'action afin de contrôler les stocks stratégiques et de réguler de manière plus efficace les entreprises actives dans ce secteur, tout en évitant que certaines positions

[1] Rapport CNMD, maroc 2021

l'Agence internationale de l'énergie (AIE) estime qu'une augmentation de seulement 7 % des investissements énergétiques en technologies propres d'ici 2040 réduirait de 1,7 million le nombre de décès prématurés liés à la pollution atmosphérique dans le monde[1].

Les défis et opportunités associés au processus de développement de chaque pays sont étroitement liés à la transition énergétique dans le secteur de l'électricité et d'émissions de carbone, deviennent une nouvelle dimension politique qui vise de promouvoir les nouvelles énergies renouvelables (NER) en utilisant des mécanismes d'incitation tels que des quotas négociables, des tarifs garantis et des appels d'offres.

De son coté, et à travers sa stratégie nationale d'efficacité énergétique, le Maroc se fixe les objectifs d'atteindre des économies d'énergies finales à 20% à l'horizon 2030 soit une économie de l'ordre de 4.7 MTep sur la facture énergétique nationale annuelle[2].

Cela consiste en la mise en œuvre des plans d'actions sectorielles portant principalement sur des mesures normatives, législatives réglementaires financière incitatives, fiscale et sur des actions de sensibilisations à déployer sur le territoire ayant pour objectifs le développement d'une politique d'EE régionale durable fondée sur la réduction et l'optimisation de la consommation énergétique régionale sectorielle ainsi que sa décarbonation.

Ces plans d'actions d'EE devront permettre d'asseoir (i) une politique d'efficacité énergétique intégrée dans la planification territoriale et urbaine ; (ii) une gestion énergétique efficiente au niveau des différents secteurs du bâtiment, de l'industrie du transport, de l'agriculture et de l'éclairage publique. Ces plans devront aussi permettre d'estimer et d'argumenter le potentiel d'économie d'énergie et de réduction des émissions de CO_2 par mesure d'identifier les indicateurs de suivi et les responsabilités dans la mise en œuvre de ces actions.

[1] Ibid.

[2] La stratégie nationale de l'efficacité énergétique à l'horizon 2030 https://www.mem.gov.ma/Lists/Lst_rapports/Attachments/33/Strat%C3%A9gue%20Nationale%20de%20l'Efficacit%C3%A9%20%C3%A9nerg%C3%A9tique%20%C3%A0%20l'horizon%202030.pdf, consulté le 14/5/2023

lieu ou à un moment quelconque peut avoir des répercussions planétaires[1]. Néanmoins, l'énergie nucléaire représente une aubaine certaine, d'assurer à l'industrie énergétique et la production d'électricité au meilleur rendement de haute technologie.

Toutefois, il serait exigeant de mettre en place des instruments d'accompagnement pouvant garantir la transparence et l'acceptation, des contrôles en partenariat étroite avec l'AIEA, et avec des pays ayant une grande expérience et fortement impliqués dans les projets réussis du nucléaire.[2]

De même que les modèles de développement, de production et de consommation non durables perturbent l'équilibre environnemental et affectant la capacité de reproduction biologique de la planète. La mondialisation, l'essor socio-économique et la croissance démographique exagérée accélèrent la consommation de ressources naturelles et la production de déchets sans précédent.

Aujourd'hui, les écosystèmes qui fournissent aux populations les ressources dont elles ont besoin et absorbent les émissions ne sont plus en mesure de suivre le rythme des activités humaines qui ont conduit à une augmentation significative de l'empreinte humaine sur l'environnement. Les limites physiques de la viabilité des systèmes de production de reproduction des ressources et d'absorption des déchets ont été dépassées.

Sans changer nos habitudes, les humains pourraient consommer l'équivalent de la production annuelle de 2,8 planètes d'ici 2050, contre 1,5 en 2015.Cependant, il est possible de réduire rapidement et considérablement notre empreinte écologique, surtout si nous choisissons de lutter contre la surexploitation des ressources naturelles et la pollution mondiale de l'air, du sol et des océans[3].

Accélérer la transformation de l'énergie en augmentant le poids des énergies renouvelables et en favorisant l'efficacité énergétique réduirait la dépendance aux combustibles fossiles contaminés et les décès liés à la pollution atmosphérique (6,5 millions de personnes en 2015). À cet égard,

[1] DE MONTBRIAL Thierry, « Perspectives », Ramses, *2012*, pp 9-10.

[2] HCP, «Prospectives Maroc 2030, énergie 2030, quelles options pour le Maroc ? », Rabat, éd., Diwan 3000, p 19

[3] BONNEUIL Christophe, FRESSOZ Jean-Baptiste, « L'Evènement Anthropocène, la Terre, l'histoire et nous », Paris, éd. Le Seuil, 2013, 304 p

Conclusion

L'énergie est les exigences du développement durable sont d'ores et déjà au cœur des grands enjeux complexe de la mondialisation. Son caractère limité, et les perspectives d'épuisement de sa principale ressource, le pétrole demeure toujours, l'énergie vitale des économies mondiales. Or, la flambée des cours de l'or noir, procure à certain Etats producteurs, une manne davantage. Il ne cessera, par sa rareté, d'alimenter des nouveaux grands enjeux, au Moyen orient, en Asie et en Afrique[1].

De plus, les changements climatiques alertés par les institutions et les groupes d'experts, au travers des conférences organisées par les Nations Unies, interrogent chaque grand pays industrialisé sur ses besoins et ses choix énergétiques futurs. Les conséquences environnementales exercent de fortes pressions sur les pays pollueurs de la planète. Pendant que la Russie et la Chine accroissent leurs émissions de CO_2, d'autres pays en Afrique souffrent de pauvreté énergétique. Ceci pose la question de reconversion des sources énergétiques vers d'autres sources moins polluante. Ce programme permettra de créer une structure cohérente, flexible capable d'absorber les fluctuations des cours de pétrole et d'appréhender les répercussions négatives sur le marché national, axé sur le programme alternatif intégré des énergies renouvelables. Ces énergies deviennent un impératif mondial pour le développement durable (DD), et sont nécessaires à la survie de toute économie prospère.

La transformation des modes de consommations des sociétés humaines (transport et accélération des économies vertes), la relocalisation des activités industrielles, et l'utilisation des énergies renouvelables diminueront potentiellement le taux des GES dans l'atmosphère qui a atteint son niveau le plus critique en 2011. Le tsunami de mars 2011 au Japon, avec tous ses effets sur la centrale nucléaire de Fukushima, les typhons qui s'abattent sur les Etats-Unis et l'Amérique du sud, celui de Haïyan qui a ravagé les Philippines illustrent quand bien même, des phénomènes sont difficiles à prévoir.

Certes le début du XXI^{e} siècle a fragilisé les économies des Etats accentuées par la mondialisation, de sorte que le moindre incident, en un

[1]THIBAUT Klinger,« *Géopolitique de l'énergie, constat et enjeux* », op. cit., p.9

d'ici 2030 par rapport aux niveaux de 2005. Elle a également fixé un objectif d'augmentation de la part des énergies non fossiles dans la consommation totale d'énergie à environ 20 % d'ici 2030.

- Le Danemark a pris un engagement plus ambitieux avec une réduction de 70 % Tandis que l'Inde et la Chine se sont engagées à réduire l'intensité de leurs émissions par rapport aux niveaux de 2005, avec un objectif ambitieux d'augmenter la part des énergies renouvelables dans sa capacité électrique totale. Les engagements de l'Inde et de la Chine sont donc différents de ceux de la France, car ils visent davantage à limiter la croissance de leurs émissions plutôt qu'à les réduire.

On estime à près de 40 milliards de dollars le coût de la mise en place de programmes d'adaptation dans les secteurs les plus touchés. L'eau, l'agriculture, la pêche et l'aquaculture, la foresterie, la santé, l'habitat et les milieux et écosystèmes les plus vulnérables : oasis, littoral et montagnes pour réduire les risques liés aux catastrophes climatiques.

4. Comparaison des NDC's dans le cadre de l'Accord de Paris1

À la conférence de Paris de 2015 sur les changements climatiques, 196 parties ont adopté en 2015, puis ouvert à la signature le 22 avril 2016, jour de la Terre, lors d'une cérémonie à New York. Lorsque l'Union européenne a ratifié l'accord, le nombre de pays ayant ratifié l'accord est adéquat pour qu'il entre en vigueur le 4 novembre 2016.). A noter qu'en 2020, les États-Unis ont quitté l'accord, mais l'ont réintégré en 2021.

De la comparaison des NDC pris par la France, l'Allemagne, le Danemark et les Etats-Unis, on retient que la France s'est engagée à réduire ses émissions de GES de 40 % d'ici 2030 par rapport aux niveaux de 1990. Elle a également fixé un objectif de neutralité carbone d'ici 2050.

- L'Allemagne s'est engagée à réduire ses émissions de GES de 55 % d'ici 2030 par rapport aux niveaux de 1990. Elle a également fixé un objectif de neutralité carbone d'ici 2045.

- Le Danemark s'est engagé à réduire ses émissions de GES de 70 % d'ici 2030 par rapport aux niveaux de 1990. Il a également fixé un objectif de neutralité carbone d'ici 2050.

- Les États-Unis se sont engagés à réduire leurs émissions de GES de 50-52 % d'ici 2030 par rapport aux niveaux de 2005. Ils ont également fixé un objectif de neutralité carbone d'ici 2050.

- L'Inde s'est engagée à réduire l'intensité de ses émissions de GES de 33 % à 35 % d'ici 2030 par rapport aux niveaux de 2005. Elle a également fixé un objectif d'augmentation de la part des énergies renouvelables dans sa capacité électrique totale à 40 % d'ici 2030.

- La Chine s'est engagée à atteindre un pic d'émissions de GES d'ici 2030 et à réduire l'intensité de ses émissions de CO_2 de 60 % à 65 %

[1]L'accord a été signé en novembre 2021 par 193 membres de la convention cadre des Nations unies sur les changements climatiques (CCNUCC)

27 mesures conditionnelles et inconditionnelles pour le financement international. Même si la décarbonation de l'économie marocaine repose sur des mesures d'atténuation dans tous les secteurs, la production d'électricité et le secteur industriel demeurent les principaux éléments à prendre en compte.

La CDN mise à jour du Maroc est fondée sur différents éléments essentiels, tels que :

1. le respect des droits de la personne et l'égalité entre les hommes et les femmes, reconnus dans la Constitution du Maroc de 2011 ;

2. les synergies à exploiter avec les deux autres Conventions de Rio, dans le but de restaurer, de respecter et de préserver la diversité biologique, ainsi que de gérer de manière intégrée les ressources en eau.

De plus, il est essentiel de lutter contre la désertification et la dégradation des sols sur son territoire. En outre, il est important de respecter les Objectifs de Développement Durable (ODD) , notamment les objectifs 1, 3, 6, 7, 8, 9, 11, 12, 13 et 17 ; il est important de mettre en place la régionalisation avancée qui renforcera la mise en œuvre de la CDN en mettant en valeur les potentialités et les ressources spécifiques de chaque région et en favorisant la solidarité interrégionale. La CDN estime le coût total des actions d'atténuation à 38,8 milliards[1] de dollars américains, dont 21,5 milliards de dollars américains pour les actions conditionnelles.

La mise en place de la CDN nécessite des investissements considérables et une collaboration renforcée entre l'État marocain, le secteur privé et les institutions financières internationales, y compris les nouveaux mécanismes financiers climatiques tels que le Fonds Vert pour le Climat (FVC) et les instruments financiers des banques multilatérales de développement. Afin de contrer les conséquences économiques et sociales graves du changement climatique, le Maroc s'est engagé à promouvoir des mesures d'adaptation efficaces dans les domaines économiques qui sont prioritaires pour le climat. Le Maroc, extrêmement vulnérable aux conséquences du changement climatique, s’est engagé à promouvoir des mesures d’adaptations efficaces dans son économie

[1] Chiffre révélé dans la contribution du Maroc lors de la présentation de sa stratégie.

enfin de viser la neutralité carbone. Selon la stratégie Bas Carbone, il est recommandé de transformer l'industrie en mettant en place une stratégie d'innovation et de recherche et développement qui vise à introduire les technologies propres et les bonnes pratiques à tous les niveaux des processus de production industriels. De plus, il est important de mettre en œuvre une fiscalité favorable à la transition en instaurant des taxes et des outils incitatifs tels que les éco-taxes, le marché du carbone, les subventions ciblées, etc.

De plus, cette transition vers un développement durable vise les objectifs climatiques d'ici 2050 et d'intégrer les technologies propres et les bonnes pratiques à tous les niveaux des processus de production industrielles. L'Agence marocaine de l'efficacité énergétique est responsable de la décarbonisation de l'industrie marocaine.

Elle prévoit des opportunités thématiques dans les domaines de l'intégration industrielle, de l'innovation, de la formation professionnelle et de l'éducation (information et connaissance).

Elle vise à favoriser le développement d'un écosystème industriel écologique au Maroc en utilisant l'outil numérique et en le maîtrisant lors des différentes étapes de planification et de choix technologiques à venir.

3. Contributions Déterminés au Niveau National (NDC's)1

Les Contributions Déterminées au Niveau National (NDC) sont des engagements pris par les pays pour réduire leurs émissions de gaz à effet de serre (GES) dans le cadre de l'Accord de Paris sur le climat. Le Maroc présente cette Contribution déterminée pour la période 2020-2030 2030, qui est une actualisation de sa contribution déterminée au niveau national.

Le Maroc a une vision du changement climatique qui vise à renforcer la résilience de son territoire face au changement climatique vers une économie à faible émission de carbone. En ce qui concerne la réduction des émissions, la CDN mise à jour augmente les objectifs de la première version de la CDN en fixant un objectif de 45,5 % d'ici 2030, avec un objectif inconditionnel de 18,3% par rapport au scénario de référence. Le schéma de réduction qui conduit à l'objectif global est basé sur 34 mesures,

[1]Stratégie déterminée au niveau national (CDN-Maroc), FAOLEX, FAO, 01 Octobre 2021, consulté le 12/3/2023

l'organisation 2050 Pathways Platform[1] a soutenu le Département ministériel de l'environnement du Gouvernement du Maroc dans la rédaction de ce document pour sa première LT-LEDS, en collaboration avec les parties prenantes publiques et privées, ainsi que la société civile.

L'objectif est de garantir une bonne gouvernance et un "leadership fort", ainsi que de suivre et d'améliorer constamment.

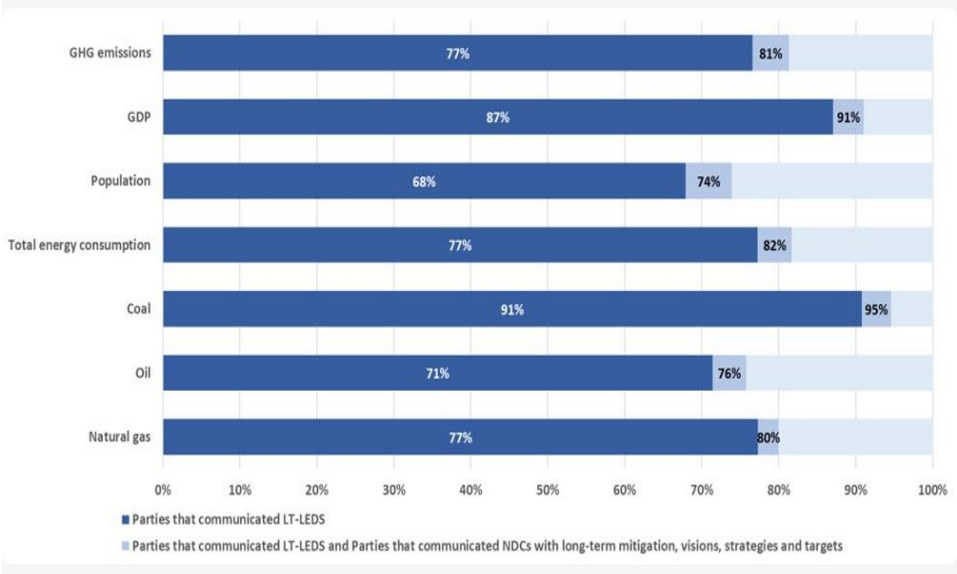

Les Parties qui ont communiqué les LT-LEDs représentent ensemble 76 % des émissions mondiales totales en 2019, 87 % du PIB, 68 % de la population et environ 77 % du total de la consommation énergétique, dont environ 91 % de consommation de charbon, 77 % de gaz naturel et 71 % de pétrole.

Cette approche vise à intégrer la diminution des émissions de gaz à effet de serre dans les secteurs essentiels de l'économie (énergie, industrie, bâtiments, transport, agriculture, forêt et déchets) en prenant en compte plusieurs aspects essentiels liés aux énergies renouvelables (mixité énergétique, alimentation, autoproduction, stockage, transport et distribution), ainsi qu'à évaluer les conséquences socioéconomiques.

Il est nécessaire que tous les acteurs impliqués, se conforment aux exigences du développement bas carbone à long terme à l'horizon 2050, et

[1] Initiative multipartite lancée à la COP 22 par Laurence Tubiana et Hakima El Haïti pour soutenir les pays qui cherchent à développer des trajectoires de développement durable à long terme à zéro émission nette de GES

Par ailleurs, pour renforcer sa position stratégique à l'échelle mondiale et sa compétitivité son attrait envers les investisseurs et les marchés financiers internationaux.

Dans cette optique, cette stratégie repose sur 7 axes stratégiques. Tout d'abord, il s'agit de la volonté d'un développement croissant des énergies renouvelables en vue de produire une électricité décarbonée, avec un objectif indicatif de 80% d'ici 2050[1].

Ensuite, accroître l'utilisation de l'électricité dans les domaines de l'industrie, du bâtiment et du transport, tout en étudiant le potentiel de développement de l'hydrogène vert pour réduire la consommation de carbone dans l'industrie et le transport au moyen de routes.

Par la suite, l'utilisation efficace des ressources naturelles dans tous les domaines, et l'élaboration des normes et des équipements de qualité.

De plus, favoriser l'économie circulaire et la mise en valeur des déchets, ainsi que de développer l'agriculture et les écosystèmes forestiers durables et résistants, encouragent la diversité des modes de transport et l'investissement dans de nouvelles infrastructures de transport.

Dans cette optique, il est important de favoriser une nouvelle génération de villes sobres et "intelligentes" en intégrant systématiquement les technologies de la transition numérique dans tous les domaines socio-économiques Afin d'accomplir cela, il sera crucial de suivre de manière systématique les projets sectoriels existants, en prenant en compte divers « nexus » essentiels dans la gestion de l'enjeu climatique au Maroc : aménagement du territoire, eau, biodiversité, mobilité, industrie, agriculture, énergie, numérisation, etc.

Pour atteindre une croissance verte à l'échelle nationale et mondiale, il est nécessaire d'adopter un modèle de développement technologique qui inclut des coûts liés à la gestion et au renforcement des capacités de mobilisation financière, ainsi qu'aux mesures climatiques et aux compétences.

Concrètement, cette stratégie prévoit le lancement d'un processus de transition énergétique basé sur l'alliance internationale NDC Partnership (Programme de renforcement de l'action climatique (CAEP). De plus,

[1] Stratégie bas carbone à long terme Maroc 2050, FAOLEX, FAO, 01 Octobre 2021, consulté le 12/3/2023

Le document stratégique de référence, la Stratégie Nationale de Développement Durable, vise à rassembler toutes les politiques publiques en matière de développement durable et à corriger les problèmes d'ordre institutionnel et réglementaire. À travers cette stratégie, le gouvernement vise à établir les bases d'une économie verte et inclusive d'ici 2030.

Bien sûr, la majorité des politiques incluent le principe de durabilité, mais leur mise en œuvre reste limitée.

La mise en place de cette stratégie devra établir les priorités de toutes les politiques publiques et réexaminer la gouvernance du développement durable en améliorant les compétences des acteurs, en améliorant le cadre législatif, en contrôlant et en mettant en œuvre efficacement les lois.

2. Stratégie Bas Carbone Maroc à long terme

Cette stratégie s'inscrit dans la poursuite des initiatives du gouvernement marocain visant à réduire les émissions de gaz à effet de serre (GES).

Cet engagement suit la trajectoire de l'ambition climatique dans le cadre de l'Accord de Paris, qui a été rendu dans le cadre de la Convention Cadre des Nations Unies sur les changements climatiques (CCNUCC) et de sa stratégie bas carbone à long terme 2050.

L'objectif de cette ambition est de réfléchir à la création de nouvelles chaînes de valeur vertes et d'améliorer la compétitivité de l'économie du pays. Cela se fera en prenant une position proactive en matière d'exportation et de commercialisation, en se concentrant sur le « Green Deal » de l'Union européenne et de la Zone de libre-échange continentale de l'Union africaine (Zlecaf). L'objectif de cette vision" Low Emission Development Strategies"[1] (LT-LEDS) est d'atteindre des conséquences socio-économiques indéniables à l'échelle nationale et locale en renforçant les investissements verts, en créant de nouveaux emplois, en résistant au changement climatique et en transitionnant vers une énergétique décentralisée et participative pour réduire la précarité énergétique des ménages et les inégalités en matière de territoire de société.

[1] Rapport CCUNCC pour les demandeurs d'établir un rapport de synthèse sur les stratégies de développement à faible émissions à long terme(LT-LEDS)

énergétique, d'améliorer la coordination institutionnelle, notamment avec les régions et les collectivités territoriales, ainsi que de renforcer le cadre institutionnel de l'efficacité énergétique.

Il est également important de créer un observatoire national et un système de suivi et de veille pour faciliter la collecte de données et digitaliser l'accès à ces données.

B. Intégration des principes de durabilité

1. La Stratégie Nationale de Développement Durable (SNDD)

La stratégie de développement du Maroc intègre le concept de développement durable, qui cherche à concilier les dimensions environnementales, économiques et sociales.

Il s'agit d'améliorer le bien-être des habitants, de renforcer la gestion durable des ressources naturelles et de favoriser des activités économiques respectueuses de l'environnement.

Depuis 1992, cet engagement était déjà évident lors du Sommet de Rio, où il présentait sa « *Vision des fondamentaux pour la création d'un nouveau modèle de société* ».

Depuis lors, cette dévotion aux principes essentiels du développement durable s'est manifestée par des réformes successives visant à établir des fondations solides pour le développement économique, améliorer les conditions sociales et accélérer les progrès environnementaux grâce à des mesures préventives et correctives. De plus, le Maroc a connu une évolution significative depuis 20 ans dans la construction d'un projet de société axé sur le développement.

Le cadre réglementaire global dans lequel les politiques publiques doivent s'inscrire est établi par la Loi Cadre pour l'Environnement et le Développement Durable (constitution de 2011), tandis que la Stratégie Nationale de Développement Durable (SNDD)[1] et son plan d'actions opérationnalisent techniquement les orientations stratégiques.

[1]Cette Stratégie a été adoptée lors du Conseil des Ministres tenu le 25 juin 2017 sous la présidence de Sa Majesté le Roi Mohammed VI.

territoriales, le secteur privé, la société civile et les syndicats sectoriels concernés.

Cette stratégie vise plusieurs axes dont:

- Créer une surveillance constante de la performance des projets d'efficacité énergétique mise en œuvre.

- Tout nouvel investissement doit respecter les principes fondamentaux de l'EE en étendant les études d'impacts énergétiques.

- Encourager progressivement le respect des lois, normes et standards en matière d'efficacité énergétique.

- Favoriser l'utilisation d'équipements moins énergivores, renforcer le système des normes et de standard concernant l'efficacité énergétique et les EnR.

- Les critères d'Efficacité Énergétique doivent être inclus dans toute commande publique.

- Le principe de l'exemplarité de l'administration implique de généraliser l'efficacité énergétique dans les services publics, les établissements publics, les régions et les collectivités territoriales, tout en intégrant le partenariat public-privé dans tous les projets d'EE.

- Encourager la création d'entreprises spécialisées dans les domaines de l'efficacité énergétique, favoriser le développement d'une industrie locale et d'un écosystème d'entreprises nationales spécialisées dans ce domaine, développer et soutenir les programmes de recherche et développement sur l'efficacité énergétique, renforcer les compétences nationales dans ce domaine dans les programmes de formation de base et professionnelle

- Organiser des campagnes d'information et de sensibilisation spécifiques sur l'efficacité énergétique, mettre en place un événement annuel à l'échelle régionale et internationale dans ce domaine, promouvoir les labels de performance énergétique et attribuer des "prix d'excellence" aux secteurs clés, aux régions et aux collectivités territoriales, et transformer les projets de démonstration innovants réussis en modèles économiques généralisables, les maintenir et les diffuser

Il est essentiel de mettre en place des mécanismes novateurs pour financer des projets d'efficacité énergétique, de renforcer le partenariat et la coopération internationale dans le domaine des programmes d'efficacité

pour la sécurisation des approvisionnements par d'autres puissances émergentes. Certains milieux craignent même que, en raison de ses besoins croissants en pétrole, la Chine devienne vulnérable aux pressions des États producteurs de pétrole qui cherchent à acquérir des systèmes d'armement modernes ou des armes de destruction massive. Les États-Unis disposent normalement de nombreux moyens pour faire pression sur le marché énergétique mondial.

Dans cet ancrage, le Maroc occupe une position stratégique ouverte sur les économies de l'Europe et du Moyen Orient, principale source de gaz et de pétrole. Fort de cette situation, le Maroc pourrait d'avantage bénéficier des avancées technologiques pour se placer dans la société du savoir, et tirer profit de sa proximité des pays de l'OCDE afin de prêcher les valeurs et les prouesses réalisées dans le domaine de l'énergie et de l'efficacité énergétique. Le renforcement de ses capacités à l'international, favoriserait la filière de la recherche et du développement en matière des subventions d'énergies renouvelables, ainsi que d'autres formes d'énergies alternatives, nécessaires au mix énergétique et à l'efficacité énergétique.

Chapitre III. Exigences du développement durable en matière d'énergie

D'après ses engagements internationaux tels que les sommets de la Terre de Rio de Janeiro (1992) et de Johannesburg (2002), ainsi que les accords appropriés, le Maroc a posé les fondations pour promouvoir le développement durable en mettant en place différentes réformes politiques, institutionnelles, juridiques et socio-économiques.

Le Maroc s'est engagé à faire face aux défis du XXIème siècle, en faisant du développement durable un véritable projet de société et un nouveau modèle de développement.

A. Promotion de l'efficacité énergétique

Étant donné l'importance de l'efficacité énergétique et l'intérêt grandissant des parties prenantes, le Maroc a élaboré une vision stratégique spécifique en matière d'efficacité énergétique dans le cadre d'une concertation nationale approfondie et participative.

Cette concertation a impliqué tous les acteurs concernés, notamment les départements, institutions publiques, les régions et les collectivités

Vraisemblablement, la croissance économique des pays industrialisés, forgée depuis le début du siècle dernier, fut l'émanation du mouvement de colonisation des pays les moins développés, empires de richesses et de matières premières[1] en abondance.

Dans beaucoup de cas, il se trouve que ces entreprises peuvent par exemple tenter d'influencer la politique d'un État en s'introduisant dans les circuits décisionnel les plus élevés d'un pays[2].

Il serait alors légitime de se poser la question qu'il faudrait bien appeler « *la technique Chinoise de domination du monde* [3]», quels seront, d'ici 2050, les résultats de la géopolitique énergétiques des pays industrialisés en Afrique ?

Déjà, la bataille s'annonce rude face aux compagnies pétrolières et minières à qui ces pays réclament une meilleure part des revenus[4].

Autant dire, la stratégie des États-Unis quant au contrôle de cette source vitale, justifiait l'invasion de l'Irak pendant la deuxième guerre du Golfe. Tout en s'assurant dans une autre région, de sécuriser une zone géo-économique intermédiaire entre le Moyen-Orient, la mer noire et l'Adriatique, espaces qui devraient en outre accueillir le terminal d'acheminement des richesses en gaz et en pétrole de l'Asie centrale […] zone pétrolière primordiale pour l'économie du monde.[5]

En Russie les déclarations de guerres répétées à ces voisins du Sud et de l'Est sont de plus amples questions qui tendent à diaboliser le secteur de la production de l'énergie notamment par certains États Asiatiques, qui resserrent leurs relations économiques et tissent des liens politiques avec les principaux pays exportateurs de pétrole du Moyen-Orient et les États d'Afrique, producteurs de pétrole, ce qui poserait de nouveaux problèmes, tant en matière d'arbitrage des conflits régionaux[6]naissants que de rivalités

[1] THUAL François, « La planète émiettée », Paris, éd., Arléa, Avril 2002,, pp. 76-77

[2] DELBECQUE, Eric « La métamorphose du pouvoir », Paris, éd., Vuibert, septembre 2009, p.40

[3] Ibid., pp 184-150

[4] FAUJAS Alain, « La bataille pour l'exploitation des sous-sols s'intensifie », Le monde, 27 décembre 2013, p.10

[5] THUAL François, « La planète émiettée », Paris, éd., Arléa, Avril 2002, pp.30-31

[6] Voir Affaire : CIJ / Cameroun c. Nigeria. Le verdict a été rendu par la CIJ, en faveur du Cameroun en octobre 2002. En juin 2006 un " Accord de Green tree " a été trouvé, pour le retrait des troupes Nigérianes de la péninsule de Bakassi et le transfert d'autorité à la République Camerounaise.

ne œuvre des objectifs de l'ONU retenues dans son Agenda 2030[1]. Parce qu'aucun pays n'est capable à lui seul, de résoudre ces problèmes de manière autonome.[2]

Quoi qu'il en soit, la carte énergétique mondiale était toute tracée depuis le début du XX[e] siècle, le charbon a cédé sa place au graal du XX[e] siècle : le pétrole, qui sans lui, comme le souligne Gilles Rousselot[3] :

[…] « Notre vie quotidienne et son confort matériel ne seraient certainement pas sans lui (le pétrole). Et c'est en cela que l'on peut dire que le pétrole a révolutionné le monde»[4][…]

Ces cartes énergétiques sont les expressions directes des volontés des puissances stratégiques des pays industrialisés, en même temps que l'incarnation de leurs intérêts économiques.[5]

Zone géographique	Pays	Réserves au 1/1/02 *(milliards de barils)*	Production 2001 *(millions de b/j)*	Années de réserves
Afrique	Nigeria*	24,0	2,26	29
	Libye*	29,5	1,37	59
	Algérie*	9,2	1,27	20
	Angola	5,4	0,74	20
	Égypte	2,9	0,70	11
	Gabon	2,5	0,30	23
	Congo	1,5	0,28	15
	Autres	1,7	0,60	
	Total	**76,7**	**7,52**	
Asie et Océanie	Chine	24,0	3,30	20
	Indonésie*	5,0	1,37	10
	Malaisie	3,0	0,66	12
	Australie	3,5	0,66	15
	Inde	4,8	0,64	21
	Autres	3,5	0,86	
	Total	**43,8**	**7,49**	
MONDE	**TOTAL**	**1032,0**	**68,06**	**41**
OPEP	**TOTAL**	**818,9**	**28,32**	**79**

Les deux tiers des réserves pétrolières mondiales aujourd'hui se trouvent au Moyen Orient (Gilles ROUSSELOT, le pétrole va-t-il révolutionner le monde.

[1]En 2012, lors de la Conférence des Nations Unies qui s'est tenue à Rio de Janeiro, la communauté internationale a décidé de fixer des objectifs mondiaux pour un développement durable.

[2]La communautéinternationale utilise le programme de développement durable à l'horizon 2030 comme cadre de référence pour développer des solutions partagées.

[3]ROUSSELOT Gilles, « le pétrole va-t-il révolutionner le monde », PDF 2004, consulté le 14-3-2023

[4]CIATTONI Annette et VEYRET Yvette (Sous la dir.), «Géographie et géopolitique des énergies», op. cit. p.24

[5] TUAL François, « La planète émiettée », Paris, éd., Arléa, 2002, p.76

43% et de 10% à 9%, pendant que celle des pays en développement croîtrait de 38% à 48%.[1]

De ce fait, les négociations sur les problèmes énergétiques associées à la diplomatie climatique[2], dépassent les compétences des services techniques, et relèvent dorénavant des départements impliquant de plus en plus les hauts dirigeants et diplomates des États. Parce que la demande accrue des ressources énergétiques traduirait la croissance rapide des économies et des populations aggravées par le taux élevé d'urbanisation.

Les secteurs du transport et de la production d'énergies électriques absorberaient plus de 60% de la demande globale d'énergie à l'horizon 2030.

C.2. Contraintes géopolitiques

Dans un monde globalisé, le développement durable, est un concept qui émerge de plus en plus. Il est une vision stratégique pour la CCNUCC[3] pour « sauver la planète » face aux périls liés au réchauffement climatique[4]. Dans la même continuité, et pour faire face aux aléas conjoncturels et rééquilibrer le marché énergétique national, la stratégie énergétique marocaine 2020-2030, intervient juste après, le dévoilement du Programme National d'Action Prioritaire (PNAP).

C.3. Contrainte de la gouvernance à l'international

Dans notre société industrialisée, les défis majeurs auxquels les États font face on cite l'extrême pauvreté, les problèmes liés au réchauffement climatique, la détérioration de l'environnement, la pollution des eaux de mers et les problèmes de santé.

Pour cela, les États sont tous invités à prendre des mesures concrètes d'informer de manière transparente leurs citoyens sur les étapes de la mise

[1]Source : AIE, Outlook, 2014

[2]MALJEAN-DUBOIS Sandrine et WEMAËR Matthiew, « La diplomatie Climatique , Les enjeux d'un régime international du climat », Paris, éd., A.Pedone, 2010, p.50

[3]Convention Cadre des NU sur le Réchauffement Climatique.

[4]BADIE Bertrand et VIDAL Dominique, (sous dir.), « L'État du Monde 2012, Nouveaux acteurs, nouvelle donne », Paris, éd., La découverte, 2012, p.141.

C. Contraintes et défis liés à l'énergie

Le monde entier a soif d'énergie[1]. La question énergétique sous toutes ses formes a des dimensions géopolitiques globales. Elle se pose à toutes les échelles : mondiale, régionale et nationale. Les jeux de puissance amènent les États à composer leurs portefeuilles respectivement, afin de garantir une politique énergétique de manière à faire valoir leurs propres intérêts. Cependant, l'évaluation des grandes sources d'énergies consommées en grande partie dans le monde, distingue deux catégories : énergie primaire et énergie renouvelable en grande évolution.

C.1. Défis de l'offre et de la demande

L'âge d'or de la production du pétrole est révolu depuis la découverte du premier gisement en 1859 en Pennsylvanie (Titusville), seules 35% des réserves mondiales sont extraites et 65% restent prisonnières dans les poches rocheuses des sous-sols[2]. Malgré le progrès technologique, les géologues n'arrivent toujours pas à situer exactement la position des gisements pétroliers

Des défis énergétiques, potentiellement énormes, en coût et en prospection sont à l'heure, de préparation dans un contexte particulièrement favorable ou des scénarios de transition sont utiles. Dans ce contexte, beaucoup de questions s'attellent à la manière de satisfaire la demande énergétique, sans mettre en péril les ressources naturelles de notre planète

Aujourd'hui, les problèmes, touchent la sécurité énergétique et les actions stratégiques d'approvisionnements sont largement négociées entre les grands acteurs internationaux. Les grandes puissances de la triade et les pays émergents ayant largement stimulé la demande mondiale en énergie, seront de plus en plus impliqués dans les scénarios de réduction de la consommation et la quête de nouveaux modes d'exploitation et de production.

La part des pays de l'OCDE et des pays en transition dans la demande mondiale d'énergie baisserait respectivement, entre 2002 et 2030, de 52% à

[1]CIATTONI Annette et VEYRET Yvette (Sous la dir.), « Géographie et géopolitique des énergies », op.,cit. p17

[2]Source : AIE, Outlook, 2008

L'écart en matière de l'offre et de la demande énergétique au niveau mondial, augmente et le taux d'électrification s'accroît de 10%, seulement. Le besoin d'investissements en énergie pour la production de l'électricité est évalué à 40 milliards de dollars par an au lieu de 11 milliards injectés chaque année.[1]

Encadré 1: Pour une croissance économique forte et durable

- Tendances à infléchir ou à inverser,
- Progression insuffisante de la création d'emploi,
- Politiques publiques à poursuivre,
- Réformes visant l'amélioration de l'environnement des affaires (réformes de seconde génération comme,
- Modernisation de l'administration, la réforme de l'épargne…
- Équipement en infrastructures lourdes (autoroutes, routes, ports…
- Politique de contrats- programmes entre l'État et les professionnels,

Promotion du système du micro- crédit pour des projets générateurs de revenus, notamment au profit des femmes,

- Choix antérieurs structurants à réviser,
- Prévalence de l'approche macroéconomique par rapport à celle du développement humain,
- Politique de mise à niveau et de modernisation de l'appareil productif,
- Politique de promotion économique, y compris la diplomatie économique,
- Politique céréalière (particulièrement le blé tendre) vulnérable à l'aléa climatique et peu productive
- Politique énergétique (énergies renouvelables, prospection, recherche…)
- Politiques actives de l'emploi

Quelques ruptures à provoquer :

- Au niveau du financement de l'économie de manière à répondre aux besoins des TPE et PME des énergies
- Au niveau de l'agriculture, pour la faire évoluer d'une activité vivrière vers une activité intégrée dans l'économie de marché et à haute valeur ajoutée, tout en préservant la sécurité alimentaire
- Nouvelles options ou stratégie "sans regrets",
- Tertiarisation de l'économie,
- Intégration du secteur informel,
- Développement de pôles de compétences et mise en place d'une politique de recherche et de développement conforme aux besoins des populations et du pays,
- Transformation des transferts des MRE en investissements productifs
- Intégration dans une dynamique régionale (appartenance à un groupement régional maghrébin, euro -méditerranéen ou africain).

[1] SALAME GUEX, Françoise, « La politique énergétique de la Banque Mondiale en Afrique : une opportunité pour le secteur privé », revue de politique économique, World Bank Group Infrastructure Strategy, Update FY12-FY15, Décembre 2012, p. 34.

Figure 1 :
Bassins sédimentaires Marocains.

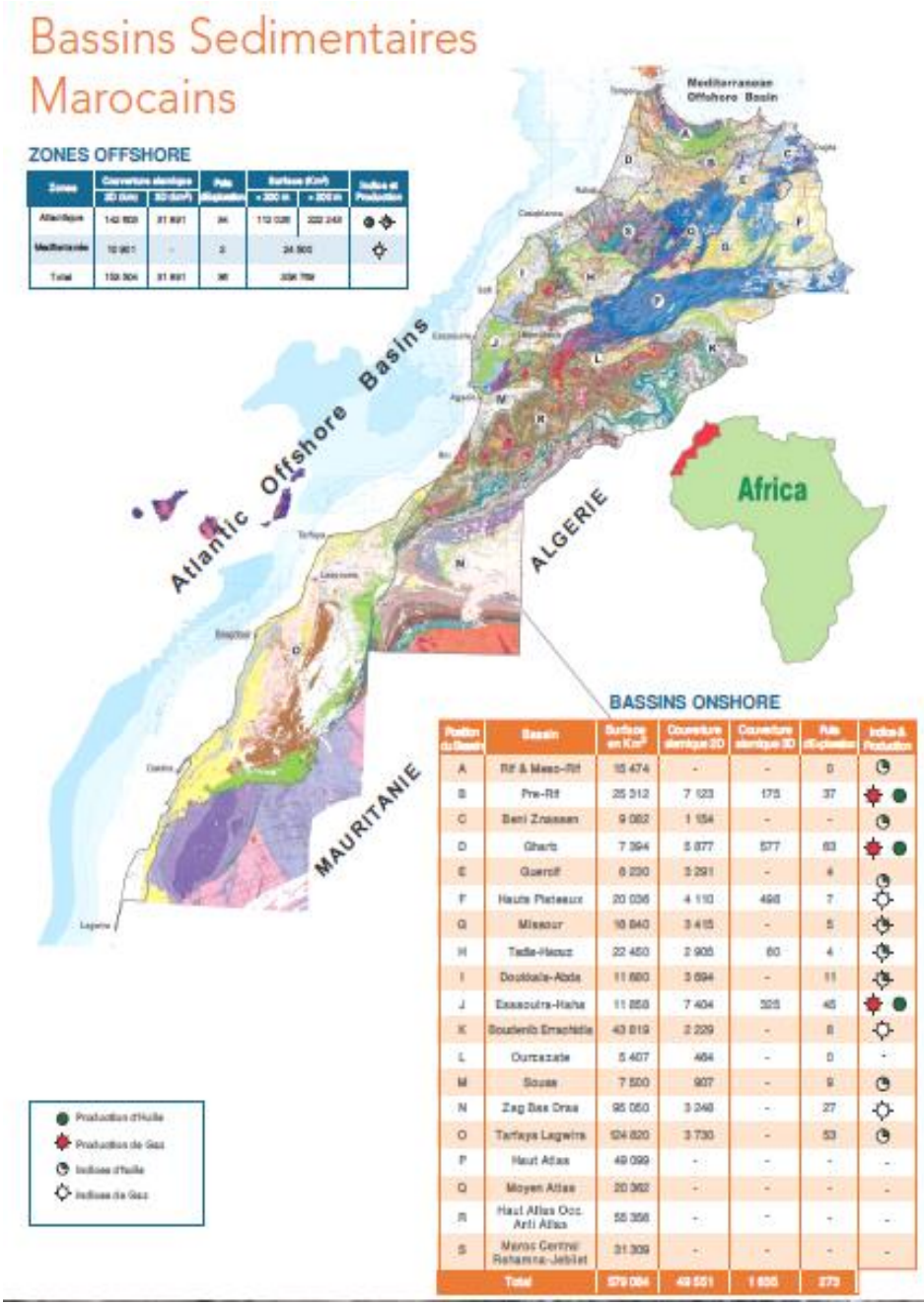

Position du Bassin	Bassin	Surface en Km²	Couverture sismique 2D	Couverture sismique 3D	Puits d'exploration	Indices & Production
A	Rif & Meso-Rif	15 474	-	-	0	
B	Pre-Rif	25 312	7 123	175	37	
C	Beni Znassen	9 082	1 154	-	-	
D	Gharb	7 394	5 877	577	63	
E	Guercif	6 230	3 291	-	4	
F	Hauts Plateaux	20 036	4 110	498	7	
G	Missour	10 840	3 415	-	5	
H	Tadla-Haouz	22 450	2 905	60	4	
I	Doukkala-Abda	11 680	3 594	-	11	
J	Essaouira-Haha	11 858	7 404	325	45	
K	Souiredh Errachidia	43 819	2 229	-	8	
L	Ouarzazate	5 407	464	-	0	-
M	Souss	7 500	907	-	9	
N	Zag Bas Draa	95 050	3 248	-	27	
O	Tarfaya Laayoune	124 820	3 730	-	53	
P	Haut Atlas	49 099	-	-	-	-
Q	Moyen Atlas	20 362	-	-	-	-
R	Haut Atlas Occ. Anti Atlas	55 356	-	-	-	-
S	Meseta Centrale Reharnna-Jebilet	31 309	-	-	-	-
Total		579 084	49 551	1 655	273	

Source : Office des changes, Rapport Onhym 2012 « *Aperçu sur le secteur énergétique 2012*».Statistiques disponibles sur le site : **www.onhym.com.** Consulté le 15-12-2022.

B.1. Ressources récupérables non découvertes

Sont définies comme étant la quantité totale estimée de pétrole à une date spécifique qui sera récupérable à partir des accumulations qui restent à découvrir. Ces ressources sont subdivisées en ressources spéculatives et hypothétiques.

B.2. Ressources spéculatives

Ce terme correspond aux prospects non encore cartographiés au niveau d'un bassin. Ce type de ressources est estimé par les méthodes d'analyse des bassins dont les ressources totales comprennent les ressources découvertes et non découvertes.

B.3. Ressources hypothétiques

Ce terme comprend les ressources répertoriées sous forme de prospects, mais qui n'ont pas été encore testées par forage. Il est incertain si les ressources estimées sont réellement en place ou pas.

B.4. Ressources récupérables découvertes

Les ressources récupérables découvertes comprennent les quantités totales de pétrole livrables, à partir du début à la cessation de la production, sur la base de l'actuelle compréhension des quantités en place et le facteur de récupération.

Les ressources récupérables découvertes peuvent être subdivisées en deux catégories: les ressources potentielles récupérables et les réserves.

B.5. Ressources potentielles

Ils correspondent aux ressources découvertes qui sont récupérables, mais ne sont pas économiques à une date précise pour des raisons technologiques, environnementales, économiques ou politiques.

de nombreuses cultures telles que les céréales, les légumineuses, etc., et des sous-produits de l'agro-industrie comme, les margines issues des 16 000 moulins traditionnels et de 14 huileries modernes, les sous-produits des sucreries, les graines d'arganiers, les algues marines[1]. Ce potentiel est actuellement peu développé au Maroc, or, il commence à retenir l'attention des acteurs nationaux.

B. Potentiel prouvé ou estimé en hydrocarbures

Au Maroc, le secteur énergétique contribue de 6% au PIB[2], les investissements dans le secteur énergétique ne dépassent guerres le un milliard de dollars, alors que ses besoins énergétiques ne cessent d'augmenter d'année en année

Tableau 1:
Les principes majeurs et description schématique des catégories des ressources de pétrole

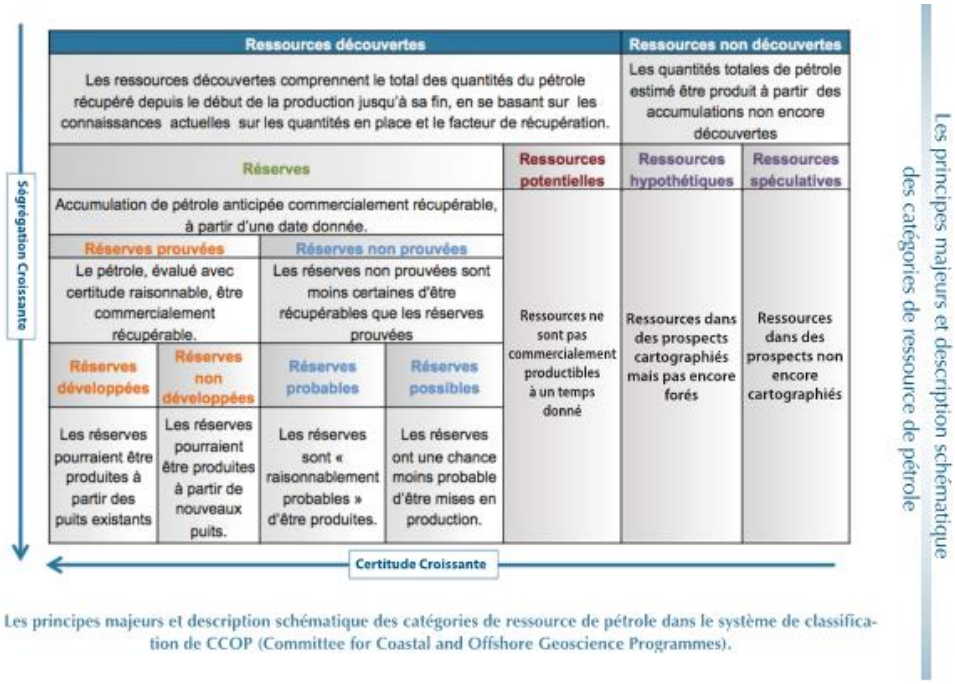

Les principes majeurs et description schématique des catégories de ressource de pétrole dans le système de classification de CCOP (Committee for Coastal and Offshore Geoscience Programmes).

[1] Source: Rapport Crédit Agricole du Maroc (GCAM), 2011.

[2] Source: CIA Fact Book, 2011

La production d'électricité à partir des turbines de ces grands barrages s'avère de plus en plus importante. Bien que les pays de l'Afrique du nord seront menacés par un stress hydrique récurrent :

[…] "*Un accroissement de la température moyenne annuelle supérieur à 2.5° avant 2100, une montée, au minimum de 30 centimètres du niveau de la mer, donc un risque accru d'inondations en cas de tempête, une augmentation du nombre de la durée et de l'intensité des canicules, une diminution des volumes des pluies (entre 5 et 25%), avec la probabilité de précipitations extrêmes. Avec pour conséquences : un manque d'eau quasi général. Des conflits prévisibles (entre usagers, entre régions, entre pays)…La conclusion s'imposait : la rive sud de la Méditerranée sera l'une des régions de la planète qui souffrira le plus durement du réchauffement climatique global*[1] "[…]

A. Le potentiel technique

Ce potentiel a été quantifié à plus de 10 000 MW[2] (SIEM). Toutefois, ce potentiel est limité principalement par la capacité d'intégration au réseau électrique. Cette limite peut être atténuée par de nouveaux investissements visant à renforcer le réseau électrique, mais les contraintes de maintien de la stabilité du réseau, surtout en période de faible charge, sont une réalité incontournable ce qui donne une ressource exploitable de 6 000 MW[3].

Les territoires avec le plus de vent se trouvent au niveau des zones côtières du nord et celles du littoral sud. A Tanger et Tétouan, des vitesses moyennes annuelles de l'ordre de 8 à 11 m/s[4]. A Dakhla, Laâyoune, Tarfaya, Taza et Essaouira avec des vitesses moyennes annuelles de l'ordre de 7 à 8,5 m/s[5].

Les biomasses résiduelles des municipalités, du secteur agricole et de l'industrie représentent un bon potentiel de production d'énergie pouvant atteindre les 950 MW[6]. Il s'agit des tiges et des feuilles d'après la récolte

[1]ORSENA Erik, « L'avenir de l'eau, petit précis de mondialisation II », Paris, éd., Le livre de poche, Avril 2012, pp. 295-297.

[2]. ORSENA Erik,«L'avenir de l'eau, petit précis de mondialisation II», Paris, éd., Le livre de poche, 2012, pp. 295-297

[3] Ibid.

[4] Source : Centre de Développement des Énergies Renouvelables (Maroc).

[5] Source : Société d'Investissement Énergétique du Maroc (SIEM).

[6]Source Société d'Investissement Énergétique du Maroc (SIEM).

la région durant le XXI[e] siècle est de l'ordre de 1°C à 5°C par rapport au XX[e] siècle.[1]

L'option de développer la production électrique d'origine solaire, éolienne, hydraulique ou nucléaire pourrait réduire du même coût les émissions des gaz à effet de serre et permettre le captage des émissions de CO_2 dans l'air.

Le choix doit être porté de prime abord, sur le renforcement des objectifs pouvant réaliser un développement durable et à diminuer la vulnérabilité écologique.

Chapitre II. Choix et potentiel du Maroc en énergie renouvelable

Sur une échelle mondiale, le Maroc occupe la neuvième position pour le solaire, et la trente et unième pour l'éolien[2].Le solaire est la source d'énergie renouvelable la plus importante dans le pays. Le rayonnement solaire incident moyen varie de 4,7 à 5,6 kWh par jour et par m2, ce qui représente un ensoleillement compris entre 2 800 heures par an pour les régions les moins favorisées et plus de 3 400 heures par an pour les régions les plus ensoleillées, offrant un gisement solaire d'une capacité de 20000 MW[3].

Dans l'éolien, le pays dispose d'un gisement important dans ses zones côtières, qui portent sur 3500 km avec des vitesses de vent supérieur à 6,5 m/s et allant jusqu'à 11 m/s.

Les barrages construits sur les principaux Oueds et rivières du pays, pouvaient à eux seuls stocker plus de 16 milliards de m^3, soit 480 m^3/hab./an. D'après les experts du Groupe Intergouvernemental des Experts sur l'Évolution Climatique (GIEC), le réchauffement global ne va pas diminuer la quantité d'eau disponible, mais l'accroître. L'eau est une ressource renouvelable, pour comprendre l'eau, il ne faut pas comprendre gisement, mais cycle. Le risque n'est pas donc que s'épuisent des gisements, mais que se dérèglent des cycles[4].

[1] AGOUMI, Ali, « sécheresse climatique au Maroc durant les dernières décennies », de hydro écologie.org pdf2008, consulté le 13 mars 2023.

[2] Source: Rapport « Ener Event », 2013

[3]Source: Société d'Investissement Énergétique du Maroc (SIEM).

[4] Ibid. p.296

Essaouira et Larache ou encore à Tendrara ont démonté des signes prometteurs de découvertes de gaz naturel[1].

La chance qui se présente au pays, doit être saisie, et en aucun cas, en rester inactif aux regards des opportunités et des recherches prometteuses qui sont en train d'être effectuées au larges des côtes Marocaines et en plaines des régions internes susceptibles de renfermer un potentiel en hydrocarbures ou en gaz naturel exploitables et commerciables.

Ces découvertes espèrent moderniser les réseaux de transport, de subtiliser les bienfaits de l'électricité dans les bâtiments, d'illuminer les sentiers sinueux des grandes villes et des ménages éparpillés dans les contrées lointaines.

C. Environnement

Le Maroc se distingue par quatre types de climat : humide, subhumide, semi-aride et aride. Ces dernières années, les observations climatiques au Maroc attestent que le climat semi-aride est en train de progresser vers le nord du pays, ce qui constitue une grande menace pour le développement socio-économique et pour la vie de la population.[2]

En effet, la vie des populations est très liée au climat et ses fluctuations. L'économie est très dépendante en eau, de l'agriculture, et du littoral pour la pêche. De plus, la dégradation de l'environnement pèse lourd puisqu'elle coûte plus de 1, 2 millions de $par an, une facture très élevée pour un pays qui se bat pour éradiquer la pauvreté et faire croître son économie.

Les vulnérabilités naturelles auxquelles le Maroc est contraint sont le stress hydrique, la fragilité du couvert végétal, la désertification et la sismicité.

Les données climatiques relevées dans le pays indiquent un réchauffement significatif durant le 20^{e} siècle, estimé à plus de 1°C avec une augmentation importante de la fréquence et de l'intensité des événements extrêmes de types sécheresses et inondations. L'estimation du réchauffement probable de

[1]Site officiel de l'office national des hydrocarbures et des mines (ONHYM),2023

[2]ATOUK, Sara, « Les Energies Renouvelables et les Populations Rurales Pauvres : Le cas du Maroc », Universite de Sherbrooke (Canada), Juillet 2013, p .18

que celles-ci ont augmenté de 25 % en 5 ans, passant de 54,6 millions de Teq CO_2 en 1999 à 75 millions de Teq CO_2 en 2004[1].

Les causes des changements climatiques résident à 90 %[2] dans l'émission des GES provenant des activités humaines. Au Maroc, la consommation des énergies fossiles est la principale cause d'émissions de GES, et afin d'atténuer ces émissions, plusieurs mesures ont été prises dans différents secteurs générateurs de GES : l'énergie, les transports, l'industrie, les déchets, l'agriculture, la forêt et la construction. Ces mesures sont le résultat d'une stratégie nationale de l'énergie lancée en 2008.

Le potentiel global d'atténuation de ces mesures a été évalué à 56,6 millions de Teq CO_2 par an d'ici 2030[3].

De son côté, le Ministère de l'énergie contribue à l'implémentation de ces mesures d'atténuations des GES par des mécanismes concrets s'appuyant essentiellement sur :

- La promotion du mécanisme de développement propre institué par le Protocole de Kyoto.
- L'incitation à la réalisation d'inventaires d'émissions de GES, notamment en vue de la taxation de ces émissions.
- La mise sur pied d'un projet de fiscalité verte pour les équipements électriques économes et pour les travaux d'efficacité énergétique dans les bâtiments existants.

L'économie, l'industrie et le développement durable au Maroc dépendront en grande partie de ses choix énergétiques. Ces choix restent aujourd'hui, particulièrement ouverts et à moindre coût, à des solutions qui pourraient réduire la consommation excessive d'hydrocarbure qui accable la facture énergétique. Le choix est soumis à la force d'inertie des infrastructures, des reliefs et des écosystèmes ainsi qu'au manquement des financements lourds. Le pays peut toujours opter, dans son choix stratégique, à passer d'un pays consommateur en un pays producteur. Les études géophysiques et sismiques essuyées récemment au large de la marge de l'Atlantique entre Agadir,

[1] Source: Ministère de transition énergétique et du développement durable 2023

[2] Ibid.

[3] Rapport des Nations Unies, 2009

Développement des Énergies Renouvelables (CDER)[1] en 1982, l'Agence Nationale pour le Développement des énergies Renouvelables et de l'Efficacité énergétique en 2010 (ADEREE)[2], établissements publics sous la tutelle du ministère de l'énergie, des mines et de l'environnement du Maroc (MEMEE).

Cependant, peu de choses ont été faites, jusqu'en 2009 où de grands projets ont été planifiés dans le cadre de la nouvelle politique énergétique ainsi que du Plan National de Lutte contre le Réchauffement Climatique (PNRC).

Il est à noter que le Maroc est un faible consommateur de pétrole comparativement à la moyenne mondiale, sa consommation annuelle par habitant est de 0,52 Tep, une consommation relativement modeste si on la compare avec la moyenne mondiale (1,7 Tep). Sa production d'électricité a été estimée à 20 milliards de KWh contre 24 milliards KWh de consommation dont 4 milliards KWh importés, 67% produites à partir de combustibles fossiles contre 4.1% d'autres sources renouvelables.[3] Le Maroc a produit 5500 barils de pétrole brut /j en 2011, et a importé pour la même période plus de 100 460 barils/j. aujourd'hui il importe environ 1million de tonnes de carburants pour une enveloppe budgétaire de presque 1milliar de dollars[4].

B. Émission des gaz à effet de serre

Le défi des pays en voie de développement et des pays émergents est de maintenir la croissance économique tout en réduisant les émissions de GES. Bien que le Maroc reste un pays dont les émissions de GES sont faibles par rapport à la moyenne mondiale. En 2004, la moyenne mondiale était de 4,5 tonnes métriques de CO_2 par habitant contre 2,5 TeqCO_2par habitant pour le Maroc[5]. Il doit contrôler et prévenir ses émissions de GES, surtout

[1] Ce centre a été créé par la loi 13-09, promulgué par la loi 16-09 portant création de l'ADEREE, qui sera chargée d'établir un plan stratégique qui vise à porter le taux de participation des énergies renouvelables à 20% vers 2020.

[2] Cette agence a été créée par la loi 16-09. Elle a pour mission la mise en place et la concrétisation de la politique énergétique du Gouvernement marocain dans les domaines des énergies renouvelables et de l'efficacité énergétique.

[3]Source: CIA World Fact Book on: https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/mo.html 12/12/2011, consulté le 12-3-2023

[4] Source: Ministère de transition énergétique et du développement durable 2023

[5] Source: Rapport de la Banque Mondiale, 2011

carburants passera de 5,75% à 20% d'ici 2020. D'autant plus, la Suède a décidé de ne plus dépendre du pétrole d'ici 2020 et transforme son parc automobile.

4. L'hydraulique

L'utilisation de l'eau pour produire de l'énergie mécanique ou électrique a accompagné l'industrialisation des pays occidentaux.

5. La géothermie

Elle est la troisième énergie renouvelable après la biomasse et l'hydraulique. Elle couvre 0,4% des besoins mondiaux en électricité. Elle est utilisée pour le chauffage, et parfois pour produire de l'électricité.

Au Maroc, le secteur de l'énergie est fortement dominé par les ressources primaires. La configuration du nouveau paysage énergétique marocaine, est mise progressivement en place dans le cadre d'une vision énergétique globale, axée essentiellement sur l'émergence d'une nouvelle politique énergétique basée sur l'utilisation des énergies renouvelables.

De même, après les premières reformes entretenues dans le domaine des hydrocarbures, le Maroc poursuit sa politique de régulation des marchés énergétiques, par la refonte du système des prix, et l'harmonisation fiscale engagée pour la réalisation de projets appropriés au secteur de l'énergie, qui présente des atouts et des opportunités énormes, rehaussées par sa position privilégiée.

III. Aperçu de la situation énergétique marocaine

A. Situation énergétique

La demande énergétique du Maroc a augmenté en moyenne de près de 6 % au cours des dernières années[1]. En particulier, la demande en électricité n'a jamais été aussi importante, puisqu'elle connaît une hausse de 8 % par an[2]. Cette forte demande en énergie est due principalement à la croissance de l'activité économique, à l'industrialisation, à la croissance démographique ainsi qu'à la ausse du niveau de vie.

Depuis le second choc pétrolier, le Maroc a commencé à s'intéresser aux énergies renouvelables. Cela s'est manifesté par la création du Centre de

[1] Source : Ministère de transition énergétique et du développement durable 2023.

[2] Ibid.

d'origine éolienne dans le monde avec 35 000MW en 2008[1]. Malgré les difficultés techniques, l'éolien est le plus rentable des potentiels énergétiques renouvelables.

2. L'énergie solaire

Elle est surabondante. Le soleil inonde le monde de son énergie qui dépasse les 10 000 fois la consommation mondiale en énergie. Elle est stockée dans des centrales thermiques pour la production d'électricité. Le photovoltaïque est un modèle de production d'énergie fiable et adapté aux pays Africains dont la population souffre de pauvreté énergétique considérable. Plus de 2 milliards d'habitants sont privées d'électricité dans le monde. L'énergie solaire est l'une des énergies propres. Elle produits de l'électricité à des tarifs raisonnables pour le chauffage des eaux des habitations individuelles et des immeubles.

3. La biomasse

Est une source d'énergie importante puisqu'elle encadre 11% de l'approvisionnement mondial[2]. Elle se compose du bois d'énergie, de biogaz et des biocarburants. Le bois est utilisé pour le chauffage à l'intérieur des maisons, des usines traditionnelles.

Plus de deux milliards d'habitants à travers le monde utilisent le bois comme principale source d'énergie. Le biogaz, issu de la fermentation et de la méthanisation anaérobie, est récupéré pour en produire de l'électricité pour les villes.

L'Union Européenne en a consommé 4265 Mtep en 2004.[3] Le biocarburant utilise le bioéthanol produit par fermentation du sucre, comme au Brésil ou de l'amidon du mais aux États-Unis.

Le Brésil est le principal producteur de biocarburant depuis le lancement du programme« Pro-Alcool[4] », lancé en 1975 pour augmenter l'indépendance énergétique du pays. Les États-Unis et le Brésil produisent 30% de la production mondiale, la Chine 20%. La consommation de l'Europe en

[1] Klinger Thibaut, «Géopolitique de l'énergie, constats et enjeux», op.cit. p.18

[2]Ibidem. p.19

[3] Ibid. p.19

[4]Ce programme a permis au Brésil de devenir le deuxième plus grand producteur au monde de l'éthanol, et le plus grand exportateur au monde.

mesurer cette énergie est la tonne équivalent pétrole (Tep)[1]. La tep représente l'énergie libérée par la combustion d'une tonne de pétrole, soit 42 milliards de joules (42Mj) ou l'équivalent de 12 mégawatts-heure (MWh)[2], fait ressortir que la consommation des énergies primaires mondiales en hydrocarbures, charbon, électricité d'origines hydraulique ou nucléaire est de l'ordre de 10 878,5 Mtep[3]. Les énergies primaires se distinguent à leurs tours en deux catégories : énergies renouvelables (a1) et énergies non renouvelables (a2).

A1- Énergies renouvelables: sont les combustions fossiles telles que le charbon, le pétrole, le gaz et le combustible nucléaire (Uranium et Thorium)[4].

A2 - Énergies non renouvelables : sont l'hydraulique (barrage ou fil de l'eau). L'éolien, le solaire (thermique ou photovoltaïque), la biomasse (bois, végétaux, déchets fermentescibles d'origines animales, ménagères et industrielles) la géothermie et l'énergie marémotrice (énergie des marées)[5]. L'énergie primaire se présente sous forme d'une énergie stockée, chimique et nucléaire.

B. Énergies renouvelables

Sont des énergies à la mode dans le cadre de la recherche technologique. Elles associent développement durable et ressources « clean ». Du moins leurs impacts sur le réchauffement climatique sont nettement minimes. Elles représentent néanmoins des investissements d'envergures pour leur exploitation.

Les énergies renouvelables sont inépuisables, elles sont aussi une ressource disponible en grande quantité dans la nature à l'état libre :

1. L'énergie éolienne

Elle est aussi polluante à des degrés variables, énergie facile à récupérer, mais difficile à stocker. L'Europe est la principale productrice d'énergie

[1]Il s'agit d'une convention, car les pétroles sont de qualités diverses, par exemple une tonne de brut d'Arabie Saoudite produit 1.01tep; une tonne de charbon équivaut 0.69tep, un MWh produit par une centrale nucléaire avec un rendement moyen de 33% nécessite environ 0.26 tep.

[2]KLINGER Thibaut, « Géopolitique de l'énergie, constats et enjeux », Paris, éd., Stadyrama, 2008, p.11

[3]Source : Rapport de British Petroleum (BP) de 2007.

[4]WIESENFELD, Bernard, « l'Énergie en 2050, nouveaux défis et faux espoirs », Paris, éd., EDP Sciences, 2005, p.37

[5]Ibidem. p.39

énergétique marocaine est ainsi consacrée à l'examen des enjeux énergétiques qui se déploient à l'échelle mondiale, puisqu'il en dépend.

Sachant qu'il est un pays pauvre en hydrocarbure, le Maroc dépend pour ses engagements d'approvisionnements en grande majorité des marchés extérieurs. Puisqu'il maintient sa dépendance énergétique aux hydrocarbures aux plus hauts niveaux, il risque de se réveiller un jour dans une situation économiquement très douloureuse.

Et pour en minimiser les dégâts, la quête de pétrole sur le territoire national devient impérative. Il y'a lieu de tenir compte, de la forte consommation des marchés nationaux, qu'il faut satisfaire en programmant beaucoup plus d'investissements en matière de prospection et de recherches des ressources d'énergies.

Face à cette situation, le pays est en train de modéliser plusieurs créneaux de substitutions pouvant répondre dans un avenir proche, aux exigences des marchés et des agglomérations en expansion.

Ainsi, la morosité économique accélérée par la mondialisation à dominance puissante sur les ressources en énergies, a pratiquement, incité la majorité des pays à repenser leurs politiques énergétiques de façon à assurer la pérennité de leurs approvisionnements, par la recherche de nouveaux pôles et de nouvelles alliances dans un monde réputé être multipolaire.

[…] *"L'objectif prioritaire de Washington est d'empêcher la formation d'un monde multipolaire dans lequel l'équilibre se ferait entre des grands pôles de civilisation (États-Unis, Europe, Russie, Inde, Chine, Iran, Amérique Latine…"*[1] *[…]*

2. Classification des énergies

A. Énergie primaire

Regroupe tous les produits énergétiques non transformés disponibles dans la nature en état brut. Sans qu'ils soient issus de transformation chimique ou thermique ni mécanique. Elle regroupe le pétrole, le gaz naturel, le charbon, la biomasse, l'énergie éolienne et solaire, l'énergie hydraulique des barrages, l'énergie produite par des centrales nucléaire. L'unité utilisée pour

[1]CHAUPRADE Aymeric, Cahier D'agir N°1: « Chine- Énergie 2009 - Société De Stratégie », disponible sur le site Dhttp://www.societe-de- strategie.asso.fr/PDF/ca01txt2.pdf, consulté le 21 novembre 2013.

Les ressources traditionnelles qui sont mises en œuvre dans la nature, ou dans un endroit particulier s'épuisent à la suite d'extraction ou d'utilisation.

Il est à rappeler que La première révolution industrielle du XIX^{e} siècle s'est forgée sur le charbon. Le XX^{e} siècle était celui du pétrole et du nucléaire (avec toutes les difficultés qui s'en suivent). Dorénavant les politiques énergétiques pour les prochaines décennies vont être déterminantes quant à la survie de la planète essoufflée par l'enthousiasme excessif des sociétés modernes à bouleverser les écosystèmes et à hypothéquer l'environnement des générations futures.

A cette problématique, s'ajoutent les rapports de forces existant entre "Énergie et États". Se créant autour des ressources, et aux besoins de sécurisation d'approvisionnements s'associe une géopolitique qu'il faudrait traiter en rapport avec les défis et les enjeux de la première ressource d'énergie qui n'est autre que le pétrole.

Dans ce contexte "Si l'économie du XIX ^{e} siècle s'est édifiée sur le charbon comme source d'énergies, celle du XX^{e} repose sur le pétrole"[1]. Cette donne a influencé l'orientation de la société humaine à l'échelle mondiale, qui en fut sa première révélation énergétique pendant les trente glorieuses.

On observe d'ailleurs, qu'au début de ce XXI ^{e} siècle un regain d'intérêt de la production des énergies fossiles, principal moteur de la croissance économique. En effet, l'énergie renouvelable sera de plus en plus choyée dans le bouquet énergétique dans le futur proche.

C. Définition de l'énergie renouvelable

C'est l'énergie dérivée de ressources naturelles qui sont ou ne peuvent pas être mises en œuvre (énergie durable), et qui ne résulte pas de leur utilisation en tant que résidus de dioxyde de carbone, de gaz nocifs ou dans le recours à des énergies renouvelables, l'augmentation du réchauffement climatique, comme dans la combustion des produits fossiles ou de résidus d'interactions nucléaires.

Il est évident que la dépendance énergétique d'un pays influence négativement son développement économique. L'analyse de la situation

[1]DUROUSSET Maurice, « *Le marché du pétrole* », Paris, éd., Ellipses Marketing, 9 mars 2000, p.5.

remplacée ou utilisée pour compléter la fabrication ou la distribution d'une marchandise donnée dans le système économique.

Cette définition comprend les différentes formes d'énergie utilisées dans le processus de production. Pour longtemps, le pétrole étant la principale ressource d'approvisionnement, suscite des inquiétudes sur ses réserves disponibles dans les quatre coins du globe. Le rapport *Meadows (The limits to growth)*, rédigé en 1972 avait exprimé ses craintes au nom du Club de Rome qui analysât la croissance économique de l'époque[1]. Ce rapport commanditait au Massachusetts Institute of Technology de Boston aux États-Unis, annonçait que :

[…] « Le progrès économique, s'il devait poursuivre sa cadence effrénée, mènerait à une catastrophe planétaire, conjuguée à la diminution des ressources, à l'explosion démographique et à la dégradation de l'environnement… ». […]

Dans un second rapport intitulé : « 2052 : A Global Forecast for The Next Forty Years », des experts du même "Club de Rome" avaient révélé que : « L'expansion sans frein génère des risques certains pour la biosphère et pour l'homme ». Dans ce rapport, il a été révélé aussi que le système économique mis en place a engendré au moins cinq crises majeures : à savoir crise de l'emploi, la crise alimentaire, la crise financière, la crise économique et la crise écologique globale[2] .

B. Définition de l'énergie traditionnelle

On appelle énergie traditionnelle les sources d'énergie qui ont été fournies jusqu'à présent. La plupart des besoins des biens industriels modernes de l'énergie, tels que le charbon, l'essence, le gaz naturel, sont considérés comme toutes les sources d'énergies.

---

[1]Le rapport *Meadows* a été rédigé par d'éminents chercheurs et économistes, en faveur du Club de Rome. Ce rapport a fait ressortir l'état économique de l'époque de 1972, Club de Rome, 2012. Téléchargeable au site http://www.clubofrome.org/?p=703, PDF, consulté le 20-11-2013.

[2] RANDERS Jorgen, principal auteur du second Rapport « *Meadows* », intitulé: « *2052: A Global Forecast for the Next Forty Years* », Club de Rome, 2012. Téléchargeable en PDF, au site http://www.clubofrome.org/?p=703, consulté le 20-11-2022.

pour corriger les difficultés qui peuvent empêcher les pauvres l'accès aux potentiels variés de l'énergie dans de meilleures conditions **(Chapitre II).**

L'égal accès à l'énergie avec des prix concurrentiels et abordable envisage des actions de la part de l'État pour réglementer le cadre institutionnel et réglementaire. Certains efforts consentis dans le secteur de l'énergie ont permis la réalisation de plusieurs projets d'adaptations pouvant faciliter l'implémentation des exigences du développement durable **(Chapitre III)**

Chapitre I. Cadre conceptuel et évolution des énergies

Étroitement liées à la satisfaction des besoins les plus importants de l'économie mondiale, l'essor des pays s'est vu tourner brusquement vers toutes les richesses des sous-sols de la terre, à cause de la consommation excessive d'énergies qui ne cesse de croître parallèlement avec les nouveaux outils technologiques qu'entraînent une consommation d'électricité exponentielle nécessaire au fonctionnement des grands industries et centres informatiques (Big-data), qui a atteint 45 milliards de KWh en 2006.[1]

En se focalisant sur les prévisions de consommation de pétrole brut qui seront en hausse, dans sa première projection, l'Organisation des Pays Exportateurs de Pétrole (OPEP) a confirmé que la consommation mondiale, sera de nouveau nourrie par les besoins de l'industrie et des transports dans les pays du BRICS comme la Chine et l'Inde[2].

Au-delà des besoins grandissants de l'économie moderne, la production d'énergie fossile sera vouée au ralentissement à cause de l'épuisement des ressources primaires, compte tenu de la disponibilité des ressources énergétiques renouvelables, comme alternative saillante. Elle sera en mesure de palier les déficits au regard des avantages qui y sont associés.

1. Concepts de base sur l'énergie

A. Définition de l'énergie

L'énergie est définie comme la capacité de transférer le poids d'un endroit à un autre, et il dégage la quantité de chaleur qui doit être convertie,

[1]CIATTONI Annette et VEYRET Yvette (sous dir.), « Géographie et géopolitique des énergies », Paris, éd., Hatier, Juillet 2011, pp.16-17

[2] OPEP, Rapport mensuel publié en juin 2013. Téléchargeable en PDF, au site http://www.opep.org, consulté le 20-11-2022.

C. Hypothèses de recherche

Pour répondre à la question principale à examiner, nous avons essayé de supposer les hypothèses suivantes:

Les énergies renouvelables sont caractérisées par une énergie durable et leur utilisation est proportionnelle au développement durable, et une exigence;

Pour atteindre les dimensions et les exigences du développement durables, il faut exploiter de nouvelles sources d'énergie qui ne contaminent pas l'environnement et maintiennent les systèmes de développement écologique et la contribution au développement économique et social inclusif;

Le Programme pour les énergies renouvelables et l'efficacité énergétique est un programme ciblé pour le développement durable inclusif au niveau national à moyen et à long terme;

Les énergies renouvelables constituent une composante efficace du processus de développement, leur durabilité et la pierre angulaire de la satisfaction de la plupart des besoins humanitaires, ainsi que du développement des sources d'énergie. Elle s'engage à atteindre les dimensions sociale, économique et environnementale du développement durable[1].

Les pays en développement sont particulièrement confrontés à ces défis, alors qu'ils cherchent à assurer leur développement économique tout en limitant l'impact environnemental de leur consommation d'énergie. Cet article vise à examiner les concepts des énergies particulièrement au Maroc, en se canalisant sur l'évolution et les impacts que peuvent induire sur le développement durable et social. **(Chapitre I).**

Les pays de l'Afrique du nord seront menacés par un stress hydrique récurrent. Il en résulte que l'accès à l'énergie suppose d'amender des nouvelles réglementations dans le cadre des énergies renouvelables dans le but d'accéder au réseau électrique et autres sans complication. D'inciter aussi, les institutions à construire de manière substantielle les infrastructures

[1]Selon le dernier rapport élaboré par REN 21 Century, la consommation mondiale d'énergie finale est dominée par l'énergie d'origine fossile (le pétrole, le gaz naturel et le charbon) d'environ 83.7%, en 2017, (REN21, Renewable Energy Policy Network for the 21st Century, 2018, p. 37).

cet objectif ambitieux par des réformes nécessaires pour une meilleure synergie et une grande efficience, en assurant en particulier une large complémentarité institutionnelle.

La loi 13-09[1]relative aux énergies renouvelables fixe notamment comme objectifs (i) la promotion de la production d'énergie à partir de sources renouvelables, sa commercialisation et de son exportation par des entités publiques ou privées, (ii) l'assujettissement des installations de production d'énergie à partir de sources renouvelables à un régime d'autorisation ou de déclaration et (iii) le droit, pour un exploitant, de produire de l'électricité à partir de sources d'énergies renouvelables pour le compte d'un consommateur ou un groupement de consommateurs raccordés au réseau électrique national de moyenne tension (MT), haute tension (HT) et très haute tension (THT), dans le cadre d'une convention par laquelle ceux-ci s'engagent à consommer l'électricité ainsi produite exclusivement pour leur usage propre.

A. Structure et annonce de la problématique

Afin de répondre aux exigences du développement durable, le Maroc a mis en place en 2009 un programme ambitieux de développement des énergies renouvelables et de l'efficacité énergétique et a établi un cadre législatif et réglementaire approprié.

L'exploitation des énergies renouvelables et son rôle dans la réalisation d'un développement durable au Maroc soulignent la question clé suivante :

Dans quelle mesure l'exploitation des énergies renouvelables contribue-t-elle à la réalisation des exigences du développement durable au Maroc dans le cadre du Programme des énergies renouvelables et d'efficacité énergétique?

B. Sous-questions

- Quels sont les concepts les plus importants associés aux énergies renouvelables et au développement durable ?

- Quelle est la relation entre les énergies renouvelables et le développement durable ?

- Quel est le rôle du Programme des énergies renouvelables dans la réalisation d'un développement au Maroc ?

[1]Promulguée le 11 février 2010 (B.O n° 5822 du 18 mars 2010)

Introduction :

Les ressources d'énergie se sont évolués bien avant la première guerre mondiale. Elles se sont déployées à travers les siècles pour construire l'apanage des États prospères. Des transformations radicales se sont succédés depuis l'avènement de l'ère de la révolution industrielle. Des apports gigantesques ont été enregistrés non seulement au profit de l'industrie, mais également aux regards des économies modernes. L'abondance de ces ressources a joué un rôle primordial dans le les avancées réalisées au niveau de certaines économies des pays occidentaux.

C'est dans ce cadre que le Maroc, a pris l'initiative de mettre sur pied une politique pour le développement des énergies renouvelable par une stratégie de transition énergétique dans le but de promouvoir son économie et son développement durable.

Dans ce même diapason, ce manuscrit tente de traiter les points qui ont profité à notre pays dans le but de dresser une stratégie axée sur l'utilisation des énergies renouvelables à grande échelle territoriale. Ces bio-tops sont favorablement adéquats pour la promotion de cette initiative novatrice.

Ceci dit, plusieurs scénarii de cette transition ont été examinés, et nous avons pu constater, à travers les résultats proposés dans le rapport du Nouveau Modèle de Développement du Maroc, dans son volet « Énergie », l'intérêt de l'exploitation des énergies renouvelables, sans pour autant laisser passer le bénéfice que peut présenter la production d'hydrogène vert et de l'ammoniac à partir de sources d'énergie décartonnées notamment éoliennes dans le but de réussir de sa transition vers les énergies renouvelables afin de répondre aux exigences du développement durable.

Pour le Maroc, le développement des énergies renouvelables est d'un grand intérêt pour les pouvoirs publics, qui cherchent à remplacer les énergies fossiles dans divers secteurs, afin d'atteindre des objectifs spécifiques et conformément aux plans et stratégies adoptés dans ce contexte, en particulier la réalisation de l'indépendance énergétique du pétrole et du charbon.

Dans le but de confirmer le leadership du Maroc au niveau continental en matière de transition énergétiques vers les énergies renouvelables. Il a tracé l'objectif d'augmentation la part des énergies renouvelables dans la capacité électrique installée à 52% à l'horizon 2030. Le Maroc a concrétisé

Le rôle des énergies renouvelables dans la réalisation des exigences du développement durable

Jamal EL HILALI
Doctorant
Laboratoire des études et recherches juridiques, administratives et politiques - LERJAP
Université Mohamed Premier, Oujda, MAROC

Khalid CHIAT
Enseignant des études supérieures
Laboratoire des études et recherches juridiques, administratives et politiques - LERJAP
Université Mohamed Premier, Oujda, MAROC

Résumé

Cet article porte sur les énergies renouvelables, qui sont parmi les alternatives énergétiques les plus importantes au monde. Elles constituent un des éléments clé dans la réalisation d'un développement durable. Nous essaierons de clarifier le lien entre leur exploitation et la réalisation des exigences de développement durable au Maroc, qui a cherché à investir dans ces ressources, par le biais de l'élaboration d'une stratégie prospective pour les énergies renouvelables et l'efficacité énergétique, qui vise à développer la dépendance à l'égard de la production et de la consommation d'énergies renouvelables dans divers secteurs, afin d'atteindre des objectifs économiques et sociaux tout en préservant l'environnement.

Mots-clés : Énergies renouvelables, développement durable, efficacité énergétique, environnement, Maroc.

Citation :

EL HILALI, Jamal. CHIAT, Khalid. (2024, Juillet). Le rôle des énergies renouvelables dans la réalisation des exigences du développement durable. Revue de recherche en sciences humaines et cognitives, Tome 1, N° 4, Première Année, P 4-45.

Abstract

This study focuses on renewable energy, which is one of the world's leading energy options. They play a vital role in the implementation of sustainable development. We will try to highlight the link between their uses and the implementation of sustainable development requirements in Morocco, which has attempted to invest in these resources by developing a forward-looking strategy for renewable energies and energy efficiency.

This strategy aims to increase dependence on the production and consumption of renewable energy in various sectors, in order to economic and social objectives while preserving the environment.

Keywords: Renewable energy, sustainable development, energy efficiency, environment, Morocco.

Éditorial

Nous sommes heureux de vous présenter ce numéro de la Revue de Recherche en Sciences Humaines et Cognitives, qui comprend une variété d'articles scientifiques et de recherches précieuses partagés par des chercheurs et des universitaires distingués de diverses universités marocaines et arabes. À travers ce numéro, nous visons à renforcer le dialogue académique et l'échange de connaissances entre les chercheurs et les intéressés dans différents domaines de connaissance.

Ce numéro se distingue par la participation d'articles couvrant un large éventail de sujets dans les sciences humaines et cognitives, allant des études littéraires et historiques, en passant par les recherches humaines et sociales, jusqu'aux études linguistiques et aux analyses juridiques. Chaque article contribue à offrir de nouvelles perspectives et une compréhension plus profonde des défis et des questions auxquels nos sociétés sont confrontées aujourd'hui.

À la Revue de Recherche en Sciences Humaines et Cognitives, nous croyons en l'importance de la science et de la connaissance pour réaliser le progrès et la prospérité. Nous nous efforçons toujours de soutenir les chercheurs et de les encourager à présenter leurs recherches et leurs créations intellectuelles à la communauté académique et au grand public. La diversité des sujets et des idées présentés dans ce numéro reflète la richesse intellectuelle et scientifique de nos universités, et contribue à renforcer la compréhension et l'entente entre différentes cultures et communautés.

Nous espérons que vous trouverez dans ce numéro de quoi vous inspirer et vous ouvrir de nouveaux horizons de connaissance et de réflexion critique. Nous adressons nos sincères remerciements à tous ceux qui ont contribué à la préparation de ce numéro, et nous invitons tous les chercheurs et les intéressés à continuer de participer et d'interagir dans les prochains numéros de la revue.

Avec nos meilleures salutations,

Oujda, Le : 30 juin 2024

Rédacteur en chef
Dr. ESSARRAJE Jamal Dine

Sommaire

Sommaire **2**

Éditorial **3**

Le rôle des énergies renouvelables dans la réalisation des exigences du développement durable
Jamal EL HILALI - Khalid CHIAT **4**

Le « Paradigme Educatif Du Numérique » : De Quoi Est-il Le Nom ?
Ihssane YOUSFI **46**

Analyse sémiotique d'un conte rifain: «Buya», la fille aux pierres précieuses
Rachid BELHADI **59**

Tous droits réservés à l'éditeur et à la revue

Titre	:	Revue de recherche en sciences humaines et cognitives
Page Web	:	www.crshc.com
E-mail	:	contact@crshc.com
Tél/whatsapp	:	+212 614-024544
Mise en page	:	BOURHAOUTA mohamed
Dépôt légal	:	2024PE0032
ISSN	:	3009-5581
N° de presse	:	07/2024
Imprimerie	:	Cortoba, Oujda, Maroc
Copyright	:	Réservés à l'éditeur et à la revue © 2024

RRSHC

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

ⵜⴰⵙⴷⵍⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵓⵏ ⵏⵜ ⵜⵎⴰⵡⴰⵙⵉⵏ ⵜⵙⵏⵉⵖⵜⵉⵏ ⴰ ⵜⵍⵓⵎⴰⵙⵉⵏ

Revue de recherche en sciences humaines et cognitives

Revue scientifique internationale à comité de lecture et à parution mensuelle

Tome 1, Numéro 4, Première Année - juillet 2024
Tous droits réservés à l'éditeur et à la revue

Dépôt Légal	ISSN	N° de presse	E-mail	N° Téléphone
2024PE0032	3009-5581	07/2024	contact@crshc.com	+212 614-024544